



الجمهورية العربية السورية

وزارة التعليم العالي

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ماجستير تاريخ العرب الحديث والمعاصر

العلاقات الإيطالية - العثمانية وانعكاساتها على ليبيا

(١٨٧٨ - ١٩٢٣)

رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير) في التاريخ الحديث
والمعاصر

إعداد: دارين سليمان الحكيم

إشراف الدكتور: أحمد الخضر

جامعة دمشق 2022 - 2021

شكر وعرفان

إلى صاحب الفضل الأول والأخير إلى هادي السبيل ومرشد الدليل الله عز وجل رب العالمين.
إلى القائد المفدى بشار حافظ الأسد.. إلى جيشنا العظيم الصامد.. إلى حزب البعث العربي الاشتراكي المناضل
بقيادته الحكيمة ورموزه الوطنية الشامخة وقاماته البناءة.

أتوجه بخالص الشكر والامتنان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور أحمد الخضر وعرفاناً مني بفضلته لما
منحه لي من وقت وجهد وتعب في قراءة البحث ومراجعته في سبيل إتمام هذا العمل وتوجيه وإرشاد ونصائح
أغنت البحث وارتقت به فكان الداعم الأكبر لكل خطوة بما قدم من خبرته فلم يبخل يوماً بتقديم معلومة، أسأل الله
له خير الدعاء والثواب.

أتوجه بخالص الشكر والعرفان للجنة الكريمة القيمة الدؤوبة على الإصلاح والساعية إلى السير قدماً للارتقاء
والتقدم، كل الشكر للدكتورة كاميليا أبو جبل مشعل النور المضيء منقطع النظير، والدكتورة غنوة ناصر رمز
العطاء الدائم، وأتعهد لكم التزامي بالملاحظات والتوجيهات كافة التي ستغني البحث وتعطيه قيمة مضاعفة
ومكانة علمية مميزة.

وأقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتي الكرام أساتذة كلية الآداب في جامعة دمشق وفرعها في السويداء قسم
التاريخ كافة دون استثناء الذين لم يخلوا علينا بما أمدهم الله به من علم فذللو لنا كل الصعوبات فكانوا لنا العون
وخير السبيل للوصول إلى الهدف، وأخص بالذكر الدكتور حكمت العبد الرحمن صاحب الفضل الأكبر بكل ما
بذل من عطاء ودعم ومساندة ومساعدة.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أعانني في هذا البحث ولو بكلمة، لهؤلاء جميعاً جزيل الشكر والامتنان والتقدير.

الإهداء

إذا رُزقت بفرحة فأبدأ بها مع من ترى في عينيه كل الدنيا وما فيها إلى من فاق حبه كل الحدود ابدأ
إهدائي لصاحب الفضل الأكبر حبيبي وشريك حياتي وعملي ونجاحي رفيق دربي وسهري وتعبتي.. من منحني
القوة والصمود والعزيمة وذل لي كل الصعاب من شاركني الألم قبل الأمل من أشعل لي شموع الحب والعطاء
والأمان.. إلى أنيس روحي وداعمي وسندي إلى القلب الصادق الذي يحب ان يراني في العلياء.. إلى من جعلني
أمله في الحياة فأصبح لي كل الحياة.. الكتف الذي أسند نفسي عليه ولا يميل

زوجي ونصفي الثاني..... حبيب عمري "حسام"

إلى من علمني أن الحياة كفاح سلاحه العلم.. إلى رجل الكفاح الأول الذي زرع فينا القيم والمبادئ والأخلاق.. إلى قدوتي
ونبراسي وشريعتي.. إلى من غيبه الاغتراب عن الحضور بيننا لكن مكانه في القلب والروح وبين سطور الحروف وفي كل
فسيح أمل ودعائه سر النجاح والتميز.. أطال الله بعمره الغالي وجمعنا به بالخير والسعادة.....

نور عيني أبي المبجل "سليمان"

إلى جوهره حياتي المضيئة.. إلى من رآني قلبها قبل عينها ورهنت روحي بين يديها وجنتي تحت قدميها.. إلى ظلي
وسندي ونبع حناني ومرقدي وسر نجاحي بدعائها.. إلى نبع العطاء الذي لا ينضب.. إلى من علمتني معنى الحب
والحنان والصبر والقوة والعطاء.. إلى الروح التي رافقت روحي بكل خطوة ومنحتني الأمان.. أطال الله بعمرها وزادها صحة
وعافية وعطاء إلى نبض قلبي أُمي الحبيبة "نهاء"

إلى هديتي من القدر زهرات حياتي.. إلى من تهدأ نفسي بلقياهن ويبسم ثغري لمُحياهن.. ففي أفلاك وجودهم تدور فرحتي
وعلى عتبات قلوبهم يُزهر عمري.. إلى أعلى من لي في الوجود وقطعة من فؤادي.. إلى نبع الحب والحنان والدعاء والأمان
صديقات الدهر ورفيقات العمر

توأم روحي شقيقتاي "مادلين & ديمة" وأبنائهم الغاليين

إلى الروح التي رسمت الفرحة في حروف اسمها.. إلى ميلادي الثاني وأنفاس عطري وحناني.. إلى هدية الرحمن في زمن
 قل فيه الإخوان.. إلى من سكن روحي وهو قطعة من قلبي وجسدي إليك طفلي المدلل وحيدتي وسندي عزّي وعزوتي..
 منحك الله كل أسباب السعادة والنجاح

فرحة العمر صغيري المدلل "صلاح" الغالي.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد أو تمنى لنا الخير بكل محبة ومودة وكل الأصدقاء والأقارب وأخص
 أعمامي وأخوالي وخالاتي وأهل قرية الغالية حران الذين فرحوا لنجاحنا ودعوا لنا بالخير وتمنوه لنا..

إلى أهل زوجي ممن تمنوا لنا الخير والتميز والنجاح.. وأخص بالذكر الأم الثانية والدة زوجي فروحها ودعائها ورضاها
 مرافقين لنا في كل خطوة ونجاح..... رحمك الله غاليتي فارقتنا جسداً لكن ذكراك في القلب مخلداً إلى نهاية الكون
 إلى رفاق ورفيقات الدرب عنوان الإخلاص والوفاء والعطاء.. من كان عطائهم دون حدود ولا قيود ولاسيما صديقات العمر
 وليالي السهر والجد والنشاط والفرح والعمل (الغاليات: ميساء - باسمة - رشا - هبة - رهام - ضحى - قمر - لبنى - روان -
 حنين - نور - مروة - ولاء - كنانة - أمل - مرج - ريم - سونيا - منال - علا).

فهرس المحتويات	
4	ملخص البحث
5-13	مقدمة
15- 56	الفصل الأول: الأوضاع العامة في إيطاليا والدولة العثمانية وليبيا ما بين (١٨٧٨-١٩٢٣)
15-29	1- أوضاع إيطاليا بعدّ النهضة
15	1-1- الأوضاع السياسية
22	1-2- الأوضاع الاقتصادية
26	1-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية
30- 39	2- أوضاع الدولة العثمانية
30	1-2- الأوضاع السياسية
35	2-2- الأوضاع الاقتصادية
37	3-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية
40- 56	3- أوضاع ليبيا أبان الحكم العثماني
40	1-3- الأوضاع السياسية
46	2-3- الأوضاع الاقتصادية
51	3-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

58- 108	الفصل الثاني: بدء العلاقات الإيطالية- العثمانية وأهم المؤتمرات والمعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية
58	1- بداية العلاقات الإيطالية- العثمانية
64- 87	2- المؤتمرات والمعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية ومدى تأثيرها في السياسة الخارجية العثمانية
64	2-1- مؤتمر برلين ١٨٧٨
71	2-2- هدنة مودروس ١٩١٨
74	2-3- مؤتمر فرساي ١٩١٩
77	2-4- مؤتمر أرض روم وسيواس ١٩١٩
81	2-5- معاهدة سيفر ١٩٢٠
85	2-6- صلح مودانيا ١٩٢٢
88- 108	3- توتر العلاقات الإيطالية- العثمانية والاحتلال الإيطالي لليبيا ١٩١٢
88	3-1- الدوافع الإيطالية لاحتلال ليبيا
94	3-2- الحرب الإيطالية- العثمانية ١٩١٢
100	3-3- معاهدة أوشي لوزان ١٩٢٣
110- 149	الفصل الثالث: المواقف الدولية والإقليمية وموقف الشعوب العربية من الاحتلال الإيطالي لليبيا وانعكاساته على ليبيا
110- 129	1- المواقف الدولية من الاحتلال الإيطالي لليبيا

112	1-1- موقف الأحزاب السياسية الإيطالية من احتلال طرابلس الغرب
114	1-2- موقف بريطانيا
118	1-3- موقف فرنسا
122	1-4- موقف ألمانيا
125	1-5- موقف روسيا
127	1-6- موقف النمسا والمجر
130- 133	2- موقف الدولة العثمانية من احتلال إيطاليا لليبيا
134- 141	3- مواقف الشعوب العربية من الاحتلال الإيطالي لليبيا
134	3-1- ردود فعل الشعب الليبي
136	3-2- موقف الشعب المصري
138	3-3- موقف الشعب الجزائري
142- 149	4- انعكاسات الاحتلال الإيطالي على ليبيا
142	4-1- الانعكاسات السياسية
145	4-2- الانعكاسات الاقتصادية
147	4-3- الانعكاسات الاجتماعية
149	4-4- الانعكاسات الثقافية
150- 155	خاتمة (نتائج وتوصيات)

186 - 175	ملاحق ومصادر ومراجع
176	ملخص باللغة الأجنبية

ملخص

تتشابك العلاقات الدولية وتتنوع مظاهرها، بين العداء تارةً والمسالمة والتعاون تارةً أخرى، وتبقى للمصالح الكلمة الفصل في رسم حدود العلاقات بين الفواعل الدولية، فوفق الأدبيات السياسية التي تشير إلى أنه لا توجد صداقات دائمة ولا عداءات دائمة إنما يوجد مصالح دائمة.

هذا الأمر ينطبق على الكثير من العلاقات، ومنها العلاقات الإيطالية- العثمانية؛ إذ بدأت بعلاقات ودية وانتهت بحرب بين الطرفين كانت لها انعكاسات واضحة على ليبيا التي كانت خاضعة للحكم العثماني حتى عام ١٩١١، ثم للسيطرة الإيطالية التي استمرت حتى عام ١٩٥١.

تمثل العلاقات الإيطالية- العثمانية سلسلة من الأحداث والمعاهدات والاتفاقيات، التي كان لها دور فعال بين الدول الأوروبية ودول المغرب العربي إذ كانت الأوضاع الداخلية في تلك الدول سواء السياسية منها أم الاقتصادية أم الاجتماعية مهياة لأي تغيير، فإيطاليا كانت تبحث عن مكان لها تحت ضوء الشمس، فعملت على توجيه أنظارها نحو ليبيا.

أما عن مواقف الدول الأوروبية والإقليمية والعربية فيلحظ اختلاف واضح في تلك المواقف التي كانت تتحدد من كل طرف وفق مصالحه أو قربه الجغرافي أو ارتباطه التاريخي، إذ وقعت أكثر من اتفاقية بين إيطالية والدول الأوروبية وافقت فيها تلك الدول على الاحتلال الإيطالي لليبيا أما بالنسبة إلى الموقف العثماني فيلحظ عدم وجود مقاومة كبيرة تذكر أوردة فعل عدائية، وكذلك يلحظ تراخيًا في الوضع القائم آنذاك، أما موقف الشارع الإيطالي فنجد جزءًا منه كان رافضًا فكرة الاحتلال الإيطالي لليبيا التي عبر عنها الشعب وكذلك بعض الأحزاب أيضًا، وأخيرًا فمن الطبيعي أن يكون الموقف الحكومي الرسمي مؤيدًا لفكرة الاحتلال وبالمقابل أن تكون الدول العربية عمومًا رافضة للاحتلال مقاومة له وفق الإمكانيات المتاحة.

كلمات مفتاحية: معاهدات- إيطاليا- الدولة العثمانية- ليبيا- الانعكاسات- الحرب- المواقف- الدولية-

اتفاقيات

مقدمة

عرف القرن التاسع عشر الكثير من الأحداث المفصلية المهمة التي يستطيع الباحث أن يجعلها نقطة انطلاق قويّة في عمله محدداً محاوره التي تخدم بحثه ومن أهم تلك الأحداث مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م الذي شكّل تحولاً كبيراً بالنسبة إلى الدول الأوروبية ولاسيّما في طبيعة القوى المهيمنة، إذ أدّى فيه المستشار الألماني بسمارك دوراً مهماً؛ استطاع في أثناءه استمالة إيطاليا، فقبل قيام المؤتمر قام الملك فيكتور الثاني بزيارة برلين عام ١٨٧٣م، وتوجت زيارته بإعلان انضمام إيطاليا إلى العصبة أي انضمامها إلى حلف الأباطرة الثلاثة (روسيا-النمسا-ألمانيا)، إلا أن هذا الحلف لم يعمر طويلاً بسبب تضارب المصالح بين الدول الثلاث، فجاء مؤتمر برلين ليعدّل الاتفاقيات في صالح بعض الدول على حساب بعضها الآخر وعندها بدأت إيطاليا بتصعيد لهجتها في المطالبة بالحصول على طرابلس الغرب، مع ما شهدته المدة نفسها من اتفاق كلّ من فرنسا وبريطانيا حول اقتسام عدّد من ممتلكات الدولة العثمانية الملقبة برجل أوروبا المريض، فاستحوذت فرنسا على تونس، وبريطانيا على جزيرة قبرص.

في السنوات اللاحقة وقّعت إيطاليا مجموعة من الاتفاقيات السرية مع عدّد من القوى العالمية في ظل غياب تام للدولة العثمانية على الساحة الدولية الأمر الذي ساعد الإيطاليين على كسب ودّ الإمبراطورية الروسية حول مسألة ليبيا، مقابل تقديمها الوعود بتأييد هيمنة القيصر الروسي نيقولا الثاني على مضيق البوسفور، فضلاً عن أن القوى الأوروبية لم تتردد في الاستجابة لمطالب إيطاليا أملاً منها في ثنيها عن التحالف مع الألمان وإخراجها من الحلف الثلاثي الذي عُقد عام ١٨٧٣ ليجمعها مع ألمانيا والنمسا والمجر، وأمام هذا الوضع لجأ العثمانيون إلى النمساويين فراسلوا عن طريقهم الإيطاليين؛ واقترحوا عليهم نقل السيادة في طرابلس الغرب إلى الإيطاليين من دون اللجوء إلى خيار الحرب مع الإبقاء على وجود اسمي للسلطان العثماني هناك، إلا أن الطلب العثماني قُوبل بالرفض من رئيس وزراء إيطاليا جيوفاني جيوليتي معلناً الحرب.

في هذه الأثناء حاولت العديد من الدول التدخل لإنهاء النزاع الإيطالي- العثماني ولعل أهمها المحاولة الروسية في شهر شباط ١٩١٢ التي باءت بالفشل، وكذلك في شهر تموز جلس الطرفان إلى طاولة المفاوضات في مدينة أوشي^١، فأُسفرت مفاوضاتهم عن عقد معاهدة لوزان الأولى عام ١٩١٢م. عانت الدولة العثمانية في هذه الأثناء من انهيار سياسي كبير، فبعد أن كانت إمبراطورية مترامية الأطراف مستحوذة على أراضٍ عربية وأوروبية تحولت إلى إمبراطورية مفككة، يسودها الضعف والتفكك والانحطاط، فاستغلت إيطاليا حالة الارتباك هذه؛ ولاسيما بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩، وتولي السلطان محمد رشاد اسمياً لتعلن الحرب على دول البلقان عام ١٩١١م، واستغلت التمرد الذي حصل ضد الدولة العثمانية في اليمن، أما الشعرة التي قصمت ظهر البعير فكانت إعلان الجبل الأسود الحرب أيضاً ضدها، إذ تمكنت حينها القوات الإيطالية من منع إرسال مساعدات من استانبول إلى الجبل الأسود ومقدونيا الأمر الذي أجبر الدولة العثمانية على عقد سلام مع إيطاليا بمقتضى معاهدة أوشي (لوزان) الأولى ١٩١٢ و ذكرنا أعلاه.

كانت الدول الأوروبية تشهد نشاطاً كبيراً على عكس الدولة العثمانية، تمثل بالثورة الصناعية التي بدأت عام ١٧٦٠، واستمرت حتى عام ١٨٤٠م، وما كان لها من تأثيرات كبيرة فيها أفضى قيامها عن ظهور عصر جديد ترك تأثيره في العالم بأسره، ليس فقط في الدولة العثمانية.

أسهمت سياسة الاتحاديين الأتراك بعد إعلان دستور عام ١٩٠٨ فيما يخص ليبيا بتكريس الضعف الذي كانت تعانيه فجردوها مما بقي لها من سلاح وجند، فضلاً عن أن الدولة العثمانية لم تكن راغبة فعلياً بإصلاح الأحوال في ليبيا بل تعمدت أن تبقىها في حالة سيئة ولاسيما بمحاولات السلطان عبد الحميد الثاني إجهاض اللغة العربية، ونشر اللغة العثمانية التي لحقتها فيما بعد اللغة الإيطالية وعندها لم يحرك السلطان ساكناً تجاه الخطر الإيطالي الذي كان يهدد ليبيا، حاله حال السلاطين الذين سبقوه فلم يحركوا ساكناً إزاء التغلغل الفرنسي في الجزائر عام ١٨٣٠ وفي تونس عام ١٨٨١، بل كان العثمانيين يسعون إلى كسب ودّ إيطاليا ونيل رضاها، ففي تصريح لحقي بك سفير الدولة العثمانية في إيطاليا نشرته جريدة الترقى نقلاً عن الصحف الإيطالية يقول فيه "إن

^١ تقع مدينة أوشي في سويسرا ضواحي لوزان؛ إذ عُقدت تلك المعاهدة في قلعة أوشي في ٣ أكتوبر ١٩١٢ انسحبت بموجبها الدولة العثمانية من ليبيا. للمزيد: إبراهيم، مجاهدي. معاهدة أوشي لوزان ١٩١٢. مجلة العلوم الإنسانية والحضارة. مجلد ٤. عدد ١. ص ٣٦-٤٥.

الحكومة العثمانية لا تعارض مطلقاً في استملاك الإيطاليين، وانتشارهم في ولاية طرابلس^٢، فعلقت الجريدة على التصريح بقولها "للأسف لو علم حقّي بك حال تونس عندما انتشر فيها الإيطاليون وكيف كانوا يعاملون السكان لم أقدم على هذا التصريح"^٣، ففي الوقت الذي تمتعت فيه إيطاليا بالقوة والتفوق قابلها ضعف وانحطاط عثماني وهنا بدأ التوتر والتردي في العلاقات الإيطالية- العثمانية، وبدأت إيطاليا العمل على زيادة التوسع بعد معاهدات واتفاقيات، كانت قد عقدتها في وقت سابق، وبعد مدة تمهيدية طويلة استطاعت الحصول على مَرادها باحتلال طرابلس الغرب عام ١٩١٢، وكذلك تعديل الحدود من جهة مصر، وعملت على تركيز نشاطها شرقي البحر المتوسط في جزيرة الدوديكاينز وجزيرة رودس^٤، إذ احتلها الإيطاليون في أثناء الحرب الإيطالية - العثمانية ١٩١٢ التي أنهت الوجود العثماني ليحلّ محلّه الوجود الإيطالي الذي توجّ بمعاهدة لوزان الثانية عام ١٩٢٢.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تتمثل الإشكالية الرئيسة للبحث في دراسة العلاقات الإيطالية - العثمانية التي لم تكن واضحة المعالم فتميزت بتغير مستمر للأطوار وما حملته من انعكاسات ولاسيما على ليبيا التي كانت تحت السيطرة العثمانية، وكيف أن أوضاع الدولة العثمانية أسهمت في تشجيع إيطاليا بالتفكير في السيادة على ليبيا، فضلاً عن الأوضاع التي كانت تعيشها أوروبا عمومًا وإيطاليا خصوصًا التي شجعتها على التفكير بضم ليبيا، وهذا أدى فيما بعد إلى قيام حرب بين الطرفين، لذلك فلا بدّ من دراسة هذه العلاقات، ومعرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشوئها، ومعرفة تطوراتها التاريخية التي أدت إلى الحرب، وتطرح تلك الإشكالية مجموعة من التساؤلات أهمّها:

1- كيف بدأت العلاقات الإيطالية- العثمانية؟

2- ما الصيغة التي طُرحت فيها هذه العلاقات؟

3- كيف انعكست هذه العلاقات على الأوضاع العامة في ليبيا؟

² جريدة الترقّي عدد ٩٤، ١٥ محرم ١٣٢٧، ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٤.

³ المرجع نفسه.

⁴ جزيرة يونانية تقع على الجانب الشرقي لبحر إيجة، هي مجموعة من ١٢ جزيرة أعلنت استقلالها عن الدولة العثمانية بعد الحرب الإيطالية - العثمانية ١٩١٢ لتصبح دولة مستقلة باتحاد جزر الدوديكاينز لكن سرعان ما وقعت تحت السيطرة الإيطالية. للمزيد:

Domains, Nicholas. (2005). **Italians as good colonizers, memory in the Dodecanese**, New York, p: 214.

⁵ جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط تقع في المنتصف بين الجزر اليونانية وقبرص، للمزيد: المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٢.

4- ضعف الدولة العثمانية وتأثيره السلبي في تحقيق الاحتلال الإيطالي لليبيا؟

5 -الأوضاع الإيطالية والدولية التي ساهمت في السيطرة على ليبيا؟

6-الموقف الدولي من الاحتلال الإيطالي لليبيا؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تقديم دراسة تاريخية معمقة عن نشوء العلاقات الإيطالية- العثمانية وانعكاساتها على ليبيا، ومعرفة أوضاع الدول وظروفها التي أدت إلى نشوئها وتطورها تاريخياً، بوصفها مثالاً للعلاقات المتشابكة المعقدة متغيرة الأطوار من ودّ إلى حرب؛ فبعد أن كانت إيطاليا حليفة الدولة العثمانية انقلبت عليها وقامت باحتلال جزء من الأراضي التي كانت خاضعة لسيطرتها، سيوضح البحث المواقف على الصعيدين الدولي والعربي، من التحالفات التي حصلت وعلى رأسها معاهدة لوزان، وكذلك دراسة انعكاساتها على ليبيا اعتماداً على الأحداث التاريخية والنتائج والاتفاقيات والمعاهدات، وكيف تحالفت الدول الأوروبية في سبيل إخراج الدولة العثمانية من ليبيا، ووضعها تحت السيطرة الإيطالية.

أهمية البحث:

تعدّ العلاقات الإيطالية - العثمانية من أقدم العلاقات وأهمها على الصعيد العربي والأوروبي مثلها مثل غيرها من العلاقات التي جمعت الدول ببعضها أو فرقتهما عن بعض؛ إذ باتت هذه العلاقات ذات أهمية كبيرة مع قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨؛ فقد شكّلت دوراً مهماً في مستقبل المنطقة العربية ولاسيما مع ما كان لها من انعكاسات على ليبيا، وعلى مستقبل شعب المنطقة الذي خسر الكثير.

لم تحظ هذه العلاقات آنفة الذكر على أهميتها باهتمام كبير على مستوى الدراسات الأكاديمية إذ لم يُسلط الضوء عليها تسليطاً كافياً يمنحها حقها في البحث والدراسة والتمحيص ومن هنا كان اختيار هذا البحث ليكون محاولة هادفة إلى تناول هذه العلاقات بتسلسلها التاريخي بدءاً من العلاقات الودية حتى قيام الحرب الإيطالية- العثمانية ١٩١٢ واحتلال ليبيا، والسمات العامة لهذه العلاقات ونتائجها، وكذلك التعرف على المواقف الدولية والإقليمية والعربية منها، وانعكاساتها على ليبيا التي ما زال تأثير معظمها مستمراً حتى يومنا هذا.

مسوّغات البحث:

تتمثل مسوّغات البحث في افتقار مكتبتنا العربية إلى أبحاث جادة تلقي الضوء على موضوع العلاقات الإيطالية-العثمانية وانعكاساتها على ليبيا، مع ما يتمتع به هذا الموضوع من أهمية وهو ما ينعكس انعكاساً مباشراً على حاضر المنطقة العربية ومستقبلها عمومًا وليبيا خصوصًا، لذلك توجب البحث في بدء نشوء هذه العلاقات، وآلياتها ومظاهر التعاون والخلاف فيها، والبحث في انعكاساتها على ليبيا التي حظيت بمكانة مهمة وكان لها وزنها في حسابات القوى الكبرى.

مصطلحات البحث:

مؤتمر برلين: عُقد عام ١٨٧٨ بين قادة الدول الأوروبية المهمة؛ بغرض الوصول إلى قرار بشأن مناطق البلقان التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية، ترأس المؤتمر المستشار الألماني بسمارك بحضور كلٍّ من ممثلي القوى العظمى الست في ذلك الوقت (روسيا بريطانيا وفرنسا والإمبراطورية النمساوية المجرية وإيطاليا وألمانيا) والإمبراطورية العثمانية ودول البلقان الأربعة (اليونان وصربيا ورومانيا والجبل الأسود) وكان هدف هذا المؤتمر رسم حدود أراضي الدول في شبه جزيرة البلقان في أعقاب الحرب الروسية العثمانية انتهى بتوقيع معاهدة برلين ١٨٧٨، وقد خرج منه العثمانيون مهزومين لتتحسر أراضيهم في أوروبا، واعتُرف فيه باستقلال جمهورية الجبل الأسود، وصربيا ورومانيا، ونقل السلطة على أراضٍ معينة شرقي تركيا إلى روسيا.

معاهدة أوّشي لوزان الأولى: هي معاهدة وقعت بين مملكة إيطاليا والدولة العثمانية على أثر الحرب

الإيطالية-العثمانية ١٩١١-١٩١٢ القاضية بانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا لصالح إيطاليا.

معاهدة أوّشي لوزان الثانية: هي اتفاقية سلام دولية وقعت عام ١٩٢٣ في لوزان بسويسرا، بين كل من

تركيا وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا، وينظر إليها الأتراك بوصفها وثيقة تأسيس الجمهورية التركية.

الحرب الإيطالية-العثمانية: صراع نشب بين إيطاليا والدولة العثمانية عام ١٩١٢ على الأراضي الليبية

التي كانت تسمى طرابلس الغرب، وانتهت المعركة بهزيمة الدولة العثمانية.

حدود البحث:

تمتدّ حدود البحث لتشمل الحدّ الموضوعي والجغرافي والزمني وهي على الترتيب:

الموضوعي: يشمل البحث العلاقات الإيطالية- العثمانية وانعكاساتها على ليبيا، ويظهر أوجه التعاون

والخلاف فيه، ويشمل انعكاسات هذا التنافس على ليبيا وقضاياها الرئيسية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الجغرافي: يشمل العديد من المناطق كمنطقة البلقان، وبعض الأراضي التابعة للدولة العثمانية، لكنه يركز

على ليبيا التي كانت تسمى طرابلس الغرب حتى بدء الاحتلال الإيطالي، وذلك لأن إيطاليا رأت فيها تعويضًا لها عن تونس التي احتلها فرنسا أسوة بالجزائر.

الزمني: تمتد مدة الدراسة بين عامي ١٨٧٨ مؤتمر برلين و١٩٢٣ نهاية الدولة العثمانية التي بدأت

بالتلاشي فعليًا بعد الحرب العالمية الأولى، ويعود سبب اختيار تاريخ عام ١٨٧٨ بوصفها نقطة انطلاق لبدء البحث، وهو التاريخ الذي عُقد فيه مؤتمر برلين بين قادة الدول الأوروبية المهمة والدولة العثمانية، بغرض الوصول إلى قرار بشأن مناطق البلقان التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية، وقد خرج منه العثمانيون مهزومين، وانحسرت أراضيهم في أوروبا، وما كان له من انعكاسات على إيطاليا، أما تاريخ نهاية البحث فهو عام ١٩٢٣، يعود إلى نهاية الدولة العثمانية وانسحابها من الأراضي العربية والأوروبية وانحسارها بتركيا الحديثة تحت زعامة مصطفى كمال أتاتورك، وبروز إيطاليا بوصفها قوةً بين الدول الأوروبية ولاسيما بعد إتمام احتلالها ليبيا وهزيمة الدولة العثمانية.

الدراسات المرجعية:

لا توجد دراسات سابقة كرسائل دكتوراه أو ماجستير حول العلاقات الإيطالية- العثمانية وانعكاساتها على

ليبيا، و لا توجد الدراسات التي ألقت الضوء على التعاون والعلاقات الودية التي كانت قائمة قبل الحرب، إنما اتجهت أغلب الدراسات حول الحرب الإيطالية- العثمانية على ليبيا واكتفت بعرض السيطرة الإيطالية ومجريات الحرب، وهزيمة الدولة العثمانية وانهارها.

منهج البحث وأدواته:

يعتمد البحث المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في دراسة العلاقات الإيطالية- العثمانية، وذلك بجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع المختلفة العربية والأجنبية المتوفرة منها، وكذلك المعاهدات والاتفاقيات الموثقة، فضلاً عن المواقع الإلكترونية المثبتة والمكتبات، ومن ثم تحليلها للوصول إلى وصف علمي تاريخي لهذه العلاقات على ضوء المعطيات والمعلومات التي توفرها المصادر والمراجع.

لابد من الإشارة إلى الأدوات التي اعتمدتها الدراسة، إذ يأتي في مقدمتها الكتب الوثائقية المعربة التي تعد من المصادر المهمة، ولعل أبرزها: كتاب " ياخيموفتش " والمعنون بـ "الحرب التركية- الإيطالية"، حيث أفاد البحث وزوده بمعلومات كثيرة، هذا بالإضافة إلى مجموعة من المصادر المهمة التي لا تقل أهمية عن هذا المصدر، وسلاحظ استخدامها في متن البحث، وعليه أسهمت هذه المصادر في تغطية كثير من جوانب البحث، كما أسهمت المذكرات الشخصية للسلطان "عبد الحميد الثاني" في إغناء البحث، كما أن المصادر العربية والأجنبية والمراجع والصحف والمجلات ذات العلاقة بموضوع البحث كان لها إسهام خاص في توضيح بعض الأحداث وتتبعها.

مكونات البحث:

بهدف تحقيق دراسة شاملة وتغطية جوانب العلاقات الإيطالية- العثمانية، وإظهار انعكاساتها على ليبيا والمواقف الإقليمية والعربية والدولية.

فُيِّمَ البحث إلى ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة تناول الفصل الأول المعنون " أوضاع كل من إيطاليا والدولة العثمانية وليبيا في أثناء المدة الممتدة بين عامي ١٨٧٨-١٩٢٣"، وفيه تمهيد للبحث وتبسيط للضوء على الأوضاع التي كانت سائدة في كل من إيطاليا والدولة العثمانية اللتين كانتا طرفي صراع، وكذلك أوضاع ليبيا التي مثلت أرض الصراع فتحوّلت السيطرة عليها من الاحتلال العثماني إلى الاحتلال الإيطالي، وشملت الأوضاع كل من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

على حين عالج الفصل الثاني الذي يحمل عنوان: العلاقات الإيطالية- العثمانية وانعكاساتها على ليبيا (١٨٧٨- ١٩٢٣) بدء العلاقات الإيطالية- العثمانية وتطوراتها، وأهم المعاهدات والمؤتمرات التي أثرت في

العلاقات العثمانية بالخارج الأوروبي، وكيف تحولت هذه العلاقات من ودية إلى عدائية، وأسباب هذه التغيرات التي وجهت أنظار إيطاليا نحو ليبيا، وهذا أدى إلى قيام حرب بين الطرفين، وعلى أثرها عُقدت معاهدة أوشي لوزان الثانية عام ١٩٢٣ التي كان من نتائجها سقوط ليبيا تحت سيطرة الاحتلال الإيطالي من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩٥١.

أما الفصل الثالث الذي حمل عنوان " المواقف الدولية والإقليمية والعربية من الاحتلال الإيطالي لليبيا وانعكاساته على ليبيا"، فركز على مواقف الدول الأوروبية كفرنسا وبريطانيا وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا، وكذلك الموقف الروسي، فضلاً عن مواقف إقليمية كموقف الدولة العثمانية، ومواقف عربية كموقف مصر والجزائر وليبيا، كذلك درس البحث انعكاس هذه العلاقات والحرب على ليبيا على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة.

خُتم البحث بخاتمة تناولت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ضمت قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في إنجاز البحث، و بعض الوثائق التي حُصل عليها، وكذلك بعض المجالات والمواقع الإلكترونية.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في إيطاليا والدولة العثمانية وليبيا ما بين (١٨٧٨-١٩٢٣)

1- أوضاع إيطاليا بعد النهضة

1-1- الأوضاع السياسية

1-2- الأوضاع الاقتصادية

1-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

2- أوضاع الدولة العثمانية

2-1- الأوضاع السياسية

2-2- الأوضاع الاقتصادية

2-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

3- أوضاع ليبيا أبان الحكم العثماني

3-1- الأوضاع السياسية

3-2- الأوضاع الاقتصادية

3-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

الفصل الأول: الأوضاع العامة في إيطاليا والدولة العثمانية وليبيا ما بين

(١٨٧٨-١٩٢٣)

1- أوضاع إيطالية بعد النهضة الإيطالية

واجهت إيطاليا بعد حصولها على وحدتها السياسية مشاكل عدّة؛ أثرت في مسيرتها التاريخية بشكل كبير وعلى رأسها المشاكل الاقتصادية التي عُدّت من أصعب ما واجهته، إضافة إلى مشاكل سياسية ترتبت على دخولها حرب القرم^٦ إلى جانب الدولة العثمانية وفرنسا وإنجلترا ضد روسيا القيصرية.

1-1- الأوضاع السياسية

بدأت النهضة الأوروبية في مدن شبه الجزيرة الإيطالية، وازدهرت فيها بعد أن حققت إيطاليا وحدتها تحت زعامة بيت سافوي عام ١٨٧٠، فسعت لتجعل لنفسها مكانًا تحت الشمس، ولاسيما بعد أن أحاطتها مجموعة من الظروف دفعتها إل النزول إلى الميدان الاستعماري لتحصل على نصيبها من المستعمرات، وكان أهم هذه الظروف يعود إلى تزايد عدد السكان باطراد، وعجز الأراضي الصالحة للزراعة عن استيعابهم، وكذلك حاجة الصناعة الإيطالية الناشئة إلى مقوماتها الأساسية من مواد خام وأسواق تصريف، فضلًا عن رغبة الإيطاليين باستخدام رؤوس أموالهم في استثمار موارد البلدان التي ينزحون إليها، ولا يمكن إغفال أن هدف إيطاليا بالتحريير والوحدة السياسية كلف نفقات باهظة وقع كاهلها على أهل الجنوب؛ فازدادت معها الشعارات المنادية بالتوسع بوصفها ضرورة لرفع مستوى المعيشة في شتى الجهات^٧، وهذا أدّى إلى تدهور السياسة الإيطالية هناك، مع قناعة الإيطاليين أن التوسع ضرورة قومية لتشغيل الأيدي العاملة الإيطالية واستعادة مجد روما، وبناء على ذلك اعتقد المستعمرون الإيطاليون أن التوسع الاستعماري سيكون عاملاً أساسيًا في حل المشاكل المستعصية في إيطاليا وفي مقدمتها الاقتصاد والبطالة، وهناك أيضًا أمر على قدر كبير من الأهمية لا يجوز إغفاله وهو الذي دفع الإيطاليين نحو الاستعمار وهذا الأمر هو الشعور بالنقص الذي نشأ بين الإيطاليين منذ مدة طويلة نتيجة عجزهم

^٦ وثائق وزارة الخارجية البريطانية، دار الوثائق القومية بالقاهرة، ملف ١٣، المحفوظة رقم (٣).

^٧ منسي، محمود حسن صالح. (١٩٨٠)، الحملة الإيطالية على ليبيا. دار الطباعة الحديثة. ص: ٢٢.

عن تحقيق أي شيء من التوسع في الوقت الذي تسابقت فيه الدول الغربية العظيمة إلى امتلاك المستعمرات في أنحاء المعمورة وتكوين إمبراطوريات استعمارية شاسعة في وقت أقلت من أيدي الإيطاليين فرص عديدة، جعلتهم يشعرون أنهم ما يزالون في عداد الدول الصغيرة فكان لابد من التخلص من هذا الشعور .

برز ثلاثة من المستعمرين الإيطاليين هم (فرانيسكو كرسبي Francesco Crispi - Giovanni Giolitti جيوفاني جيوليتي^٩ - Italo Balbo إيطالو بالبو^{١٠})، أطلقت عليهم الصحف الإيطالية لقب (فرسان الاستعمار الثلاثة)، ومعهم تحولت أنظار إيطاليا إلى السيطرة على طرابلس الغرب بوصفها بديلاً عن تونس، ولاسيما بعد أن تحسنت العلاقات البريطانية- الإيطالية، بسبب انهيار الصداقة الفرنسية- البريطانية وذلك في أثناء التنافس البريطاني- الفرنسي على منطقة البحر الأحمر، وتعرض أمن البحر إلى التهديد، وهذا جعل بريطانيا تجد في إيطاليا القوة أو الدولة التي يمكن أن توازي فرنسا في منطقة البحر الأحمر، لذلك أخذت بريطانيا تشجع إيطاليا على توسيع نطاق ممتلكاتها على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر التي كانت في ذلك الوقت محدودة لا تتجاوز ميناء عُصب^{١١}، فكان كرسبي في مقدمة الساسة الإيطاليين الذين رحبوا بالتعاون مع بريطانيا لمساومتها في أمور شمال أفريقيا^{١٢}، إلا أن هزيمة إيطاليا المروعة على يد الأحباش في واقعة عدوه عام ١٨٩٦م^{١٣}، جعل إيطاليا تتخلى مؤقتاً عن أحلامها في إمبراطورية واسعة شرقي إفريقيا، مكتفيةً بالشمال الإفريقي (طرابلس الغرب) بالذات، فبعد أن توصلت الدولتان (الإيطالية والبريطانية) إلى عقد اتفاقية سرية في ١٢ فبراير ١٨٨٣، اتفق فيها الطرفان على العمل للمحافظة على الوضع القائم في البحر المتوسط والبحر

^٨ فرانيسكو كرسبي ولد عام ١٨١٨ في ريبيرا الإيطالية وتوفي عام ١٩٠١ في نابولي، كان سياسي إيطالي مخضرم تولى رئاسة الحكومة في إيطاليا مرتين، حيث استقال من وزارته الثانية بعد هزيمة القوات الإيطالية الغازية للحبشة في معركة عدوة، واستلم رئيس وزراء إيطاليا ١٨٨٧-١٨٩١. للمزيد انظر:

Francesco, Tomas: **the memoirs of Francesco Crispi**, volume3, scholar select, p: 42.

^٩ هو جيوفاني جيوليتي الذي يعتبر ثاني أطول رئيس وزراء يخدم في تاريخ إيطاليا بعد بينيتو موسوليني، كان قائدا بارزا في اليسار الليبرالي، ويعتبر أحد السياسيين الأقوى والأكثر أهمية في التاريخ الإيطالي، وبسبب موقعه المهيمن في السياسة الإيطالية اتهمه النقاد بالديكتاتور البرلماني، كان جيوليتي حاصلاً على درجة الماجستير في الفن السياسي.

^{١٠} إيتالو بالبو قائد عسكري وسياسي إيطالي ولد عام ١٨٩٦ وتوفي عام ١٩٤٠ في طبرق، كان له دور كبير في استعمار ليبيا وتحولها إلى جزء متمم لإيطاليا، وفي عام ١٩٣٣ عُين حاكم عام للمستعمرة الإيطالية الليبية، للمزيد: بيشون، جان. (١٩٩١). **المسألة الليبية في تسوية السلام**. ليبيا. طرابلس. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. ص: ٣٦١-٣٦٢.

^{١١} كان الميناء الرئيسي لإثيوبيا إبان الاحتلال الإثيوبي لإريتريا، وبعد الاتفاق مع الإيطاليين تم إنشاء شركات ملاحية في ميناء عُصب

^{١٢} صفوت، محمد مصطفى. (د.ت). **الاحتلال الإنكليزي لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه**. دار الفكر العربي، ص: ٥٩.

^{١٣} شكلت معركة عدوة جزء من الحرب الإيطالية- الأثيوبية الأولى والتي حققت نصراً أثيوبياً حاسماً عندما حاولت إيطاليا غزوها في محاولة منها للتحكم بمدخل البحر الأحمر بعد أن استولت بريطانيا على قناة السويس، للمزيد:

Berkeley, G. F. H, (1902). **The campaign of Adowa and the rise of Manlike Westminster**, constable, p403.

الإدرياتيكي وبحر إيجة والبحر الأسود بحرية التجارة لكلا الطرفين، وستؤيد إيطاليا بريطانيا في مصر مقابل تأيد بريطانيا لها في طرابلس الغرب وبرقة، وفيما بعدّ عندما حل موعد تجديد الاتفاقية عام ١٩٠٢ أصرت إيطاليا على عدمّ تجديدها إلا إذا اعترفت بريطانيا بحق إيطاليا في احتلال طرابلس الغرب وبرقة، فاعترفت بريطانيا بذلك وهذا يعني أن الاتفاقيات جميعها عبارة عن مصالح استعمارية على حساب الشعوب العربية.

ومع انعقاد مؤتمر برلين^{١٤}، عام ١٨٧٨ الذي عملت فيه ألمانيا على استمالة إيطاليا، كانت قد وقفت بوجه روسيا وأجبرتها على قبول تحكيمها غداة انتصارها على الدولة العثمانية، وهذا أجبر روسيا على الانسحاب من حلف الأباطرة الثلاثة^{١٥} تدريجياً.

وبادرت ألمانيا مسرعةً إلى عقد تحالف ثنائي مع النمسا عام ١٨٧٩، ونصّت معاهدته على أن تبادل كل منهما إلى مساعدة الدولة الأخرى وفي ٢٠ أيار ١٨٨٢ انضمت إيطاليا إلى التحالف الثنائي النمساوي-الألماني ليقوم التحالف الثلاثي (النمسا-ألمانيا-إيطاليا) وقد دام هذا التحالف حتى قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وكان يجدد كل خمس سنوات.

كانت إيطاليا آخر الدول الأوروبية التي دخلت مجال التوسع الاستعماري، لكن قرب ليبيا منها جعلها تفكر في التوسع للحصول عليها، فكان على إيطاليا التي لم تكن محسوبة من الدول الكبرى آنذاك أن تحصل على موافقة الدول الاستعمارية الأخرى لتنفيذ مشروعها في احتلال ليبيا، وعلى ذلك فقد استطاعت أن تحصل على موافقة كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا وروسيا في أثناء الأعوام الممتدة من ١٨٩٨ - ١٩٠٤ بموجب اتفاقيات مع هذه الدول^{١٦}.

¹⁴ سيتم ذكر المؤتمر كاملاً في الفصل الثاني.

¹⁵ نجح بسمارك في إقامة ما سمي (حلف الأباطرة الثلاثة) عام ١٨٧٢ إذ دعا إمبراطور النمسا وقيصّر روسيا إلى برلين للمزيد: البيطار، فراس.(د.ت). **الموسوعة السياسية والعسكرية**. عمان دار أسامة للنشر والتوزيع. ص: ٤١٥ - ٤٣٢.

¹⁶ مقدمات الاحتلال الإيطالي لليبيا ١٩١١، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، الحواس الغربي، ٨ مايو ١٩٤٥

توجّهت سياسة كل من إيطاليا وألمانيا إلى دعم علاقتهما ببعضهما البعض وعزل فرنسا والوقوف أمام توسعتهما، ولاسيما أنه لم يكن هناك أية مشكلات بينهما تُعرّض علاقتهما إلى التوتر فألمانيا لم يكن لها اتجاه نحو الشمال الإفريقي تنافس فيه إيطاليا^{١٧}.

على حين واجهت الدبلوماسية الإيطالية صعوبة في علاقاتها مع النمسا والمجر؛ بسبب تعارض مصالحهما في منطقة البلقان والبحر الأدرياتيكي، وسيطرة النمسا على أجزاء من الأراضي الإيطالية، هذا ما وترت العلاقات بينهما^{١٨}، ولكن بدعم ألمانيا وقّعت معاهدة التحالف الثلاثي^{١٩} في ٢٠ مايو ١٨٨٢ التي تضمّنت عزل فرنسا^{٢٠}، وضرورة الحصول على اعتراف صريح من دول الحلف بمطالب إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب، وأن تتال نصيبها في منطقة البلقان، ثم جُددت المعاهدة خمس سنوات أخرى عام ١٨٨٧ وقد ألحقت فيها اتفاقيتان الأولى بين ألمانيا وإيطاليا بشأن البحر المتوسط " أنه إذا هاجمت إيطاليا فرنسا في أوروبا نتيجة توسع النفوذ الفرنسي في طرابلس فإن ألمانيا ستؤيدها بقوة مسلحة"^{٢١}، أما الاتفاقية الثانية بين النمسا وإيطاليا بشأن منطقة البلقان؛ فإذا ما أخذت النمسا والمجر في احتلال أرض احتلالاً دائماً أو حتى مؤقتاً سيكون لإيطاليا الحق في تعويضها، و جُددت معاهدة الحلف للمرة الثالثة في شهر مايو ١٨٩١، تعهدت فيه ألمانيا بمساندة إيطاليا في الحصول على امتيازات أو على احتلال طرابلس الغرب وبرقة^{٢٢}، وبعد ذلك جُددت المعاهدة للمرة الخامسة عام ١٩٠٢، إذ ألحق فيها اتفاق نمساوي- إيطالي جاء في شكل تصريح من قبل النمسا ليكون بمنزلة اعتراف من حكومة فيينا بإطلاق يد إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب^{٢٣}، وبعد انقلاب جماعة الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٨، قامت النمسا بالاستيلاء على إقليمي البوسنة والهرسك وهذا يعدّ خرقاً بالالتزام

¹⁷ ياخيموفتش، ز.ب.(١٩٧٠). الحرب التركية- الإيطالية ١٩١١-١٩١٢. ترجمة هاشم صالح التكريتي ط١. بنغازي منشورات الجامعة الليبية. ص: ٤٣.

¹⁸ يحيى، جلال. (١٩٦٦). المغرب الكبير في العصور الحديثة.. ط١. القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر. ص: ٧٢٤.

¹⁹ تحالف عسكري جمع ألمانيا والنمسا وإيطاليا استمرّ من عام ١٨٨٢ حتى قيام الحرب العالمية الأولى

²⁰ رونوفن، بيري. (١٩٧١). تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٨٤٧. ترجمة جلال يحيى. دار المعارف. ص: ٥٨٦-٥٨٧، ٥٩٣.

²¹ Pontil, lame. (1964). diterrane et les puissance depuis. Paris Pontil p: 57.

²² بأزمة، مصطفى (١٩٧٣). تاريخ ليبيا في عصر ما قبل التاريخ. بنغازي. دار صادرص: ٢٣.

²³ - Auter .M .H (1929). histoire diplomatique de l europe 1871-1914. Paries. les presse universitaires de France. p: 197.

الإيطالي، وهذا دعا إيطاليا إلى التصريح بأنها ستكون إلى جانب إنجلترا في حال أي صدام بين النمسا والمجر وإنجلترا، واستطاعت إيطاليا التقرب من روسيا وتوقيع اتفاقية راونيجي^{٢٤} عام ١٩٠٩، اعترفت فيها روسيا بمصالح إيطاليا في طرابلس الغرب وهنا بدأت إيطاليا الإعداد لهذا الغزو^{٢٥}.

أما عن العلاقات الإيطالية- البريطانية فقد بدأت عندما طلبت بريطانيا أن تشاركها إيطاليا في حملتها ضد مصر ١٨٨١ إلا أن إيطاليا رفضت الطلب^{٢٦}، وشعرت إيطاليا بإمساك بريطانيا لمنافذ البحر المتوسط لذلك حرصت على أن تظل علاقتها طيبة معها، كذلك عملت بريطانيا على إرضاء إيطاليا التي وصلت إلى القوة والوحدة عام ١٨٧٠^{٢٧}.

وبعدّها تحسّنت العلاقات الإيطالية- البريطانية؛ حتى توصل الطرفان إلى تجديد التفاهم بينهما عام ١٨٨٧، إذ ستؤيد فيه إيطاليا أعمال بريطانيا في مصر، مقابل دعم بريطانيا لأعمالها شمال إفريقيا ولاسيما في طرابلس الغرب وبرقة^{٢٨}، إذ كان الهدف الإيطالي يصب في عَدَم خسارة إيطاليا لطرابلس الغرب كما حصل في تونس.

أما بشأن العلاقات الإيطالية- الفرنسية فلم يقتنع الاستعمار الفرنسي بالسيطرة على تونس فقط لذلك استولّى على منطقة بحيرة تشاد ومناطق أخرى من إفريقيا تتاخم طرابلس وبرقة من الغرب والجنوب، فعملت فرنسا على الاستيلاء على الأطراف البعيدة، مع احتجاجات الدولة العثمانية واعتراضاتها وسخط الأوساط الحاكمة في إيطاليا^{٢٩}، فكانت إيطاليا قد وجهت أنظارها إلى تونس؛ بسبب وجود الجالية الإيطالية هناك التي كانت من

²⁴ أسهمت الأزمة البوسنية في التقارب بين روسيا وإيطاليا، في أكتوبر ١٩٠٩ وُقِعَ اتفاقية سرية بين روسيا وإيطاليا في مدينة راونج الإيطالية تضمنت دعم إيطالي للحفاظ على الوضع الراهن في البلقان، ومساعدة في فتح مضيق البحر الأسود للسفن لروسيا، مقابل حياد روسيا في حالة استيلاء إيطاليا على مناطق شمال إفريقيا ومنها ليبيا التي كانت خاضعة للحكم العثماني

²⁵ Auter (1929), P: 120.

²⁶ العرفاوي، محمود (١٩٩١). مخاض الإمبريالية والفاشية والإيطاليين. ترجمة عمر طاهر. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات

التاريخية. الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى. ج. ٢. ص ٣٥٢.

²⁷ الدسوقي، محمد كمال (د. ت). تاريخ أوروبا الحديث ١٨٠٠-١٩١٨. أسبوط مطبعة النهضة الجديدة. ص ٢١٣.

²⁸ الحصري، ساطع (١٩٦٥). البلاد العربية والدولة العثمانية. بيروت. ص: ١٧٥.

²⁹ H. Herder. (1962). A short history of Italy. Cambridge university press. London .p: 187.

أكبر الجاليات الأجنبية، وكذلك اللغة الإيطالية وهي اللغة الأولى التي يستخدمها المستوطنون، وحصولها على امتيازات كثيرة في تونس أهمها استخراج الرصاص³⁰.

خشيت فرنسا من تقاوم التوتر بينها وبين إيطاليا على الحدود التونسية- الليبية الذي قد يؤدي إلى قيام حرب تهدد وجودها في تونس والجزائر، لذلك اضطرت إلى طمأنة إيطاليا لتهدئة التوتر والتأكيد لها بعدم وجود مصالح فرنسية في طرابلس الغرب، إذ حاولت فرنسا أن تحول دون معارضة إيطاليا لها في تونس فأشارت إلى أنه في وسع إيطاليا أن تحتل طرابلس الغرب، فتجد خير عوض عن أطماعها في تونس وهي بدورها لن تعارض مثل هذا العمل³¹، وعلى إثر ذلك أبرمت فرنسا اتفاقية سرية مع إيطاليا عام ١٨٩٠ أطلقت بمقتضاها يد إيطاليا في طرابلس الغرب، وتعهدت بالمحافظة على امتيازات الرعايا الإيطاليين في تونس³²، وهكذا تحسنت العلاقات بين الطرفين وأبرم الاتفاق المؤرخ في ديسمبر ١٩٠٠ في روما بشأن المغرب العربي؛ بين Bayer سفير فرنسا في روما وVisconti وزير الخارجية الإيطالي وسميت اتفاقية (باير- فيسكونتي)، وتضمنت عدم منافسة فرنسا لإيطاليا وحريتها في طرابلس وبرقة بوصفهما تابعتين لها³³، فكان الهدف من هذه التسوية إنهاء التنافس والتدافع إلى تقسيم النفوذ، وسارعت الحكومة الإيطالية عام ١٩٠٢ إلى تأكيد اتفاقية ١٩٠٠، بينها وبين فرنسا بقصد إنهاء أي خلافات بين البلدين بخصوص مصالحها في البحر المتوسط³⁴، واستمر بعدها تحسن العلاقات بينهما أكثر فأكثر، وتقربت إيطاليا من فرنسا إذ وقعت إيطاليا في مؤتمر الجزيرة الخضراء عام ١٩٠٦ إلى جانب فرنسا، وحصلت منها على الضمانات السابقة بحرية تصرفها في طرابلس الغرب نتيجة موقفها هذا³⁵.

أما عن الاتفاق الإيطالي- الروسي؛ فلم تكن روسيا قلقةً بادئ الأمر من الحرب الإيطالية- العثمانية إلا أن الحلف الثلاثي يشكل خطرًا على سياستها في البلقان وهذا جعلها تقترب من إيطاليا، وتتشغل بالمسألة

³⁰ Denys (1963). the Italian Renaissance in its historical background. Cambridge university press p: 186.

³¹ Denys. ibid. p: 180.

³² مناع، محمد عبد الرزاق (١٩٧٢). جنود النضال العربي في ليبيا. ط ٢. طرابلس مكتبة الفكر. ص: ١٥.

³³ روسي، توري (١٩٧٤). ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١. ترجمة خليفة محمد التليسي. بيروت دار الثقافة. ط ١. ص: ٣٦٦.

³⁴ الملحق الاتفاق الموقع في روما أول نوفمبر ١٩٠٢ بين فرنسا وإيطاليا بقصد إنهاء الخلاف.

³⁵ لندو، روم (١٩٦٣). تاريخ المغرب العربي في القرن العشرين. ترجمة نيقولا زيادة. دار الثقافة بيروت. ص: ٩٢-٩٣.

و تايلور أ. ج. ب (١٩٨٠). الصراع على السيادة في أوروبا ١٨٤٨-١٩١٨. ترجمة كاظم هاشم نعمة ويوسف عزيز. بغداد دار الكتب للطباعة والنشر. ص: ٤٩٩.

الطرابلسية^{٣٦}، إذ كانت روسيا تسعى للسيطرة على المضائق العثمانية؛ لأنها السبيل الوحيد إلى مياه البحر المتوسط، فتوصلت إيطاليا وروسيا عام ١٩٠٩ إلى اتفاق راكونيجي الذي أخذ اسم المدينة الإيطالية التي التقيا فيها، إذ جاء البند الخامس منه كما ذكرنا سابقاً تأييد روسيا لمصالح إيطاليا في إقليم طرابلس وبرقة، مقابل تأييد مصالحها في مسألة المضائق، هكذا استطاعت إيطاليا أن تبني شبكة من التحالفات الدولية مؤيدة لمصالحها في ولاية طرابلس الغرب، وكان ذلك أحد الشروط الضرورية لإطلاق حملة الغزو العسكري على طرابلس الغرب في أواخر عام ١٩١١.

³⁶ رونوفن (١٩٦٠)، ص: ١٩.

1-2- الأوضاع الاقتصادية

حققت إيطاليا وحدتها متأخرة فلم تصل إليها إلا في القرن التاسع عشر، شأنها في ذلك شأن ألمانيا ويعود ذلك إلى مجموعة من الأسباب كان أبرزها؛ ازدياد قوة البابوية واهتمامها بالشؤون العلمانية والسياسية إلى جانب الشؤون الكنسية والروحية، إذ كانت البابوية ترى في اتحاد إيطاليا حرماناً لها من سلطانها السياسي ومن سيطرتها على الإمارات، وقد أعانها على تحقيق هذه السياسة مساعدة الدول الكاثوليكية، وفضلاً عن ذلك اختلاف العرق والعادات في أنحاء شبه الجزيرة الإيطالية وهذا كان عائقاً أمام وحدتها، فالمبراديون³⁷ مثلاً يختلفون اختلافاً بيناً عن سكان نابولي الذين هم من اسكندنافيا، ليس من ناحية العرق فقط بل من ناحية اللغة والتطور التاريخي أيضاً، ولكن سرعان ما كانت هذه الفوارق تختفي تحت تأثير عوامل كانت تربط بين أفراد الشعب الإيطالي، فهناك عظمة تاريخهم الماضي يوم كانت فيه إيطاليا قلب الإمبراطورية الرومانية وصاحبة السيطرة على كثير من شعوب أوروبا، وهناك ما تزدهر فيه أيضاً بميادين الأدب والفنون، بألوانها المختلفة ومن ذلك أشعار دانتي الخالدة وتاج عصر النهضة بثرائه الوفير وكنوزه الرائعة.

وتجب الإشارة هنا إلى أنه ليس الخير وحده من يجمع الناس إنما تجمع بينهم المحن أيضاً، فالإيطاليون الذين كانوا يقاسون من سيطرة النمسا عليهم هذه السيطرة التي فرضها الحلفاء عليهم في تسوية فينا ١٨١٥ التي أصبحت إيطاليا بمقتضاها تعبيراً جغرافياً، إلا أن إيطاليا نجحت بعد ذلك في ضم كل من البندقية وروما عام ١٨٦٦³⁸.

لحق هذه المرحلة قيام الثورة الصناعية في عدد من الدول الغربية الذي أفضى إلى قيام عصر جديد ترك لمساته على الملامح الحضارية للعالم بأسره، إذ بدأ هذا العصر مع اكتشاف الطاقة البخارية وتسخيرها في الميدان الصناعي وميدان المواصلات خصوصاً، و طبقت استعمالاتها في السفن والقطارات، وهذا أدى إلى اختزال المسافات، فضلاً عن تطبيق الآلة في الصناعات النسيجية والمعدنية وغيرها، وهذا بدوره أدى إلى

³⁷ من لمبارديا شمال إيطاليا عاصمتها ميلانو.

³⁸ راشد، زينب عصمت (د. ت). تاريخ أوروبا الحديث. القاهرة دار الفكر العربية. ص: ٣٣١.

مضاعفة الطلب على المواد الخام التي تشكل مواد أولية لكل الصناعات^{٣٩}، فتطورت الصناعة وازدادت ثروتها وبدأ طلاب العلم فيها بدراسة الفن القديم والآداب والعلوم المختلفة، وهذا زاد من الأهمية الكبيرة لإيطاليا ولاسيما وقوعها على مركز التجارة العالمية وهو ساحل البحر المتوسط، فلذلك شكلت حلقة وصل بين أوروبا والدول الواقعة شرق البحر المتوسط وكذلك دول الشرق الأدنى، الأمر الذي أكسبها ثروة كبيرة بسبب تطور تجارتها وتوسعها وتطور صناعاتها، وساعد ذلك في الاتجاه نحو الفن ودراسة العلوم والآداب.

ولا نغفل عما أداه الاهتمام الكبير الذي أولي للسياسة الخارجية للانصراف عن العناصر الزراعية التي بدأت قوتها تتراجع منذ عام ١٨٧٣، إذ طالبت القوى الراديكالية والمحافظة في البرلمان الإيطالي الحكومة في البحث في كيفية تحسين الزراعة في إيطاليا، وأظهر البحث الذي بدأ عام ١٨٧٧ ونشر بعد ثماني سنوات أن الزراعة لا تتحسن وأن ملاك الأراضي يبتلعون إيرادات أراضيهم ولا يسهمون بشيء تقريباً في تنمية الأرض، هنا تأزم وضع الطبقة الدنيا من الإيطاليين؛ بسبب تقسيم الأراضي المشاع التي انحصرت على الملاك فقط للاستفادة منها، فمعظم العاملين في الأراضي الزراعية لم يكونوا قرويين، وإنما كانوا عمالاً لأجل قصير يعملون في أحسن الأحوال مدة عام واحد، و انتشرت الأمراض والأوبئة بما في ذلك انتشار وباء الكوليرا الذي أودى بحياة ٥٥ ألف شخص على الأقل^{٤٠}.

عانت إيطاليا أيضاً اقتصادياً؛ بسبب الإفراط في إنتاج العنب في سبعينيات القرن التاسع عشر وثمانيناته، عندما كانت صناعة كروم العنب في فرنسا تعاني من أمراض تسببها الحشرات، فازدهرت إيطاليا في أثناء ذلك الوقت بوصفها أكبر مصدر للنبيذ في أوروبا وبقيت كذلك حتى ظهر الانتعاش الفرنسي في هذا المجال عام ١٨٨٨ اضطر مزارعو جنوبي إيطاليا إلى تقليص الإنتاج وهذا تسبب في زيادة معدلات البطالة والإفلاس^{٤١}.

كان النظام المالي من أحسن الأنظمة في أوروبا، وكان ثمة أوجه شبه بين هذه الدولة وبين دولة بروسيا في ألمانيا، وكانت الحكومة تشجع الصناعة والتجارة وكان الملك بنفسه يراهما، أضف إلى ذلك أن الحكومة

³⁹ القروي، إسماعيل مولود (١٩٩٣). التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري للبيبا ١٨٨٢—١٩١١، ط١. المجلس القومي للثقافة

العربية. ص: ١١.

⁴⁰ Smith (1997), p: 133-137.

⁴¹ ibid (1997), p: 139.

كانت تحمي الناس من التعدي عليهم وتضع القوانين للترفيه عن الفقراء، وكان أكثرية الشعب لا يعبأ بالحرية السياسية أو الحرية الدينية؛ لذلك فإن الحقوق السياسية والتقدم الاجتماعي لم يعبأ فيهما الملك ولا الشعب^{٤٢}.

أما بعد عصر النهضة فقد اختلف الوضع اختلافاً كلياً؛ إذ اشتغلت المدن الإيطالية بالتجارة وهذا أدى إلى توافر المال، وساعد بدوره العلماء على البحث والتنقيب والإصرار على العمل والدرس فقط من دون الاهتمام بالأشياء المادية اهتماماً ملحوظاً، فضلاً عن ذلك فقد تقدمت الصناعة ونمت تجارة الحرير وكثرت المغازل، وانتشرت زراعة القطن أيضاً، ويجب الإشارة هنا إلى أن إيطاليا قد ظهرت في معرض تورين عام ١٨٨٤ بوصفها أمة صناعية عظيمة، بعدما لم يكن لها صناعة تذكر عام ١٨٥٩، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن إيطاليا ترغب في التخلص من القيود الاقتصادية، كما تخلصت من القيود السياسية، وليست الزيادة المطردة من واردات المواد الخام كالفحم والحديد والأقطان إلا دليلاً على رغبة إيطاليا في أن تكون أمة صناعية مستقلة بذاتها، وهذا خير دليل على أن بلاد خالية من الوقود والمعادن تستطيع أن تكون ذات صناعة حديدية مهمة^{٤٣}.

ومع التوحيد واجهت المملكة الجديدة مشاكل اقتصادية وسياسية وإقليمية واجتماعية خطيرة، وبقيت تعتمد اقتصادياً على التجارة الخارجية ولاسيما الحبوب والفحم، وغلب على المجتمع حينها الطابع الزراعي فنسبة ٦٠% من السكان النشطين يعملون بالزراعة، ثم ظهر التقدم التكنولوجي وبيع العقارات الكنسية والمنافسة الأجنبية جنباً إلى جنب مع فرص التصدير^{٤٤}، ومع كل هذا فإن التطورات لا تعود بالفائدة على الإيطاليين جميعاً، فمثلاً الزراعة في جنوبي إيطاليا تعاني من صيف حار وجفاف للمحاصيل فضلاً عن التضرر بوجود الملاريا؛ الذي منع الزراعة في المناطق المنخفضة على طول ساحل البحر الأدرياتيكي في إيطاليا.

⁴² كنج، بولتن (د. ت). الوحدة الإيطالية. ترجمة طه هاشمي. شركة هنداي. ص: ٣٨.

⁴³ قاسم، محمد وحسني، حسين (١٩٢٩). تاريخ القرن التاسع عشر. ط ٩. القاهرة دار الكتب المصرية. ص: ٢٣٢.

⁴⁴ Thayer:john(1964). Italy and great war:Madison and Milwaukee. University of Wisconsin.p: 60-86.

1- 3 - الأوضاع الاجتماعية والثقافية

كانت المدن الإيطالية مثل فلورنسا والبندقية مهينة لاستقبال العلوم والفنون المختلفة، فقد تخلصت من النظام الإقطاعي، واستقلت بنفسها وتحررت فكرياً وازدادت ثروتها، وشجعت على عمل الأدباء والفنانين؛ ففي ثراء إيطاليا فائدة تعود عليها في اقتناء الكتب واللوحات الفنية النادرة، واستطاع الطلاب الإيطاليون بفضل موقعها المتميز أن ينهلوا من الواجهات الأوروبية الأخرى.

وقد كان كابوس الإكليروس^{٤٥} جائئاً على البلاد، فاستطاع اليسوعيون عام ١٨١٨ أن يستعيدوا نفوذهم و ينشئوا المدارس؛ التي خرّجت أعداداً كبيرة من أبناء الأغنياء، و لم يسمح لليهود باستخدام الوظائف العامة ولا بدخول الجامعات، وهنا نستنتج أن الحكم كان للأشراف والإكليروس والجيش، أما عن التعليم فكان متأخراً وكان معظم العمال والقرويون أميين ويكاد الرهبان يكونون وحدهم المتعلمين والأساتذة، فمع اختلاف اللهجات واللغات في كثير من المناطق إلا أن الأدب كان مشترك حيث كانت معظم المناطق تفخر بدانتى الجييري Dante^{٤٦} Aligheri و نيكولو ميكافيللي Machiavelli Niccolo^{٤٧} فضلاً عن ذكرى مشتركة لماضي مجيد كانت فيه روما تحكم العالم.

كان المجتمع الإيطالي مؤلفاً من طبقات عدّة واختلفت هذه الطبقات من ولاية إلى أخرى فمثلاً في روما كانت الطبقة الأقوى طبقة الإكليروس التي بلغ عددها مئة وخمسين ألفاً، أما الطبقة الثانية فكانت طبقة الأشراف التي جاءت بعدها الطبقة الوسطى التي تُعدّ خير طبقات الأمة وأخيراً الطبقة الرابعة وهي طبقة العمال التي لم تختلف حالتها عن حالة الطبقة الوسطى من العمال وصغار الكسبة من الاضطهاد، أما في فلورنسا والمناطق الشمالية فكانت طبقة البرجوازية والتجار والعمال، أما في الولايات الجنوبية فكانت طبقة الإقطاع والفلاحين، وفي

⁴⁵ الإكليروس هم طبقة رجال الدين التي كانت حاكمة ومتسلطة.

⁴⁶ دانتى أليغييري شاعر إيطالي من فلورنسا، أعظم أعماله الكوميديا الإلهية المكونة من ثلاثة أقسام الجحيم والمطهر والفردوس، كما يسمى أبو اللغة الإيطالية، للمزيد: الجييري، دانتى. الكوميديا الإلهية. ترجمة حسن عثمان. دار المعارف. ص: ١٤ - ٤٢.

⁴⁷ نيكولا ميكافيللي مفكر وفيلسوف سياسي إيطالي أبان عصر النهضة أشهر كتبه على الإطلاق كتاب الأمير والذي قدم فيه نصائح للحاكم نُشر الكتاب بعد وفاته، للمزيد: أحمد، كمال مظهر. (١٩٨٤). كتاب ميكافيللي والميكافيلية. بغداد. الموسوعة الصغيرة. ص: ١٤٠ - ٢١٠.

حضيض تلك الطبقات نرى طبقة الدهماء البائسة التي نسيتهها الحكومة وغفلت عنها ولم ينتبه إليها الأحرار، ومن هذه الطبقة الفلاحون الذين كانوا أتعس حالاً من العبيد^{٤٨}.

لكن بعد عصر النهضة تغير الحال بالنسبة إلى إيطاليا فتمثل بإحياء الدراسات القديمة والتراث الروماني واللاتيني، و شاهدنا في تلك المدة أهم مظاهر النهضة الأدبية التي تمثلت بإنشاء المكتبات^{٤٩}.

عانى المجتمع الإيطالي عام ١٨٨١ من انتشار وباء كبير (المالريا)، ورافق العام نفسه ارتفاع معدّل الوفيات إذ كان يموت ٣٠ شخص من كل ألف، ولاسيما معدّل وفيات الأطفال ففي السنة الأولى من عمرهم كان يموت نسبة ٢٢،٧%، على حين أن نسبة الأطفال الذين يموتون في عامهم الخامس كان مرتفعاً جداً بنسبة ٥٠%، وذلك بسبب المالريا والأوبئة المنتشرة، ففي عام ١٨٨٧ كان أول تجمع كبير للإحصائيات الصحية بمعدّل وفيات وقدره ٧١٠ شخصاً لكل مليون نسمة، فكان المرض في إيطاليا شديداً على طول السواحل التيرانية والأيونية، وكان أخف شدة في الأقاليم المنخفضة فينييتو وتوسكانا والمقاطعات الجنوبية وجزر سردينية وصقلية، و تسبب أيضاً انتشار هذا المرض في انعدام الزراعة في أكثر من مليوني هكتار من الأراضي الزراعية، ولكن انخفضت هذه النسب بين عامي ١٨٩٠-١٩٠٠ إلى ٢٤،٢ لكل ١٠٠٠ شخص^{٥٠}، وكذلك تحسّنت الزراعة والمحاصيل؛ وذلك بسبب تحسّن مستويات المعيشة والتطور الطبي، واستخدام الأدوية المضادة للمالريا كالكينين^{٥١}، صبغة واربورغ^{٥٢}، أزرق الميثياتين^{٥٣}، والكلوركين^{٥٤}، والأرتيميسينين^{٥٥}، وكذلك استخدام المبيدات الحشرية كالدي دي تي^{٥٦}، وعافر القرحا^{٥٧}، فكان الحد من توطن المالريا يعود إلى قانون صادر عن البرلمان

⁴⁸ كنج، بولتن. (٢٠١٧). الوحدة الإيطالية. ترجمة طه هاشمي. شركة هنداوي. ص: ٦٤-٦٥.

⁴⁹ دوار، عبد العزيز سليمان وجمال الدين، محمود محمد. (د.ت). التاريخ الأوروبي الحديث، دارالفكر العربي. ص: ١٤.

⁵⁰ Smith (1997), p: 108-132.

⁵¹ مستخرج شجرة الكينا، إذ قام كل من الفرنسيين الكيميائي بيير بياتيه والصيدلاني جوزيف كافينيتو عام ١٨٢٠ باستخراج الكينين من لحاء الشجرة وتجفيفه وفرمه وخلطه مع سائل (غالباً النبيذ) لشربه.

⁵² اخترع الطبيب الألماني كارل واربورغ دواءً خافضاً للحرارة، فتبناها الإمبراطور النمساوي عام ١٨٤٧ بوصفه أكثر فعالية ضد المالريا

⁵³ في عام ١٨٧٦ قام الكيميائي الألماني هاينريش كارو بتصنيع أزرق الميثياتين، وفي عام ١٨٩١ استخدم كمضاد للمالريا.

⁵⁴ قام يوهان هانز وزملائه بصنع الريسوشين كبديل للكينين المتصل به كيميائياً، وتمت تسميته رسمياً عام ١٩٤٦ بالكلوروكين.

⁵⁵ قامت فرق بحوث صينية مؤلفة من مئات العلماء بفحص أعشاب صينية طبية، وتمت تسمية التشينغ هاوسو لاحقاً بالأرتيميسينين. عام ١٨٧٤ كقاتل للحشرات.

الإيطالي؛ ينظم إنتاج الكينين وتوزيعه مجاناً، لذلك ولغاية اليوم يعدّ إسهام المدرسة الإيطالية في علم الملاريا واكتشاف آلية انتقال المرض أساسياً في تاريخ هذا الوباء، إذ بدأ برنامج تعاون لمكافحة الملاريا في إيطاليا بدعم من مؤسسة روكفلر عام ١٩٢٤، فضلاً عن إنشاء محطة للمختبرات في روما التي تحولت عام ١٩٣٤ إلى معهد وطني للصحة العامة.

ويروي لنا الباحث (فرانك سنودن) في كتابه غزو الملاريا؛ رصدًا لما حدث في إيطاليا بين عامي ١٩٠٠-١٩٦٢، الصادر عن منشورات جامعة بال الأمريكية، كيف أصبحت إيطاليا المركز العالمي لتطوير علم الملاريا بوصفه نظاماً طبياً، وأطلقت الحملة الوطنية الأولى للقضاء على هذا المرض، ويوضح كيف ساعدت مهن الطب والتدريس على تثقيف الناس للدفاع عن أنفسهم، وفي في أثناء ذلك توسعت الحركة النقابية ونمت حركات الوعي لدى المرأة أيضاً^{٥٨}، أما بعدّ توحيد إيطالية فقد كانت السمات الثقافية المشتركة في إيطاليا؛ هي الطبيعة الاجتماعية المحافظة والاعتقاد القوي في الأسرة والقيم الأبوية^{٥٩}، وكان الكثير من النخب في إيطاليا من ملاك للأراضي و الأثرياء وقد حافظوا على المجتمع الإقطاعي للاستفادة من النظام الزراعي ومن أعداد كبيرة من الفلاحين، فبقي المجتمع الإيطالي في هذه المدة مقسماً للغاية مع وجود تنافس مستمر بين مكوناته^{٦٠}، ونجد أيضاً أنه بعدّ التوحيد لم يكن لها فعلياً لغة وطنية واحدة، فكانوا يستخدمون توسكان^{٦١}، وفي خارجها كانت اللغات الإقليمية مهيمنة^{٦٢}، فضلاً عن محاولات شديدة لمحو الأمية، إلا أنها كانت فقيرة للغاية فمع حلول عام ١٨٨١ كان ٦١،٩% من تعداد الرجال الإيطاليين أميين و ٧٥،٧% من النساء أيضاً أميات^{٦٣}، فكان هذا المعدل أعلى بكثير من نسبة الأمية في بلدان أوروبا الغربية الباقية في تلك المدة، وذلك يعود إلى تقسيم الثقافة الإيطالية بين

⁵⁶ الفضل للكيميائي النمساوي عثمان زيد لرجي، تصنيع أول د يدي تي(ثنائي الكلور وثنائي الفينيل ثلاثي الكلور) •

⁵⁷ مبيد حشري يهاجم الأجهزة العصبية للبعوض وبعدّ عدّة دقائق تعجز الحشرة عن الحركة والطيران على حين تعجز البعوضة الأثني عن القرص.

⁵⁸ العربي الجديد، غزو الملاريا: حدث في إيطاليا بين ١٩٠٠-١٩٦٢، واشنطن ٢٥ مايو ٢٠٢٠.

⁵⁹ Davis·john (2000).Italy in the nineteenth century 1796-1900. Oxford University. p: 114-132.

⁶⁰ Duggan·Christopher(1796).theforceofDESTINY:AHistoryofItalysince—Gentile·Emilio.

p: 90-118.

⁶¹ هي اللغة التي من شأنها أن تكون معروفة آنذاك باسم اللغة الإيطالية في فلورنسا، فضلاً عن لغات أخرى خارجها.

⁶² Gentile(2003), p: 32-70.

⁶³ Hughes·Robert (2001).Roma:A cultural·Visual·and Personal Historyp:p: 243-260.

الطبقة الارستقراطية الطبقة النبيلة والطبقة المتوسطة أما باقي المجتمع فمحروم من حقوقه العلمية، فضلاً عن قلة عدّد المدارس العامة حينها^{٦٤}.

يمكن ملاحظة تبدل الأوضاع في إيطاليا تبدلاً كبيراً بين مرحلتي ما قبل الوحدة وما بعدها ١٨٦١، إذ لحقت بركب الدول الاستعمارية، واتجهت لتجد لنفسها مكاناً تحت ضوء الشمس، فاستطاعت أن تظهر نفسها بين الدول الأوروبية القوية، وتحصل على نصيب في الشمال الإفريقي بعدّ عقد عدّة اتفاقيات مع الدول الأوروبية.

⁶⁴ وإذا ما أردنا الحديث عن الثقافة الإيطالية عمومًا، فنقول: إنها مجموعة من الظواهر الأدبية الناتجة عن الشعوب الإيطالية منذ القديم، إذ إن إيطاليا تتميز بغناها وثقافتها وأثارها المختلفة نذكر من بينها برج بيزا والكولوسيوم الروماني، و تشتهر أيضًا بفن الطهي وهناك أطباق إيطالية شهيرة جدًا، فضلاً عن نبيذها الذي تميز حقبةً طويلة وكذلك لوحاتها الأثرية التي مازال معظمها موجودًا حتى يومنا هذا أي حتى عام ٢٠٢٢، وتصاميمها المتنوعة من الأوبرا إلى دور السينما والمسرح والموسيقى والأدب، انقلاً إلى تاريخ الرسم الروماني الذي اختلط مع أصول فن النحت (الفن الهلنستي) الذي لا تزال نسخه موجودة حتى الآن، فكان القرن الخامس عشر هو البداية والقرنان السادس عشر والسابع عشر هما أوج فن عصر النهضة الكلاسيكي.

2- أوضاع الدولة العثمانية بين عامي ١٨٧٨-١٩٢٣

واجهت الدولة العثمانية الكثير من الضعف والانحطاط في ظل آخر سلاطينها، فأصبحت عاجزة عن مواجهة أي خطر خارجي يهددها ولاسيما أن معظمهم انصرفوا إلى حياة الترف والبلذخ متجاهلين شؤون البلاد.

2-1- الأوضاع السياسية

بدأت حركة الإصلاح الحقيقية في عهد السلطان عبد المجيد الأول ١٨٣٩-١٨٦١^{٦٥}، مع إصدار مرسوم خط شريف كلخانة ١٨٣٩؛ الذي تضمن مجموعة من التشريعات والقوانين، استمدت أصولها من القوانين والتشريعات الأوروبية ولاسيما الفرنسية منها^{٦٦} وجاء فيها "أن الدولة كانت تراعي الأحكام الشرعية فبلغت قمة المجد" ومنذ مئة وخمسين عامًا أهملت الإدارة الشرعية بسبب ما عرض من حوادث^{٦٧}، ثم أصدر قانونًا جديدًا عام ١٨٥٦ خط همايون وكان ما ورد فيه "من بدأ ظهور دولتنا العليا كانت الأحكام القرآنية الجلية والقوانين الشرعية المنفية في غاية المراعاة الكاملة لذلك كانت قوة سلطتنا وثبوتها مع راحة جميع الرعايا ورفاهيتهم وعمار البلاد في غاية ما يكون من الكمال"^{٦٨}؛ وكان ذلك في أعقاب انتصار الدولة العثمانية بمساعدة كل من فرنسا وبريطانيا على روسيا في حرب القرم التي استمرت من عام ١٨٥٣-١٨٥٦، التي عدّها السلطان العثماني مكافأة منه لهذه الدول التي ساندته في حربه، وأكد خط همايون استمرار حركة الإصلاح في الدولة العثمانية لتشمل مرافق البلاد جميعها؛ السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية مستفيدة في ذلك من خبرات الدول الأوروبية، وبالوقت نفسه تضمن هذا القانون مسألة خطيرة جدًا، هي الامتيازات التي حصل عليها الأوروبيون من الدولة العثمانية والتي سمحت لسفرائهم وقناصلهم بالتدخل في شؤون البلاد الداخلية بحجة الدفاع عن رعاياهم، وهذا بدوره أسهم في إضعاف الدولة وتدهورها^{٦٩}.

⁶⁵ هو السلطان الواحد والثلاثون، ولد عام ١٧٧١، واستلم الحكم عام ١٧٩٨ وقد شرع في إصلاح الأحوال الداخلية تسلم الحكم وهو في الثامن عشر من عمره وتوفي بالأربعين بعد أن قضى ٢٢ عامًا في الحكم.

⁶⁶ النجار، جميل موسى (١٩٩٠). الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا. القاهرة مطبعة مدبولي. ص: ٣٠.

⁶⁷ غرابية، عبد الكريم (١٩٦١). سورية في القرن التاسع عشر. القاهرة معهد الدراسات العربية العليا. ص: ٢٦.

⁶⁸ غرابية، المرجع نفسه، ص: ٢٨-٣٠.

⁶⁹ عوض، عبد العزيز محمد. (١٩٦٩). الإدارة العثمانية في ولاية سورية. القاهرة دار المعارف. ص: ١٢.

استمرت حركة الإصلاح في عهد السلطان عبد العزيز^{٧٠} (١٨٦١-١٨٧٦)، إذ أصدر قانوناً جديداً باسم خط الإصلاحات والتنظيمات الجديدة ١٨٧٤؛ أكد فيه مضامين خطي شريف كلخانة وهمايون المتعلقة بحقوق المواطنين في أنحاء البلاد، وفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية الأمر الذي يؤكد استقلالية القضاء، وشدد على قيام المحاكم بتحقيق العدالة و وضع نظام ضريبي يحفظ حقوق المواطنين ويحقق مورداً ثابتاً للدولة، وذلك بتعين جباة للضرائب يتصفون بالنزاهة والأمانة والحرص على مصلحة المجتمع، مع الاهتمام بتنمية الجانب الاقتصادي، وتوفير الغذاء للمواطنين في أثناء تنمية الزراعة وإصلاح الأراضي الزراعية وتطوير التجارة والصناعة لتحسين موارد البلاد^{٧١}.

أما حين تقلد السلطان عبد الحميد الثاني السلطة (١٨٧٦-١٩٠٩)، فكانت الدولة العثمانية قد وصلت درجة من الضعف لم يعد يجدي معها الإصلاحات الشكلية السابقة، فضلاً عن معارضة بعض الدول الأوروبية لأي إصلاح يبعث الحيوية والنشاط لهذه الدولة، ربما كان المقصود هنا بريطانيا وفرنسا اللتان عارضتا الإصلاحات رداً على استعانة السلطان عبد الحميد الثاني بالألمان وليس بهما، ومع ذلك فقد بذل هذا السلطان جهوداً كبيرة من أجل الاستمرار في حركة الإصلاح، فاهتم بالجيش وجلب له خبراء ألمان لتدريبه وتطويره، وأنشأ المدارس العسكرية والمدنية في أنحاء البلاد، وأرسل البعثات الدراسية إلى ألمانيا، وأصدر دستوراً للبلاد نظم قوانينه على أسس عصرية، لكن بقيت هذه القوانين من دون تنفيذ فلم تلتزم فيها سلطات العاصمة العثمانية، فضلاً عن سلطات الولايات^{٧٢}، وليستمر السلطان في حركته الإصلاحية؛ أسند منصب الصدر الأعظم^{٧٣} إلى مدحت باشا^{٧٤} في الثالث عشر من كانون أول لعام ١٨٧٦، وبعدّها أصدر القانون الأساسي للسلطنة العثمانية،

⁷⁰ تولى السلطة في الثاني والثلاثين من عمره، بعد وفاة السلطان عبد المجيد، فوجه عنايته على إصلاح العدلية والبحرية وتعميم المعارف في سائر أنحاء السلطنة.

⁷¹ عوض، مرجع السابق، ص: ٣٢-٣٤.

⁷² مصطفى، أحمد عبد الرحيم. (١٩٨٢). في أصول التاريخ العثماني. بيروت دار الشروق. ص: ٧١.

⁷³ منصب الصدر الأعظم هو رئيس الأمراء وأعظمهم وصاحب الصلاحيات المطلقة في إدارة شؤون الدولة يعادل رئيس الوزراء حالياً للمزيد: بروكلمان، كارل. (١٩٦٨). تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي. ط٥. بيروت دار العلم للملايين. ص: ٤٧٤.

⁷⁴ مدحت باشا أشهر الإصلاحيين العثمانيين الذين تبنا فكرة الإصلاح على الطريقة الأوروبية لقب بأبي الدستور، سعى لإقرار دستور عام ١٨٧٦.

وحدد صلاحيات مجلس الأعيان والمبعوثان^{٧٥}، فأصبح أعضاؤهما يتمتعان بالحصانة البرلمانية، ولهم أيضًا الحرية في إبداء الرأي بما يخص شؤون الدولة كافة، و عمل على المساواة بين جميع مواطني السلطنة في الحقوق والواجبات والحریات ومنحهم حق التعليم^{٧٦}، لكن لم يعمر المجلس طويلاً إذ سرعان ما قام السلطان بحله وتعطيل الدستور بعد أقل من سنة من صدوره، هكذا عادت البلاد إلى الحكم المطلق؛ وهذا ولد ردود فعل عنيفة في أوساط المثقفين الذين قاموا بإنشاء الجمعيات السرية والعننية في استانبول، والقاهرة ودمشق وبغداد وفي عدد من المدن الأوروبية، لمقاومة الحكم الاستبدادي المطلق للسلطان عبد الحميد الثاني، ومن أبرز هذه الجمعيات (جمعية الاتحاد والترقي)^{٧٧}؛ التي قامت بانقلاب على السلطان عام ١٩٠٨، وأقصته عن السلطة عام ١٩٠٩^{٧٨}.

وأخيراً بعد عهد السلطان عبد المجيد الثاني ١٩٢٢-١٩٢٤، نرى الأمور داخل الدولة العثمانية بدأت تتوجه إلى الاعتماد على ضباط الانقلاب العسكري (الاتحاديين والكماليين^{٧٩})^{٨٠}، وظهرت بالوقت نفسه جمعية الاتحاد والترقي على المسرح السياسي، بعد أن كانت تنظيماً سرياً وهي بالفعل الجناح العسكري لتنظيم تركيا الفتاة وبدأت الهزائم بالتتابع على الدولة العثمانية، فضلاً عن الانهيارات الداخلية والخارجية؛ وهذا ما شجع القوميين العرب على البروز وتشكيل الجمعيات السرية، وإصدار الكتب أمثال نجيب عازوري في كتابه يقظة الأمة العربية، والكواكبي في كتابه أم القرى الذي يدعو فيه إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، وكذلك الشاعر السوري إبراهيم يازجي عندما أركى نار القومية (الانفصالية) قائلاً:

تنهبوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

⁷⁵ يشكلان مع بعضهما المجلس العمومي العثماني؛ مجلس المبعوثان يمثل المسلمون فيه ٧١ مقعداً، والمسيحيون ٤٤ مقعداً، واليهود ٤ أما مجلس الأعيان أعضائه من الأعيان تعينهم الحكومة العثمانية.

⁷⁶ الوينية، كامل علي مسعود. (٢٠٠٥). الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب. مركز جهاد الليبيين للدراسة. ص: ٣٩.

⁷⁷ تأسست في استانبول عام ١٨٨٩ من قبل مجموعة من طلبة الطب، ثم أصبحت الفصل الأول في حركة تركيا الفتاة، قامت بانقلاب على السلطان، ووصلت إلى السيادة، ثم ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

للمزيد: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد حرب، دمشق دار القلم ١٩٢٢.

⁷⁸ انطونيوس، جورج. (١٩٨٠) يقظة العرب. ترجمة ناصر الدين وإحسان عباس. بيروت دار العلم للملايين. ص: ١٧٥.

⁷⁹ نسبة لمصطفى كمال أتاتورك، أي أبو الأتراك، مؤسس تركيا الحديثة عام ١٩٢٣.

⁸⁰ حسون، علي. (د. ت). تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية. ط١. المكتب الإسلامي. ص: ٢١٦.

لقد كان السبب الرئيس فيما وصلت إليه الدولة العثمانية من انحطاط وضعف هو اعتماد سلاطين الدولة العثمانية على الدول الأوروبية في تزويد جيشهم بالأسلحة والخبراء، ولعل هذا يتعلق بمصالح هذه الدول التي تريد بقاء الدولة العثمانية ضعيفة مرهقة بالديون أكثر فأكثر، وهذا يؤدي إلى تدخلها في الشؤون الداخلية لها فحين حل عام ١٩٠٨ كان الجيش العثماني يفتقر إلى المقدرة العسكرية وفنون القتال والثقافة العامة والعسكرية، ولكن عند سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على السلطة في العام نفسه، بدأت حملتها بتطهير القوات المسلحة من العناصر الضعيفة وغير المؤهلة للتطورات، وأعادت تنظيم الجيش وأنشأت مراكز تدريب وتأهيل، معتمدة في ذلك على خبرات المارشال الألماني فون ديجولتي (von dighlts)، الذي أدى دوراً كبيراً في رفع قدرات الجيش العثماني وتطويره^{٨١}.

في الحقيقة كانت الدولة العثمانية في ظل حكم تركيا الفتاة تُستدرج إلى حرب في شبه جزيرة البلقان، ضد الحلف البلقاني (صربيا - البلغار - الجبل الأسود - اليونان) الذي أراد الانفصال الكامل عن الدولة العثمانية ١٩١١، وهنا هُزم الجيش العثماني وانفصلت عنه ولايات البلقان^{٨٢}، واستدريجوها أيضاً إلى الدخول في حرب البلقان الثانية عام ١٩١٣، التي كانت عاملاً من عوامل إنهاك إمكانيات الدولة وقدراتها وضياح أراضيها في أوروبا، ثم اكتملت الخطة باستدراجها لدخول الحرب العالمية الأولى، ووقوفها إلى جانب ألمانيا في مواجهة الحلفاء (الإنجليز - الفرنسيين - الإيطاليين) وإلى جانبهم العرب الذين أصبحوا في مواجهة الأتراك في بلاد الشام، هكذا نُفذت الخطة المرسومة لاستدراج أبناء المسلمين ليقاتل بعضهم بعضاً، وللأسف استدرجوا فنسي الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢، والاحتلال الفرنسي لتونس ١٨٨١ والجزائر ١٨٣٠، وفيما بعد الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب ١٩١١، وقاتلوا إلى جانبهم إذ كانت ثلاثة جيوش عثمانية جنوبي بلاد الشام قادها الجنرال ساندروس الألماني عدو الإسلام، وقد تعرضت هذه الجيوش إلى هجوم إنجليزي؛ مدعم بالقوات العربية بقيادة فيصل ابن الشريف حسين أمير الحجاز، فاستطاع الإنجليز بقيادة الجنرال اللنبي التقدم ودخول القدس، والشيء

⁸¹ كورو، فرانيسكو. (١٩٨٤). ليبيا في أثناء العهد العثماني الثاني. تعريب محمد التليسي. ط٢. طرابلس. ص: ١٦٥.

⁸² شاكر، محمود. (د. ت). التاريخ الإسلامي العهد العثماني. دمشق المكتب الإسلامي. ص: ٢١٥.

الآفت للنظر الذي حصل أن الضابط مصطفى كمال أتاتورك قام بسحب قواته شمالاً، لما بعد حلب وبصورة تامة أمام القوات الإنجليزية، بل سمح لها بالتقدم شمالاً من دون مقاومة وذلك كان وفق مخطط متفق عليه.

كانت هذه الأحداث في ظل الحكم الشكلي للخليفة محمد رشاد ١٩٠٩ - ١٩١٨ الذي لم يكن له دور يذكر؛ وكانت مدة حكمه قصيرة فتوفي عام ١٩١٨، قبل الاستسلام بعدة أشهر فتولّى أخوه محمد السادس (وحيد الدين) ١٩١٨ - ١٩٢٢، والذي كانت في عهده الهزيمة الكاملة للدولة العثمانية في أثناء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، فاستطاع الحلفاء احتلال معظم أجزائها، وإنّ السلطان كان قد وضع كل ثقته بمصطفى كمال أتاتورك وكان مخطئاً في ذلك إذ اضطر للتنازل عن الخلافة عام ١٩٢٢، في الوقت الذي كان فيه ضباط الاتحاد والترقي يقررون مغادرة تركيا إلى بيروت بعد هزيمة الدولة على أيديهم، وهذا ما سمح لمصطفى كمال أتاتورك^{٨٣} بالظهور والرغبة في إنشاء حكومة في أنقرة، فقام بعقد مؤتمر أرض روم عام ١٩١٩ وانتخب رئيساً للمؤتمر، على أن يدافع عن البلاد وعن الخلافة الإسلامية، لكنه فشل في ذلك أيضاً وكانت النهاية الفعلية للخلافة الإسلامية، وظهور ما يسمى بتركيا الحديثة التي نراها في يومنا هذا.

^{٨٣} مصطفى ١٨٨١-١٩٣٨، من عائلة ألبانية الأصل كان أبوه موظف بسيط في ميناء سيلانيك، دخل مصطفى المدرسة العسكرية، الرشيدية وبعدها التحق عام ١٨٩٩ بالكلية الحربية في استانبول وتخرج منها عام ١٩٠٥، انتسب للعمل في الجيش الثالث عام ١٩٠٧ واشترك في الحرب الإيطالية-الليبية ١٩١٢ وحرب البلقان ١٩١٢، عُين ملحق عسكري في صوفيا عام ١٩١٥ ثم أصبح قائد للجيش السابع في فلسطين، قاد بعدها حركة المقاومة وأصبح الرجل الأول في بناء وتأسيس الجمهورية المدنية في تركيا، للمزيد انظر إلى:

Lord Kimros (1988). **Ataturk the Rebirth of national London**. p: 18, the Encyclopedia (1988), P: 255-257.

2-2- الأوضاع الاقتصادية

كانت الدولة العثمانية كغيرها من الدول التي تدرك مدى أهمية الاقتصاد للنهوض بالبلاد، فكان أكثر ما عولت عليه اقتصاديًا الاهتمام بموسم الحج؛ فتولّت تنظيم أمورهِ إلى الحجاز وأشرفت عليه إشرافًا فعليًا وعدّت هذا العمل واجبًا يقع على عاتقها، وتولّت أمور الإدارة المالية التي شملت جمع الضرائب من الممولين معتمدة على الملتزمين في الأرياف وشيوخ الطوائف في المدن، كذلك تولّت المحافظة على الأمن العام وتنظيم القضاء، و قامت بإنشاء الآبار على طول الطرق المؤدية إلى الحجاز من أجل الحج، وأقامت أيضًا حصوناً في البادية لحراسة الآبار، و شجعت على تشيد الخانات، وبالغت كثيرًا بالاهتمام بشؤون الحجاز وإرسال الاعتمادات المالية لها (الصرة⁸⁴)، وإعفاء سكانها من التجنيد والخدمة العسكرية، فضلاً عن إعفائهم من دفع الجزية ومعظم الضرائب الشخصية والعقارية، أبقت فقط على ضرائب أصحاب الأغنام والجمال⁸⁵.

ومع ذلك كلّه كانت الدولة تفرض ضريبة الغلمان، على الرعايا المسيحيين الموجودين بالولايات العربية ممن يتبعون المذهب الأرثوذكسي، فتقوم الدولة العثمانية بجمع أولادهم وتحويلهم إلى الدين الإسلامي، يطلق على هذه الضريبة ضريبة الدفشمرة Deuchurme⁸⁶، وهذه الحملات كان تقوم بها الدولة العثمانية كل عام باتجاه جورجيا وقفقاسيا وولايات مسيحية فتجمع الأولاد من عمر ٨ حتى ١٣ سنة ويلحقوهم بتدريب عسكري، ثم بعد فترة أصبحت الحملات كل سنتين وبعدها كل خمس سنوات ومع ضعف الدولة العثمانية وتراجعها توقفت هذه الحملات.

أكثر ما ميز الدولة العثمانية أنها دولة إقطاعية من نوع خاص، يمثل طابعها الإقطاعي نظامين الأول إقطاع حربي والثاني نظام الالتزام، فالأول كان أرضاً زراعية يمنحها السلطان لأفراد من الفرسان والخيالة يشرفون عليها ويتولون زراعتها كانت هذه الأراضي تسمى إقطاعات، أما النظام الثاني (الالتزام) فطبّق في المناطق التي

⁸⁴ الصرة هي كيس النقود الذي ترسله الدولة العثمانية كمخصصات سنوية وفق دراسة الأستاذ المشارك بجامعة الملك سعود سهيل صابان عنوانها مخصصات القبائل العربية من الصرة العثمانية وقسمها إلى أربعة أقسام صرة أهالي مكة - صرة أهالي المدينة المنورة - صرة أهالي القدس - صرة العربان وهي القبائل الفاطنة على طريق الحج الشامي من حماه حتى شمال الجزيرة.

⁸⁵ نصيف، حسين بن محمد. (١٩٣١). ماضي الحجاز وحاضره. جدة. ص: ٩٤.

⁸⁶ the Tribute Boys أو the Tribute Children. يترجمها المؤرخون والباحثون في أوروبا وأمريكا

لم تخضع للنظام الإقطاعي العسكري، إذ كانت الدولة تعهد إلى شخص من ذوي النفوذ والشراء لجباية الضرائب وكان يطلق على هذا الشخص لقب الملتزم الذي كان يحقق أرباحاً مادية كبيرة.

نستطيع القول إن اهتمام الدولة العثمانية كان ينصب في أربع مسائل أساسية هي: الحرب والدين والزراعة والحكم على أساس بيروقراطي^{٨٧}، إذ إنها لم تباشر نشاطاً يذكر في مجالات الصناعة والتجارة، فتركزت هذين القطاعين لرعاياها، ولم تبد اهتماماً بالنهوض بالتعليم بصفة عامة بين رعاياها، وأغفلت أيضاً إقامة منشآت ومرافق عامة حسّنت من أوضاع الرعايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية، فكانت تسير في هذا الصدد على النهج الذي كانت تسير عليه الدول الأوروبية ودول الشرق بصفة عامة في تلك العصور، قبل أن يشرق عصر النهضة في مطلع العصور الحديثة على الدول الأوروبية، ويؤخذ على الدولة العثمانية أنها لم تواكب التطور الذي طرأ على مرافق الحياة في الدول الأوروبية كافة، ولم تحاول أن تقيم نفوذاً على أسس علمية في البلاد التي فرضت سيطرتها عليها وهي الأسس التي أرساها الاستعمار الأوروبي بعد ذلك لصالحه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين^{٨٨}.

⁸⁷ نظام حكم متوازن داخل الدولة العثمانية بين البيروقراطية الدينية وبيروقراطية الحكم فبنشاً نظام عقلاني عادل متوازن.

⁸⁸ الشناوي، عبد العزيز محمد. (١٩٨٠). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة مكتبة الإنجلو. ج. ٤. ص: ١٨٨.

2-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

حرصت الدولة العثمانية على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية والمحافظة على العادات السائدة والتقاليد الإسلامية، وتؤكد دائماً التزامها بها، فكانت لا تسمح لأحد بانتهاك حرمة شهر رمضان؛ لذلك لم يكن أحد يجزؤ أن يأكل أو يشرب في مكان عام في أثناء النهار طيلة شهر رمضان.

كان السلطان عبد الحميد الثاني يعمل جاهداً على منع سقوط الدولة العثمانية، ونجح بتأخير سقوطها ثلاثة وثلاثين عاماً، إلى أن بدأ بعدها الضعف والانهيار واضحاً في صفوفها؛ بسبب تكالب الأعداء في الداخل والخارج، مع ذلك استطاع إخماد تمرد نصارى كريت وكذلك هزم اليونان، وقام بمجموعة من الإصلاحات تناولت مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والعامة كافة⁸⁹، فقام بإنشاء جامعة للفروع ودور للمعلمين والمعلمات ومدارس لغات ومدارس فنون نسويه ومدارس إعدادية وثانوية في الولايات كافة، وفي استانبول افتتح ستة مدارس ثانوية وجعل تعليم اللغات الأجنبية إلزامياً في المرحلة الإعدادية وافتتح المكتبات (مكتبة بيازيد- مكتبة يلدر)، ومدرسة الطب و ثانوية حيدر باشا، وأسس مستشفى أطفال ودار للعجزة من ماله الخاص، فضلاً عن إنشاء مركز للبريد، وقام بمد أنابيب مياه الشرب للعاصمة، وإقامة غرف زراعية وصناعية وتجارية ومعمل خزف، ومد خطوط سكك حديدية من دمشق للمدينة المنورة بطول ١٣.٣ كم⁹⁰، استغرق إنجازها سبع سنوات بتكلفة ٣ مليون جنيه⁹¹، وعمل جاهداً على استقطاب الخبراء الألمان لتدريب الجيش العثماني وفق الأساليب الحربية الحديثة، وقام بإرسال البعثات العسكرية للخارج وتجهيز الجيش بالأسلحة الحديثة، و رفض فتح باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين، وأدخل التعديلات اللازمة على الوضع الإداري لفلسطين وجعلها قسماً إدارياً مستقلاً بذاته (متصرفية) عام ١٨٨٧، وفي عام ١٨٩٢ أصدر قانوناً حرّم فيه بيع الأراضي الحكومية لليهود، فمنذ مؤتمر بال بسويسرا كانت الحركة الصهيونية تُعد وتستعد لاحتلال فلسطين وكذلك تشجع الهجرة منذ عام ١٨٨٢ فتتالت الهجرات إلى فلسطين وبدءوا بتأسيس مستوطنات لهم، فرفض السلطان اقتراح هرتزل بإنشاء

⁸⁹ محمد مسعود، وجمعة ولبن. (١٩٩٥). أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ الدولة العثمانية. دار الوفاء للطباعة والنشر. ص: ١٣.

⁹⁰ أبو جبل، كاميليا. (٢٠١). تاريخ الجزيرة العربية المعاصر. ط١. جامعة دمشق. ص: ٨٨.

⁹¹ حسون، علي. (د. ت). تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية. ط١. المكتب الإسلامي. ص: ٢١٠.

جامعة عبرية في بيت المقدس^{٩٢}، و كان فطنًا لما يراد بالأمة والشرعية، فبدأ يحيط نفسه بالعناصر المخلصة له لمواجهة المتآمرين على الشريعة الإسلامية، فأعلن منح الأمة العثمانية الدستور والحرية في ذي الحجة ١٨٧٧ وبدأ ما أسماه مدحت باشا وأعوانه عهد الاستبداد، وبعدّها تتالت الأحداث على النحو الآتي:

أولاً: أقال السلطان عبد الحميد مدحت باشا عام ١٨٧٦ بوصفه مرتكبًا للخيانة العظمى بسبب اتّصاله بالإنكليز، وولائه لهم، وحرصه على فرض الوصاية الأوروبية على الخلافة العثمانية، كذلك مكّن ٤٨ نائبًا مسيحيًا من دخول مجلس المبعوثان.

ثانيًا: نكّل السلطان عبد الحميد بكل من يدعوا إلى ترك الإسلام أو الاعتماد على الغرب أعداء الإسلام، وركّز جهده على تقوية الجيش ودعا إلى ضرورة دعم الخلافة الإسلامية وتقوية الجامعة الإسلامية، هنا أدرك أعداء الإسلام أنه لا سبيل إلى تحقيق أهدافهم إلا ضرب الخلافة وليقوموا بضربها قام الاتحاديون بتشكيل تنظيم سريّ في سلانيك بقيادة طلعت باشا وسبعة من أصدقائه، كانت المؤامرة اغتيال قائد الجيش العثماني، وإشاعة الاضطرابات في البلاد، وإنذار للسلطان عبد الحميد الثاني لمطالبته بإطلاق الحريات، وإعادة العمل بالدستور، فبدأت أحداث التمرد والاضطرابات التي انتهت باجتماع مجلس المبعوثان وإصدار الاتحاديين فتوى تقوم بعزل السلطان عبد الحميد الثاني وتولية محمد رشاد (الخامس) مكانه وشم قبض على السلطان عبد الحميد الثاني، وأرسل مع نسائه وأولاده إلى مقر يهود دونمة سلانيك في ٢٧ إبريل ١٩٠٩ وبقي سجينًا في حوزة الاتحاديين حتى مات^{٩٣}.

كانت الدول الأوروبية تتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بحجج مختلفة، منها حماية الأقليات، وإدخال الإصلاحات، ورفع الاضطهاد عن الشعب و....إلى ما هنالك، والحقيقة أن الدول الأوروبية كانت متفقة على محاربة الدولة العثمانية لتقسيم ممتلكاتها فيما بينها، أو على الأقل سلخ جميع الولايات التي فيها المسيحيون لكي لا يكونوا تحت سلطة المسلمين، إذ تعتمد الدول الأوروبية على الأقليات غير المسلمة لإشاعة الفتن والاضطرابات داخل بلاد المسلمين، ثم تتدخل عسكريًا بحجة حماية المسيحيين الذين كانوا واليهود يعدّون

^{٩٢} الشناوي، عبد العزيز (١٩٨٠). الدولة العثمانية دولة مفترى عليها. القاهرة. ج٤. ص: ٢٠٠. ص: ٩٩٥.

^{٩٣} بك، فريد (١٨٩٦). تاريخ الدولة العليا العثمانية. ط٢. مصر. ص: ٢١٠، ص: ٧٠٧.

مواطنيين عثمانيين مؤمنة ديارهم وأموالهم وعقائدهم ودمائهم؛ لأن الله أمر المسلمين بذلك في قوله تعالى "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولن يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين" (سورة الممتحنة). ٨.

لكن الهدف الحقيقي هو احتلال ديارهم وتمزيقها وتحقيق الهيمنة العسكرية والاقتصادية على كل بلاد المسلمين^{٩٤}.

في أثناء دراسة أوضاع الدولة العثمانية، يمكن القول إن تولي جماعة الاتحاد والترقي السلطة في الدولة العثمانية، قد عجل بضياح طرابلس الغرب، فسياسة التتريك التي سارت عليها تلك الحكومات في الولايات العربية، لم تلق تأييداً وترحيباً من السنوسيين في طرابلس الغرب، بل إنهم وقفوا موقف عدّ الرضا من إنشاء جمعية الاتحاد والترقي في بنغازي، وهذا أدى إلى نفور الليبيين من الحكم العثماني، وعدّهم مسؤوليين عن حدوث الغزو الإيطالي لليبيا.

⁹⁴ جارودي، ملف إسرائيل، جريدة عرب تيمس، عدد ١٠٧، ص ٣٨، بتاريخ ١١ كانون أول ٢٠٠٠.

3- أوضاع ليبيا أبان الحكم العثماني

مرَّ الحكم العثماني لطرابلس الغرب بثلاثة عهود، بدأ العهد الأول على امتداد مئة وستين عامًا (١٥٥١-١٧١١)، أما العهد الثاني فكان حكم الأسرة القرمانيّة الذي امتد على مئة وأربع وعشرين عامًا (١٧١١-١٨٣٥)، أما العهد الثالث فكان عهد الحكم العثماني الثاني وقد امتدَّ على ستة وسبعين عامًا أي من انتهاء حكم الأسرة القرمانيّة ١٨٣٥ حتى الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب ١٩١١، وما يُهمنا بالفعل في دراستنا هو العهد الثالث الممثل بالحكم العثماني الثاني الذي يُعدُّ أهمَّ العهود في تاريخ طرابلس الغرب؛ لأنه الأقرب إلى مدّة بحثنا ودراستنا.

3-1- الأوضاع السياسية

تُعدُّ الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك هي التي مهدت الطريق للغزو الإيطالي للولاية في أثناء زيادة التدخل الأوروبي في شؤونها الداخلية بعد أن بقيت الولاية الوحيدة من ولايات الدولة العثمانيّة في إفريقيا خارج سيطرة الاستعمار الأوروبي الذي أصبح في الوقت نفسه يحيط بالولاية من كل جانب، إذ احتلت فرنسا تونس من غربها عام ١٨٨١ وكذلك إنجلترا احتلت مصر من شرقها عام ١٨٨٢ ثم السودان ووادي النيل عام ١٨٩٦، فضلاً عن احتلال فرنسا السودان الأوسط عام ١٩٠٢ وهذا جعل وقوع طرابلس الغرب تحت السيطرة الأوروبية أمراً لا مفرّ منه، ولاسيما مع تلاشي الدولة العثمانيّة التي وصفها الغرب (الرجل المريض) في نزاعه الأخير محاولاً التشبث بأسباب الحياة^{٩٥}

وفي أثناء هذا العهد قضت الدولة العثمانيّة نهائياً على حكم الأسرة القرمانيّة التي توارثت حكم طرابلس الغرب^{٩٦}، مستقلةً استقلالاً داخلياً في الحكم من عام ١٧١١ إلى عام ١٨٣٥ إذ حكمت البلاد حكماً مباشراً عن طريق باشا تعينه الأستانة، ومع محاولة هؤلاء الباشوات المعنيين بتنظيم البلاد وتطويرها اقتصادياً وثقافياً فإن قصر مدة حكمهم واستبدالهم المستمر جعل أعمالهم غير منتجة وغير ذات فائدة مع تعرض باشوات طرابلس

^{٩٥} منسي، مصدر سابق، ص: ٦-٨.

^{٩٦} يازمة، محمد مصطفى. (١٩٧٣). تاريخ ليبيا في عصر ما قبل التاريخ. بنغازي. دار صادر. ص ٤٨.

للمساومة والرشوة إذ أصبح بعضهم لا هم له إلا استرداد ما خسره من أجل شراء المناصب وبذلك أصبح الفساد يغمر دواوين وزراء الأستانة^{٩٧}.

بسبب عدم استقرار الحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب ولأنه اتسم بالحكم المركزي انتشر السخط بين الأهالي وقامت الانتفاضات المتفرقة في العديد من أنحائها وهذا شغل الولاة بالقضاء عليها^{٩٨}، وبعد القضاء عليها جرى وضع نظام جديد لطرابلس الغرب حوّلت فيه إلى دولة عثمانية مباشرة، وقسمت إلى خمس متصرفيات سنة ١٨٦٤ هي طرابلس- الخمس- الجبل الغربي- فزان- بنغازي، وكل متصرفية مقسمة إلى عدد من الأقضية يرأس كل منها (قائم مقام) وكل قضاء مقسم إلى عدد من النواحي يرأس كل منها مدير ناحية، لكن محاولات الإصلاح كانت قليلة الأثر؛ فاضطراب الأهالي وتملكهم شعور الغضب والخوف من الخطر الأوروبي الداهم الذي أصبح قريباً منهم، فطالب الأهالي حكومة السلطان بحماية الولاية ومد يد العون لشقيقتهم تونس التي احتلتها فرنسا وقد ترتب على هذا الاحتلال لجوء ما يقارب مئتي ألف من الثوار التونسيين إلى طرابلس الغرب، وقد رأت الدولة العثمانية في وجود هؤلاء اللاجئين في طرابلس عبئاً عليها ولاسيما أن السلطان عبد الحميد الثاني كان يفضل عدم الاصطدام مع فرنسا، ويرى قبول الأمر الواقع مكتفياً بالاحتجاج السوري، لذلك حاولت الدولة العثمانية التخلص من عبء المهاجرين بتشجيعهم على العودة إلى تونس، لكن أهالي طرابلس اتخذوا موقفاً مخالفاً فكانوا يرحبون بالمهاجرين ويشجعونهم على استمراهم بالجهاد ضد المغتصب الفرنسي، حيث قدموا لهم كل المساعدات التي يحتاجونها مما أدى لاندماج قسم كبير منهم في المجتمع الليبي والحصول على عمل وبالتالي أصبح يكسب قوت يومه بنفسه، وهذا خير دليل على أن التونسيون في محنتهم وجدوا أن أخوانهم وجيرانهم الليبيين خير ظهير، فقد آوهم ونصروهم ووفروا لهم السكن والأمان وهذا دليل على عمق المودة والأخوة بين الشعبين الشقيقين.

^{٩٧} المرزوقي، محمد بلخير. (١٩٨٧). داهية السياسة وفارس الصحراء. تونس الدار العربية للكتاب. ص: ١٨.

^{٩٨} زيادة، نقولا. (١٩٥٨). محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال. القاهرة. معهد الدراسات. ص: ٥٢.

أما إذا ما أردنا التحدث عن حركة الإصلاحات التي أقدم عليها السلطان عبد المجيد الذي حكم من عام ١٨٣٩ - ١٨٦١^{٩٩}، فبدأت بإصداره خطي شريف كلخانة ١٨٣٩ وهمايون ١٨٥٦، اللذين كان لهما أثر كبير في الولايات العثمانية كافة؛ لأن هدفها هو تنظيم إدارة الدولة العثمانية في المجالات كافة، واهتمام الدولة العثمانية في ذلك التنظيم المستمد من التنظيم الأوروبي بهدف إعادة بناء الدولة وتنظيم إدارتها والتغلب على سلباتها، لمواكبة التطور الكبير الذي تم في أوروبا آنذاك وقد انعكس ذلك على ولاية طرابلس الغرب، إذ تعاقب على حكمها ثلاثة وثلاثون والياً بين عامي ١٨٣٥ - ١٩١١^{١٠٠}، تفاوتت أساليبهم في الإدارة ومدة الحكم كذلك في تنفيذ الإصلاحات وتطبيق القوانين طبقاً لما يحيط بهم من ظروف داخلية وخارجية^{١٠١}.

كان آخر هؤلاء الولاة إبراهيم باشا الذي عُين والياً على طرابلس وقائداً عاماً لجيشها أواخر عام ١٩٠٩، إذ كانت البلاد تعيش حالة من الفساد والفوضى بسبب التغلغل الإيطالي في الولاية، فضلاً عن حالة الضعف التي كانت تعاني منها وهو جزء من حالات الضعف والانهيار والانحلال التي تعيشها الدولة العثمانية في أواخر أيامها^{١٠٢}، وقد بذل الوالي إبراهيم باشا ١٩١٠ - ١٩١١ جهداً كبيراً من أجل إصلاح أوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والعسكرية ففرض التجنيد الإجباري على السكان، وتصدى لسياسة التغلغل الإيطالي وطلب المساعدة من الباب العالي محذراً من الأنشطة الإيطالية المختلفة، لكي لا تثبت إيطالية أقدامها فيها وتقوم باحتلالها، وعندما فشل في الحصول على المساعدات غادر ولايته متوجهاً إلى العاصمة العثمانية لبحث الحكومة على تقديم يد العون والمساعدة له، ليقوي جيشه وأسطوله ليقوم بالتصدي للنفوذ الإيطالي، لكنه لم يحصل على أية مساعدة فأعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وغزت طرابلس الغرب عام ١٩١١^{١٠٣}.

وفي أثناء تلك المدة أولت الدولة العثمانية اهتماماً ملموساً بالقضاء من أجل تحقيق العدالة بين رعاياها، و أعطته مكانة مرموقة في السلم وجعلته مستقلاً عن السلطة، وركزت اهتمامها بالمحاكم الشرعية أيضاً لحرصها

^{٩٩} عامر، محمود. (٢٠٠١). الدولة العثمانية تاريخ ووثائق. دمشق دار الرحاب. ص ١٩٦.

^{١٠٠} ملحق رقم ٢، ص: ١٧١-١٧٢.

^{١٠١} بك، أحمد الأنصاري. (١٨٩٩). المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. تحقيق طاهر الزاوي. طرابلس. مكتبة فرجاني. ج ٢.

ج ١. ص: ٣٥٦

^{١٠٢} مصطفى، مرجع سابق، ص: ٢٣٩

^{١٠٣} الزاوي، الطاهر أحمد. (١٩٨٤). جهاد الأبطال في طرابلس الغرب. ط ٣. المملكة المتحدة. ص: ٢٨٥-٢٨٦.

الشديد على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، فضلاً عن رغبة السلطان محمود الثاني^{١٠٤} بإنشاء جيش نظامي على الطراز الأوروبي الحديث، ولتحقيق ذلك وضع خطة تخلص فيها من الجيش الإنكشاري^{١٠٥}، مُصدراً أوامره بالبحث عن كل إنكشاري وإلقاء القبض عليه وإعدامه أو نفيه إلى أطراف البلاد، وحاولت أيضاً السلطة العثمانية الاعتماد على القبائل القبولوغلية^{١٠٦} في طرابلس الغرب لتكوين قوة عسكرية لمساعدة جيشها النظامي في السيطرة على البلاد، فكانت تقوم بمساعدة القوات النظامية في زمني الحرب والسلم، مقابل إعفائهم من الضرائب.

حين بدأ الغزو الإيطالي للولاية لم تكن القيادة العسكرية تملك أية وسيلة من وسائل النقل الآلية بل كان لديها عربات تجرها الخيول، وتحمل الجنود وموادهم التموينية وتجهيزاتهم ومعدّاتهم، لذلك عدّ هذا عجزاً كبيراً في قدرات القوات المسلحة وهذا سهل للعدو الإيطالي السيطرة على البلاد مع المقاومة التي قام بها الأهالي للدفاع عن ولايتهم، فلم تتفرد ولاية طرابلس بهذا العجز بل كان جزءاً من عجز الدولة العثمانية ككل وضعفها وعدم قدرتها على حماية نفسها والدفاع عن ولايتها وذلك بسبب الظروف الداخلية والدولية التي أحاطتها وجعلت أجزاءها تقع بأيدي المستعمرين الأوروبيين الذين قاموا بنهبها، جاء هذا بالتزامن مع عجز الدولة العثمانية وضعفها إلا أنه لم يمنع من تشكل الحركات المدافعة عن الإسلام والمسلمين التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ومنها الحركة السنوسية^{١٠٧} وهي إحدى الحركات الدينية التي ظهرت بوصفها ردة فعل للتدهور الذي أصاب العالم الإسلامي عموماً والدولة العثمانية خصوصاً، التي أسسها محمد علي السنوسي^{١٠٨}، واستطاع التوسع فيها والانتشار الكبير ونشر الدين وتعاليمه.

¹⁰⁴ السلطان محمود الثاني ولد عام ١٧٨٥، وارتقى عرش السلطنة العثمانية عام ١٨٠٨، أهم إصلاحاته إلغاء نظام الإنكشارية، وتنظيم جيش على أساس تجنيد عسكري إجباري، و طبق عادات أوروبية في البلاد.

للمزيد: طقوش، محمد سهيل. (٢٠١٣). تاريخ العثمانيين. ط٣. دار النفائس. ص: ٣٢٧-٣٣٤.

¹⁰⁵ فواز، عبد العزيز سليمان. (١٩٧٣). تاريخ الشعوب الإسلامية. بيروت دار النهضة العربية. ص: ١٧٦-١٧٨.

¹⁰⁶ هم أبناء وأحفاد الدين قدموا كجنود عثمانيين إلى ليبيا في بداية احتلالهم لها، ونتج عن تزوجهم من نساء وطينات أبناء أتراك. ومكافأة لهم على خدماتهم تم إعفائهم من الضرائب.

للمزيد: نجيب، محمود. تاريخ طرابلس الغرب. ص: ١١٨.

¹⁰⁷ الحركة السنوسية حركة إصلاحية ذات طابع إسلامي تأسست في مكة عام ١٨٣٧ ثم في ليبيا عام ١٨٤٣ وعمت مراكزها السودان وشمالي إفريقيا والصومال وبعض البلاد الإسلامية، مؤسسها محمد السنوسي، كان لها دور فعال في تحريض الشعب الليبي ضد الاحتلال الإيطالي.

¹⁰⁸ قَدِم من الجزائر إلى مكة لتأدية فريضة الحج عام ١٨٣٧ وهناك تأثر بالدعوة الوهابية وأسس زاوية في الحجاز، وعندما أراد العودة إلى الجزائر عام ١٨٤٠ منعه الفرنسيون من دخولها فأقام في ليبيا واستقر في واحة جغبوب.

ويلحظ أن العلاقات العثمانية- السنوسية دخلت مرحلة جديدة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٨) ذلك لأنه اتخذ الدعوة إلى الجامعة الإسلامية قاعدة لسياسته العربية والشرقية، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية أشد ما تكون بحاجة إلى عصبية إسلامية تشد أزرها أمام مطامع الدول الأجنبية، فاطمأن السلطان بفضل تقارير رجال حكومته إلى السنوسية، أما الدول الأوروبية فكانت تسعى إلى الفتنة بين السلطان عبد الحميد والزعيم السنوسي في أثناء إثارة قلق السلطان تجاه اتساع نفوذ السنوسية، وتغزو أيضًا إلى السيد المهدي زعيم السنوسية إقامة ملك خاص مستقل^{١٠٩}.

كانت إيطاليا مبيته النية لاغتصاب القطر الليبي فسعت لكسب ودّ السنوسيين على أساس أنها من دون ذلك لن تحقق غرضها، وكذلك حاولت استمالتهم لتحريك الثورة ضد الفرنسيين في تونس التي كان الإيطاليون يطمعون بالاستيلاء عليها قبل فرنسا، لكنهم رفضوا أن يكونوا أداة في يد دولة أوروبية، فبذل السيد المهدي جهدًا لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين الزاحفين حول بحيرة تشاد، فاستمرت المناوشات بين السنوسيين والفرنسيين وهذا نتج عنه حدوث خلافات بين السلطات العثمانية المحلية والطائفة السنوسية التي وصفت في تقرير السفير البريطاني في الأستانة بأنها تهدف لإقامة دولة داخل دولة.

أما السنوسيون فقد اضطروا من جانبهم إلى ترك النضال ضد الفرنسيين عندما أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية وأخذ الأسطول الإيطالي يطلق قذائفه على موانئ طرابلس وبرقة.

بقيت طرابلس الغرب تحت السيطرة العثمانية مدة ٣٦٠ عام تأثرت بالأنظمة والقوانين والتعاليم التي كانت تصدرها، وكذلك بالاتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها مع الدول الأخرى ومدى انعكاساتها عليها، و بقيت تحت حكم الأسرة القرمانلية التي عاشت البلاد في أثنائها صراعات كبيرة بين أبناء هذه الأسرة من ناحية وبينهم وبين أبناء الدولة من ناحية أخرى وبينهم وبين الجيش الإنكشاري من ناحية ثالثة، لذلك كانت البلاد تتخبط في بحر من الصراعات^{١١٠}.

¹⁰⁹ منسي، محمود حسن صالح. (١٩٨٠). الحملة الإيطالية على ليبيا، دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية. دار

الطباعة الحديثة. ص: ١٢.

¹¹⁰ برينا، كوستانزي. (١٩٨٥). طرابلس بين ١٥١٥-١٨٥٠. تعريب خليفة التليسي. مصرانه دار الجمهورية للنشر. ص: ٢٢١.

3-2- الأوضاع الاقتصادية

يعتمد اقتصاد ليبيا على ثلاث قواعد أساسية هي التجارة والزراعة والصناعة، وقد عرفت طرابلس أنماطاً مختلفة من التجارة كالتجارة المحلية والتجارة الخارجية، تتمثل التجارة المحلية في الأسواق التي توجد بكثرة في المدن فضلاً عن الحوانيت الصغيرة والدكاكين التي توجد في الأرياف والقرى ولاسيما بمواد الاستهلاك، فتقسم الأسواق هناك إلى قسمين (أسواق تقليدية) دائمة تشمل العديد من المتاجر الصغيرة والحوانيت الكبيرة، والأسواق الشعبية التي تقع في الساحات أو أطراف المدن وفي مثل تلك الأسواق تباع أنواع البضائع المستوردة منها وكذلك المحلية كافة، وأبرزها سوق الترك وسوق الرباع في طرابلس، وسوق الظلام وسوق الجريد في بنغازي.

أما الأسواق المفتوحة فقد كانت تُعقد في مناطق تجمعات مكانية معينة إما يومياً أو في أحد أيام الأسبوع مثل (سوق الثلاثاء) و(سوق الخميس) و(سوق الجمعة) في طرابلس، وهناك أسواق أخرى تعرف بمنتجاتها مثل (سوق الخضار) و(سوق الخبز) في طرابلس و(سوق المواشي) و(سوق الحشيش والعلف) في بنغازي.

وبالنسبة إلى التجارة الخارجية فإنها تمثلت في التصدير والاستيراد الذي عُرف قبل الاحتلال الإيطالي، وله طرق برية وبحرية وأهم هذه الطرق البرية الطريق الذي يربط مدينة زوارة بالأراضي التونسية والطريق الذي يربط درنة بالأراضي المصرية، وكذلك الطريق الذي يربط غدامس بالسودان الأوسط ماراً بغات التي تستغرق الرحلة فيه بين الـ ٨ إلى ٩ أشهر ذهاباً وإياباً، وطريق يربط طرابلس بإفريقيا الوسطى ماراً بمرزق وطريق يربط بنغازي بواحات أوجلة والكفرة والسودان، وهو أسلم طريق نظراً إلى سيطرة السنوسية عليه وتمتد رحلته أيضاً من ٨ إلى ١٠ أشهر ذهاباً وإياباً^{١١١}.

كان السودان يستورد من طرابلس السلاح والذخائر والورق والمرايا والمصنوعات المعدنية والقطنية والملابس والشاي والسكر والعطر والكتان ويصدر لها العاج والشمع والجلود وريش النعام، وكان أكثر التعامل يتم بالمقايضة وكانت مواد التبادل تتمثل في البلح والملح^{١١٢}، أما الصادرات من طرابلس إلى أفريقيا فكانت من المصنوعات الزجاجية والمرايا والمنسوجات الحريرية والتوابل والخرز فضلاً عن المنسوجات القطنية الإنجليزية

¹¹¹ كورو، فرانيسكو. (١٩٨٤). ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني. تعريب خليفة محمد التليسي. طرابلس المنشأة العامة. ص: ١٠٦.

¹¹² تشانجي، عبد الرحمن. (١٩٩٣). الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى. ترجمة علي عزازي. طرابلس. ص: ٥٤.

والدقيق الإيطالي^{١١٣}، كذلك القمح والشعير والتمر وبعض الغلال كالليمون والفلفل الأحمر والحناء وفضلاً عن ذلك اكتشف نبات الحلفا في طرابلس من قبل شركة (بيري بوري) الإنكليزية والذي كان يستخدم في صناعة الورق، التي أقامت لها فرعاً في مدينة طرابلس عام ١٨٨٠ لجمع هذه السلعة وتصديرها بعد تجميعها في مدن العزيزيه والخمس وغيرها إلى أن جاء عام ١٩٢٠ إذ توقفت فيه عن العمل.

وكان العاج وريش النعام يصدر إلى أسواق إنجلترا وفرنسا ويأتي عن طريق بنغازي من أواسط السودان فتُغسل وتُصنّف وتُغلف في طرابلس لتصبح جاهزة للتصدير، كذلك الجلود المدبوغة التي تأتي من السودان، وتصدر إلى أمريكا الشمالية، أما الواردات فتستورد ليبيا من إنجلترا وألمانيا المنسوجات القطنية والشاي والبن والتوابل ومن فرنسا المنسوجات والأقمشة لإعداد الملابس المختلفة وكذلك السيوف و المرايا.

وبالبحث عن التجارة البحرية نجدها تركزت في مينائي طرابلس وبنغازي تركيزاً كبيراً فضلاً عن بعض الأنشطة التجارية في موانئ مصراته وسرت ودرنة وتشمل التبادل التجاري مع الموانئ التونسية والمصرية والمالطية وبعض موانئ أوروبا^{١١٤}، وبهذا فإن طرابلس الغرب مؤهلة لتؤدي دوراً ريادياً في المجال التجاري، الذي لم تتمكن من القيام فيه بالمجال الصناعي والزراعي والتعديني، إذا إنها تقع عند تقاطع الطرق الكبرى للحركة التجارية المهمة، وكانت السلطات العثمانية تشجع التجارة مع دول الجوار ولاسيما مع تونس ومصر لذلك كانت حرية التجارة من دون قيد أو شرط، فلم تعرف المضائق الجمركية وضوابط الحركة التجارية إلا بعد تركيز الاحتلال الإيطالي لليبيا، فقد بلغت التجارة بين طرابلس وتونس والسودان أوج مجدها في أثناء العقد بين عامي ١٨٨٢-١٨٧٢ وقد سجلت البضائع الواردة من السودان والمصدرة عن طريق طرابلس قيمة كبيرة بلغ مقدارها أربعة ملايين وسبعمائة ألف فرنك إفريقي ذهبي، وفي العقد الثاني انخفضت إلى ثلاثة ملايين ومئتي ألف فرنك ثم انخفضت في العقد الأخير إلى أقل من ثلاثة ملايين، والمعروف أن الواردات في السودان تمثل أصنافاً متنوعة هي جلود الحيوانات وريش النعام والعاج وأسباب هذا الانخفاض راجعة إلى أن الاهتمام العام بالمنتجات السودانية بدأ ينكمش وظهرت منافسة لدى بلدان أخرى لتجارة ريش النعام التي أدخلها الأهالي من جنوب إفريقيا إلى السوق

^{١١٣} القضية الطرابلسية (د. ت)، المجموعة الأولى، ص: ٧٢.

^{١١٤} المرزوقي، مرجع سابق. (١٩٧٨)، ص: ٣٢.

العالمية، وتوقفت الولايات المتحدة عن استيراد الجلود السودانية عام ١٩٠٨ وكذلك تغيرت طرق المواصلات التجارية وعن طريق اجتذاب القوافل التجارية القادمة من السودان نحو الجزائر وتونس ولاسيما بعد ١٩٠٨ بعد أن أصبحت السلطات الفرنسية تتدخل في تغيير سير القوافل التجارية.

كذلك اشتهرت طرابلس الغرب بالزراعة وتربية الحيوانات والإنتاج الحيواني كالأبل والأغنام والأبقار والماعز والخيول التي كانت متوفرة بكثرة في أغلب مناطق وأرياف ليبيا نظرًا إلى امتهان السكان مهنة الرعي منذ القدم ولاعتمادهم عليها بوصفها مصدرًا رئيسًا للعيش، أما الزراعة فعمل الليبيين فيها منذ أقدم العصور وكانوا في كفاح مستمر من أجل تأمين سبل المعيشة وتوفيرها، فمن أهم المحاصيل الزراعية القمح والشعير التي كانت تصدر منها كميات كبيرة إلى الخارج ولاسيما إلى بريطانيا إذ تدخل في صناعة مشروب البيرة، وكانت مزارع الشعير موجودة في منطقة بني وليد وترهونة وغريان وغيرها، وكذلك زراعة الزيتون المنتشرة بكثرة في طرابلس والجبل الغربي وأيضًا التين والتمر والخضروات المختلفة^{١١٥}، أما نبات الحلفا فيشكل المساحة الأكبر من أجزاء البادية، إذ يقوم البدو بحصده في الربيع والصيف ويصدر إلى إنجلترا إذ يدخل في صناعة الورق، وكانت طرابلس تحقق أرباحًا كبيرة في فصل الربيع بتصديرها الموالح وزيت الزيتون إلى أوروبا^{١١٦}، و في أثناء حكم رجب باشا ١٩٠٦-١٩٠٨ شهدت طرابلس الغرب نوعًا من العدالة الاجتماعية، إذ شُيِّدَ إلى جانب المرافق الخدمية مصرف زراعي يدعم الزراعة والمزارعين منافسًا مصرف روما.

أما بشأن الصناعة فقد عرفت طرابلس الغرب صناعات مختلفة انتشرت في أنحاء البلاد كافة كان أهمها المنسوجات الصوفية في طرابلس وبنغازي ودرنة، والمفروشات بأنواعها في مصراته^{١١٧}، كذلك عرفت طرابلس صناعة الأنسجة الحريرية بأنواعها المختلفة، وعرفت أيضًا صياغة الذهب والفضة والحلي، وكذلك الدباغة وصناعة الصابون والأواني الفخارية والأحذية وسروج الخيول والأحزمة الجلدية، وكانت البلاد منتفعة أيضًا من صناعاتها المحلية الرائجة في أسواقها الداخلية والخارجية قبل الاحتلال الإيطالي، أما بعده فقد أصبحت

¹¹⁵ المرزوقي، مرجع سابق، ص: ٣٤.

¹¹⁶ بانزة، إفا.د. (١٩٩٨). طرابلس مطلع القرن العشرين. ترجمة عماد الدين غانم. طرابلس. مركز جهاد الليبي. ص: ٢١٣.

¹¹⁷ المرزوقي، مرجع سابق، ص: ٣٣.

الصناعات الأوروبية تزامها داخليًا وخارجيًا حتى قضى الاحتلال على كثيرٍ منها ليفسح المجال أمام الصناعات الإيطالية والأوروبية^{١١٨}.

وفي أثناء تطور الأحداث وحكم الأسرة القرمانيّة لم يستمر تدفق الأموال إلى خزينة الإيالة بل انحسر ذلك بسبب امتناع الدول الأوروبية عن الاستمرار بتقديم الأموال والهدايا، واستخدام القوة العسكرية ضد الإيالة^{١١٩}، ونتيجة للتطور الكبير والتقدم الذي حصل في البحريّة والأساطيل الأوروبية وما رافقها من تدهور في الأوضاع الاقتصادية والمالية وانخفاض واردات الجمارك والضرائب، الأمر الذي أدى إلى تناقص الواردات حينها اضطر حكام الإيالة للاستدانة فترتب عليها الكثير من الديون التي لم تستطع تسديدها، فضلاً عن تدخل قناصل الدول الأوروبية في شؤون البلاد الداخلية وفرض ما تريده من شروط، و عجز حكام الأقاليم عن جباية الضرائب من الأهالي بسبب الفقر والعوز الذي كانوا يعانونه وهذا أدى إلى قيام انتفاضات عدّة في أنحاء البلاد^{١٢٠}، وازدادت أوضاع الإيالة الاقتصادية سوءًا بسبب النقص في التجاريتين الداخلية والخارجية وهبوط سعر العملة مع الحاجة المستمرة للأموال^{١٢١}.

أما عن الدولة العثمانيّة فقد أولت اهتمامًا كبيرًا للجهاز المالي لما له من أهمية فائقة في تحديث أجهزة الدولة والاهتمام بتطويرها وإصلاح مرافقها المختلفة، وكان أول من أدرك أهمية تنظيم الموارد المالية السلطان سليم الثالث ١٧٨٩ - ١٨٠٧ فشكل نظارة مالية^{١٢٢}، ثم ترسخت حركة الإصلاحات وأخذت مداها في عهد السلطان عبد المجيد و سبق أن ذكرنا في خطي كلخانة وهمايون، ولحقها صدور عدد من الأنظمة والقوانين والتعليمات ولاسيما المتعلقة بتنظيم الموارد المالية ووضع ميزانية بكل ولاية^{١٢٣}.

¹¹⁸ المرجع نفسه، ص: ٣٤.

¹¹⁹ فيرو، شارل. (١٩٨٣). الحوليات اللببية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. ترجمة عبد الكريم الوافي. ط٣. بنغازي جامعة قاريونس. ص: ٥١٨.

¹²⁰ علي، عمر. (١٩٦٦). انهيار حكم الأسرة القرمانيّة في ليبيا ١٧١١ - ١٨٣٥. طرابلس مكتبة الفر جاني. ص: ٢٥٠.

¹²¹ ميكاي، رودلفو. (١٩٦١). طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانيّة. ترجمة طه فوزي. القاهرة معهد الدراسات. ص: ٢٠٠.

¹²² وزارة المالية.

¹²³ الدستور، ج٢، ص١١٤-١١٥.

حصلت تطورات في طرابلس الغرب ولكنها لم تواكب مثيلاتها في الولايات الأخرى، إذ لم تتفد حركة الإصلاحات بالكيفية والسرعة التي تمت في بقية الولايات بل سارت ببطء وهذا سبب سرعة تبدل الولاة العثمانيين، مع الانتفاضات التي عمت أنحاء الولاية، فضلاً عن الفساد وانتشار الرشوة، فلا مورد للولاية سوى الضرائب المتنوعة التي تجبها من السكان، وفي أغلب الأحيان لا تسد هذه الضرائب حاجة الميزانية لعدم الانتظام في تحصيلها وجبايتها.

3-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

كان قدوم الحكم العثماني إلى ليبيا بطلب من الليبيين أنفسهم لمد يد العون لهم ضد الصليبيين الذين كانوا يحكمون طرابلس^{١٢٤}، وبعد دخولهم لليبيا تغيرت الحياة الاجتماعية هناك، فقد فضل بعض الناس الابتعاد عن الحياة العامة والعزلة عن المجتمع مكتفين من الدين بالعبادات والشعائر، وإن بعضهم انصرف إلى أعماله الدنيوية من تجارة وزراعة يزاوونها باستمرار^{١٢٥}، ثم ظهرت السنوسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وكان ما يدعو إلى قيامها الوضع الذي آلت إليه حال المسلمين من ضعف وتفكك وبعد عن مفهوم الدين.

تعود هذه الحركة إلى محمد علي السنوسي أخذ عن معلمه أحمد ابن ادريس الذي جمع بين الاتجاهين الصوفي والسلفي، كان شيخ الطريقة القادرية وشيخ الطريقة الحضرية مدة ٣٣ عام وشيخ من شيوخ الشاذلية إلا أن اختلافه مع علماء مكة المذهبيين وارتحاله إلى صبا في عسير الوهابية لدليل على ميوله السلفية، وقد يكون تأثره بالسلفية ناجماً عن احتكاكه بالوهابيين أثناء احتلالهم للحجاز، وبالتالي كان السنوسي تلميذ ابن ادريس متأثراً بالطرق الصوفية الإدريسية، حتى أن رحلته إلى الحجاز للحج إنما للإقامة فتأثر بالدعوة الوهابية^{١٢٦} التي قُضي عليها عام ١٨١٨ على يد إبراهيم بن محمد علي، وعندما أراد دخول الجزائر عام ١٨٤٠ منعه الفرنسيون من ذلك فأقام السنوسي في ليبيا، واستقر في واحة جغبوب وأسس هناك زاوية له كانت المركز الرئيس للدعوة ومنها انتقلت إلى باقي المناطق^{١٢٧}، فبحكم موقع طرابلس وبرقة على طريق الحج الموصلة بين بلاد المغرب وبين مصر، واحتكاك هاتين المنطقتين بالأفكار والاتجاهات الدينية التي كان يعيشها العالم الإسلامي إذ ظهرت عدد من الطرائق الصوفية فيها وانتشرت في كل مكان، وقد ذكر منها الحشاشي^{١٢٨} في رحلته إلى ليبيا إلى جانب

¹²⁴ كانت حياة الليبيين حياة قبلية متنقلة، لا هم لهم سوى معرفة مواطن المياه ومنابت العشب، فاندمج سكانها مع السكان المصريين ولاسيما أن أرضها لا يفصلها حاجز ولا يحجزها مانع، حتى إن الليبيين حكموا دلتا النيل مدة طويلة من الزمن تقارب القرنين عرفت في تاريخ مصر باسم عصر الملوك الليبيين وبعدها أصبحت الدولتان جزءاً من الدولة العثمانية عام ١٥١٧.

¹²⁵ شاكر، محمود. (د. ت). التاريخ الإسلامي العهد العثماني. دمشق المكتب الإسلامي. ص: ٣٤.

¹²⁶ الحركة الوهابية مؤسسها محمد بن عبد الوهاب، إذ عمل على نشرها وتوسيعها إلى أن وصلت إلى اليمن ومصر وشمال أفريقيا وغربها والسودان والقرن الإفريقي والهند وباكستان وإندونيسيا وصولاً إلى كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي تقريباً، متبعين منهج ابن تيمية. للمزيد: حول ما حملته هذه الدعوة: هراس (د. ت)، ص: ١٤-٢٢.

¹²⁷ شاكر، مرجع سابق، ص: ٣٧.

¹²⁸ هو الباحث والمؤرخ التونسي محمد بن عثمان الحشاشي، له عدة مؤلفات عن ليبيا قدمها وحققها عدة من الباحثين منها رحلة الحشاش إلى ليبيا، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراطي.

السوسية والمدنية والزروقية التيجانية والرحمانية والقادرية والطيبية والشاذلية والعبساوية... وغيرها^{١٢٩}. وصفها الحشائشي بقوله " إن العلوم والمعارف العصرية لا توجد عندهم ولا يشمون لها رائحة، و لا يوجد عندهم علماء وأعلام من فقهاء الإسلام على أن هذه المدينة اشتهرت بأكابر من علماء المحمدية كالفقيه أبي علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي"^{١٣٠}

كان الشعب الليبي قبيل الاحتلال الإيطالي يشكو من التخلف في العالم التقني والصناعي، ولا يملك سوى الجذور الحضارية العريقة الضاربة في عمق التاريخ لهذا كان الاستعمار الإيطالي عند قدومه مرتدياً القناع التحضيري^{١٣١}.

جُردت ليبيا في تلك المدة من كل الوسائل التي يمكن أن تدفع بعملية التقدم ومواكبة حركة العصر فالإهمال والفوضى في كل مكان وفي كل مرفق، حتى إنها لم تعرف إحصاءاً شاملاً للسكان إلا في الآونة الأخيرة في الوقت الذي أجريت فيه عدّة إحصائيات للسكان في مدينة طرابلس وحدها من دون سواها فأول تعداد سكاني جرى في هذه المدينة كان عام ١٨٩٩، وذلك بقصد معرفة العدد الحقيقي للسكان من جهة ومن جهة أخرى لوضع نظام ضريبي إلا أن الإحصاء الفعلي والدقيق تم في سنة ١٩٠٩-١٩١١ أي قبل الاحتلال الإيطالي مباشرة، وكان يشمل السكان والمنازل والفنادق وغيرها من المرافق الحكومية وشبه الحكومية وكانت نتائج الإحصاء كالآتي^{١٣٢}، ٣٠٠٠٠ نسمة عدد سكان مدينة طرابلس (المدينة القديمة والمنشية) ومنهم ١٩٥٠٠ مسلم، و ٦٥٠٠ يهودي، و ٤٠٠٠ مسيحي أوروبي^{١٣٣}.

في عام ١٩٠٠ كان عدد الإيطاليين المقيمين في ليبيا ١١٠٠ شخصاً منهم ٩٣٠ في طرابلس و ١٢٠ في بنغازي وعشرون في كل من الخمس ودرنة، وعشرة في مصراته^{١٣٤}

¹²⁹ المصراطي، علي مصطفى. (١٩٦٥). رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة ١٩٨٥. ط١. بيروت دار لبنان للطباعة. ص: ٦٣.

¹³⁰ المصراطي، المرجع نفسه، ص: ٦٧.

¹³¹ القروي، إسماعيل مولود. (١٩٩٣). التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا. ط١. المجلس القومي ص: ١٤.

¹³² بلدية طرابلس في مائة عام، مجلد صدر عن البلدية عام ١٩٧٠، ص: ٥٠.

¹³³ في أثناء تتبعنا للإحصائيات التي نُشرت في بعض الكتب الإيطالية التي اهتمت بدراسة هذه المدة، نجد اختلافاً بسيطاً عن هذه الإحصائية في عدد السكان والمرافق الأخرى. للمزيد: كورو، فرانيسكو. (١٩٨٤). ليبيا في أثناء العهد العثماني الثاني. تعريب خليفة التليسي. طرابلس المنشأة العامة للنشر. ص: ٢٤-٢٥.

¹³⁴ سليمان، محمود حسن. (١٩٦٢). ليبيا بين الماضي والحاضر. القاهرة مؤسسة سجل العرب. ص: ٢١١.

عند دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانية كانت إيطالية حينها إلى جانب الحلفاء، فرغبت تركيا في مساعدة الليبيين ضد الطليان للاستفادة منهم في مصر ضد الإنكليز وفي تونس ضد الفرنسيين، لكن خروج تركيا مهزومة من هذه الحرب جعلها تتخلى عن الليبيين وتتركهم وحدهم في الميدان بمواجهة الإيطاليين^{١٣٥}.

أما عن الحالة الثقافية في ليبيا في أثناء الحكم العثماني وقبيل الغزو الإيطالي فكانت متمثلة في التعليم والصحافة، فنظام التعليم العثماني كان قد تميز حتى عصر التنظيمات ١٨٣٩ بطابعه الديني (تحفيظ القرآن)، أما مدة التنظيمات فأوجدت نظام المدارس الابتدائية وفرضته على السكان بشرط إسهامهم في نفقات إنشاء المدارس وتأنيثها ودفع رواتب للمعلمين فيها^{١٣٦}، إذ كانت مدة الدراسة أربعة سنوات إلزامية تدرس فيها العلوم المختلفة كالحساب والتاريخ والجغرافية لكن باللغة العثمانية، غير أن السكان لم يهتموا كثيرًا بفكرة هذه المدارس بل استمروا في إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب داخل المساجد والزوايا^{١٣٧} التي كانت منتشرة في عموم البلاد وفي المدن والقرى والأرياف إذ تدرس فيها علوم الحديث والتفسير والفقه مدة ثلاث سنوات تؤهل الطالب بعدها للالتحاق بالجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة بتونس.

أما المدارس العصرية فتوجد في طرابلس مدرسة ابتدائية للذكور تدرس فيها مواد اللغة العربية واللغة العثمانية والقرآن والحساب والجغرافية والتاريخ العثماني مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، كذلك مدرسة ثانوية للذكور مدة دراستها ست سنوات، ومدرسة دار المعلمين ومدة الدراسة فيها سنتان، أما المدرسة العسكرية فمدة الدراسة فيها خمس سنوات تُعنى بالشؤون الحربية والعلوم العامة^{١٣٨}، أما مدرسة الفنون والصنائع فهي تُعنى بالتعليم ولاسيما تعليم الحرف لأبناء الفقراء اليتامى إذ يتلقى فيها الطالب التعليم الصناعي مع دراسة ابتدائية وقرآنية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات وعدد طلابها يتجاوز ٢٠٠ طالب يُصرف عليها من إيرادات المدرسة

¹³⁵ شاكر، مرجع سابق، ص: ٤٥.

¹³⁶ الطوير، محمد أحمد. (١٩٨٤). وثيقة تاريخية تكشف عن إستراتيجية التعليم في أجزاء الدولة العثمانية. مجلة الوثائق

العدد الرابع ١٩٩٠. طرابلس مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ص: ١٤٧.

¹³⁷ الطوير، المرجع نفسه، ص: ٣٠٧.

¹³⁸ المرزوقي، مرجع سابق، ص: ٣٦.

والحكومة^{١٣٩}، وكذلك المدارس الأجنبية وتوجد في طرابلس مدرستان ابتدائيتان إيطاليتان خاصتان بأبناء الجالية اليهودية الإيطالية إحداهما للإناث والأخرى للذكور، فضلاً عن مدرسة فرنسية عصرية مفتوحة للجميع.

دأبت الدولة العثمانية على إرسال الطلاب المتفوقون إلى استانبول للدراسة هناك و كان بعض هؤلاء الطلاب يُعيّنون بعد تخرجهم في وظائف إدارية قيادية^{١٤٠}، وهنا يمكننا القول إن التعليم قد حقق أفضل إنجازاته في المدة من ١٩٠٨ إلى ١٩١١ إذ انتشرت المدارس وتشكلت الخطط المستقبلية التي كانت ستنفذ بين عامي ١٩١١-١٩١٢ وبمقتضاها ستتشر المدارس الحديثة في أنحاء البلاد جميعها، لكن هذه الخطوة لم يكتب لها النجاح بسبب الغزو الإيطالي واحتلال البلاد^{١٤١}

شهدت هذه المدة أيضاً إنشاء مجموعة من المدارس ولاسيما من المواطنين كمكتب عرفان الذي أنشأ مدرسة عرفان لتنافس المدارس الإيطالية والأجنبية ومكتب الاتحاد والترقي ومكتب محمود باشا، وغيرها من المدارس التي عملت على نشر الثقافة الأوروبية داخل ليبيا والدعاية الاستعمارية للحضارة الأوروبية وللإعجاب فيها والتشكيك في الأصالة العربية والقيم الإسلامية^{١٤٢}، أما في بنغازي فتوجد مدرستان ابتدائيتان عثمانيتان ومدرسة ثانوية عثمانية خاصة بأبناء الموظفين والعسكريين ومدرستان فرنسيتان مفتوحتان للجميع^{١٤٣}.

إما إذا ما أردنا الحديث عن عهد الاحتلال الإيطالي فنجد أن الأوضاع التعليمية هناك شهدت حالة من التردّي بالنسبة إلى أبناء العرب المسلمين مقارنة بأبناء رعايا الدول الأوروبية الذين كانوا محط اهتمام ورعاية حكوماتهم سواء من حيث تشييد المباني والإنفاق عليها وكذلك توفير المدارس والكتب وغيرها، ومع ذلك فقد رفض العرب الليبيون إرسال أبنائهم إلى المدارس الإيطالية وهذا أقلق الإدارة الإيطالية التي مارست كل أشكال الضغوط على الأهالي لتجبرهم على ذلك لكن من دون نفع إذ استمرّ الأهالي في إرسال أبنائهم إلى المدارس

¹³⁹ الطوير، محمد (١٩٨٨). وثيقة تاريخية تكشف عن طبيعة التعليم في مدينة طرابلس. مجلة بحوث تاريخية. عدد ٣. ص: ١٦٩.

¹⁴⁰ حسن، صلاح الدين. (١٩٨٣). تحديث المؤسسات في ولاية طرابلس الغرب. مجلة بحوث تاريخية. عدد ٢. ص: ٢٢٨.

¹⁴¹ حسن، المرجع نفسه، ص: ٢٢٨.

¹⁴² ريمون، جورج. (١٩٨٣). من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا. ترجمة محمد الوافي. طرابلس. ص: ٥٠-٥١.

¹⁴³ المرزوقي، مرجع سابق، ص: ٣٦.

العربية والعثمانية، وكذلك إرسال البنات للدراسة داخل الكتاب والمدارس العربية الملحقة بالمساجد التي يديرها معلمون عرب^{١٤٤}.

أسهم المثقفون الليبيون في صنع تاريخ بلادهم وأذكوا حركة الجهاد باستخدامهم قدراتهم العلمية مع ضآلتها ودهائهم السياسي مع تواضعه في فضح الأعياب الإيطالية وكشف خداعها وتعبئة الجماهير لمكافحتها والتصدي لها، فكانوا يناضلون بالكلمة والقلم دفاعاً عن حركة النضال السياسي وتأييداً لحركة الكفاح المسلح، فصدرت بذلك عدة صحف لعل أبرزها جريدة (الرقيب) التي صدرت عام ١٩٠٩ باللغتين العربية والعثمانية كان مؤسسها (محمد نديم بن موسى) وقد أسهمت في نشر الثقافة والوعي السياسي بين أفراد الشعب، ثم (جريدة المرصاد) أسسها الشيخ (أحمد الفساطو) عام ١٩١٠ وقد أسهمت في تنبيه الشعب الليبي إلى نوايا إيطاليا وأطماعها في الاستيلاء على ليبيا^{١٤٥}، وأخذ ناشرو هذه الصحف على عاتقهم الدفاع عن قضيتهم الوطنية، وسافر كل من اضطهد منهم إلى الأقطار العربية والدول الأجنبية ليكمل رسالته السامية في فضح خطط إيطاليا للعالم وتأليب الرأي العالمي ضدها، ولعل أبرز هذه الصحف الخارجية هي (الأسد الإسلامي) التي أصدرها المجاهد (سليمان الباروني) عام ١٩٠٨ في القاهرة، ويلحظ وجود العديد من الصحف التي صدرت في هذه المدة التي كانت مواقعها هجومية على الاستعمار وثقافته المغرضة والدعوة إلى خروج الأجانب من البلاد ووقف الدعوات التبشيرية ذات الأهداف المشبوهة^{١٤٦}.

هكذا يتضح لنا أن الفئة المثقفة الطرابلسية وجدت نفسها بعد انقلاب ١٩٠٨ ضمن عالم عثماني قد تحرر فجأة واكتشف حرية التعبير والرأي والصحافة، فكان لهذه الظروف التي تزامنت مع الاحتلال الإيطالي قد خلقت أرضية صحفية وثقافية صلبة للوقوف عليها ضد ثقافة الغزو وأهداف الاستعمار^{١٤٧}.

نستنتج مما سبق أن الظروف التي كانت راهنة آنذاك كانت قد قيدت السكان على مختلف الأصعدة ولاسيما الثقافية منها وهذا دليل على الضعف الثقافي والعلمي الذي عانوه، وظهر ذلك واضحاً في أثناء عجزها

¹⁴⁴ الطوير، مرجع سابق. (د. ت)، ص: ١٦٦.

¹⁴⁵ الصويغي، عب العزيز سعيد. (١٩٨٤). فن صناعة الصحافة. ط١. طرابلس. دار الجماهيرية. ص: ١٥٨.

¹⁴⁶ التليسي، خليفة محمد. (١٩٨٥). حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب. ط٢. تونس. دار العربية. ص: ٢٣٠.

¹⁴⁷ الجميلي، قاسم. (٢٠٠٣). صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر. طرابلس. مركز جهاد الليبيين. ص: ٩٠.

عن التصدي للعثمانيين ومن بعدهم للغزو الثقافي الإيطالي، وانتشار الأمية والجهل الذي استمر لعقود بعد انتهاء الاحتلال، وما زالت انعكاساتها موجودة بوضوح حتى يومنا هذا.

الفصل الثاني

بدء العلاقات الإيطالية- العثمانية وأهم المؤتمرات والمعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية

1- بداية العلاقات الإيطالية- العثمانية

2- المؤتمرات والمعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية ومدى تأثيرها في السياسة الخارجية العثمانية

1-2- مؤتمر برلين ١٨٧٨

2-2- هدنة مودروس ١٩١٨

2-3- مؤتمر فرساي ١٩١٩

2-4- مؤتمر أرض روم وسيواس ١٩١٩

2-5- معاهدة سيفر ١٩٢٠

2-6- صلح مودانيا ١٩٢٢

3- توتر العلاقات الإيطالية- العثمانية والاحتلال الإيطالي لليبيا ١٩١٢

1-3- الدوافع الإيطالية لاحتلال ليبيا

2-3- الحرب الإيطالية- العثمانية ١٩١٢

3-3- معاهدة أوشي لوزان ١٩٢٣

الفصل الثاني: بدء العلاقات الإيطالية- العثمانية وأهم المؤتمرات والمعاهدات التي

أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية

1- بداية العلاقات الإيطالية- العثمانية:

بدايةً لم يكن هناك دولة إيطالية، وإنما مجموعة من الجمهوريات أكبرها جمهورية البندقية التي تقع شمال شرقي إيطاليا، أما مملكة نابولي فهي جنوبي إيطاليا تضم صقلية التي كانت تحت نفوذ إسبانيا، أما منتصف إيطاليا فتتمركز روما مركز البابوية، وأيضاً هناك دوقيات تتمثل؛ بدوقية فلورنسا ودوقية ميلانو (لمبارديا)^{١٤٨}. لكن المنافس الوحيد لجمهورية البندقية هي جمهورية جنوة التي سيطرت على تجارة البحر الأسود حتى فتح القسطنطينية على يد محمد الثاني عام ١٤٥٣، وبعد ذلك أصبح وضع التجار الجنونيين حرجاً فاضطروا إلى دفع الأجور للعثمانيين عند مرور بضائعهم المرسلة من مستعمراتهم في القرم نحو أوروبا^{١٤٩}، لكن مع قدوم السلطان محمد الثاني ضرب تجارة كل من جنوة والبندقية المتنافستين فعمل على طرد التجار العثمانيين الموجودين في جنوة من البحر الأسود، وألغى الامتيازات وفرض الضرائب عند مرور البضائع تجاه أوروبا كما أعطى امتيازات جديدة لفلورنسا، وبعد سيطرته على ميناء كافا وآزوق في القرم تحقق هدفه، فوضع يديه على كل المحطات التجارية التابعة لجمهورية جنوة، ومع اعتراف خانات القرم بالتبعية العثمانية أصبح البحر الأسود بحيرة عثمانية^{١٥٠}. تحت السيادة العثمانية.

أما بالنسبة إلى نفوذ جمهورية البندقية في البلقان الذي هدد التفوق العثماني في شبه جزيرة المورة (اليونان) وألبانيا، فقد اتبع السلطان محمد سياسة حربية للحد من نفوذ البنادقة في تلك المناطق في أثناء إخضاع الدويلات المسيحية في البلقان للنفوذ العثماني، فعندما سيطر العثمانيون عام ١٤٦٣ على البوسنة والهرسك، تحالفت هنغاريا مع جمهورية البندقية ردّاً على ذلك حتى إسكندر بك حاكم ألبانيا تحالف مع البندقية، بالطبع كل هذه

¹⁴⁸ أوزتونا، يلماز. (١٩٩٠). تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان سلمن. تركيا الهلال للطباعة. ج٢. ص: ١٧٥.

¹⁴⁹ أوزتونا، المصدر نفسه، ص: ١٦٩.

¹⁵⁰ الشناوي، عبد العزيز. (١٩٨٠). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة. ج٤. ص: ٨٨٣-٨٨٤.

التحالفات كانت بتوجيه من بابا روما، عندما دعا الحكام المسيحيين للانضمام إلى تلك التحالفات التي أقامتها جمهورية البندقية للوقوف في وجه العثمانيين في البلقان^{١٥١}.

عندما فشلت مساعي البندقية في البلقان وسيطرة العثمانيين على الروملي (البلقان)، بحثوا عن حليف لهم في الشرق فوجدوا ضالتهم بالسلطان أوزن حسن^{١٥٢}، بالفعل بدأت المراسلات بينهما منذ عام ١٤٦٣ وتبادلا السفراء من أجل عقد اتفاق أو تحالف لضرب العثمانيين من الشرق والغرب^{١٥٣}، عندما سافر السلطان أوزن حسن إلى العراق وإيران ووصل إلى حدود إمارة قرمان، عدّ عدوّاً مرعباً للعثمانيين كاتيمورلنك، فعندما وعدّ البنادقة بـ ٣٠ ألف مقاتل، تقارب الطرفان وحصل اتفاق بينهما نصّ على أن يأخذ السلطان أوزون حسن الأناضول بشرط أن لا يبني القلاع على الشواطئ، أما البنادقة فطالبوا بشبه جزيرة المورة وبعض الجزر، وبإخراج العثمانيين من البلقان عندما خططوا للسيطرة على استانبول نفسها^{١٥٤}، فضلاً عن حصر العثمانيين في منطقة البحر الأسود- مرمرة- ايجة- البحر المتوسط، وتفويض السلطان أوزون حسن بإحياء إمارة قرمان وطرابزون التي يرتبط معها بعلاقات مصاهرة، وبهذا الشكل طُرد العثمانيون من منطقة وسط الأناضول^{١٥٥}، وأرجعوا إلى إمارة تضمّ بورصة وما حولها بعدّ طردهم من البلقان أيضاً^{١٥٦}؛ لأنّ رد السلطان محمد الثاني كان سريعاً فضرب مصالح البندقية عندما منح دوقية فلورنسا الامتيازات التجارية في الشرق لهم عوضاً عن البنادقة^{١٥٧}، وشن حرباً على السلطان أوزون حسن عام ١٤٧٣، وانتصر عليه في موقعة باشكنت وسحقه لجيش أوزون حسن، عندئذ تلاشت آمال البندقية فلم يعترف السلطان محمد بذلك بل وجه قواته نحو مواقع البنادقة فضرب حصار على شكودرا في ألبانيا عام ١٤٧٤، وعندما طال الحصار أجبر البنادقة على توقيع معاهدة مذلة مع السلطان محمد الثاني عرفت بمعاهدة استانبول والانسحاب من الحرب عام ١٤٧٩^{١٥٨}، والتنازل عن ممتلكاتها جميعها في ألبانيا، وتخليها عن

¹⁵¹ اينالجيك، خليل. (٢٠٠٢). تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار. ترجمة محمد الأرناؤوط. ط١. دار المدار. ص: ٤٥.

¹⁵² هو حسن الطويل حكم من عام ١٤٥٢ - ١٤٧٨، زعيم دولة الآق قوينلو (شياه البيضاء).

¹⁵³ بروكلمان، كارل. (١٩٦٨). تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي. ط٥. بيروت دار العلم. ص ٤٣٩.

¹⁵⁴ اينالجيك، مصدر سابق. (٢٠٠٢)، ص: ٤٦.

¹⁵⁵ باروت، محمد جمال. (٢٠١٨). الصراع العثماني- الصفوي وآثاره في الشيعة شمال بلاد الشام. ط١. دمشق ص: ٨١-٨٢.

¹⁵⁶ اوزتونا، مرجع سابق ص: ١٦٠.

¹⁵⁷ باروت، مصدر سابق، ص: ٨٢.

¹⁵⁸ اينالجيك، مصدر سابق، ص: ٤٧.

السكان في شبه جزيرة المورة، وشرائها حق الاتجار بالشرق بدفع مبلغ قدره ١٠٠ ألف دوقه، وجزية سنوية تقدر بـ ١٠ آلاف دوقه^{١٥٩}، والسماح لسفيرها أن يتخذ من استانبول مقراً لإقامته للإشراف على التجار القادمين لدولة البندقية وتسيير أمورهم^{١٦٠}.

فمع توقيع البندقية معاهدة مذلة مع السلطان محمد الثاني، إلا أنها بقيت لاعباً مهماً في المسرح السياسي الدولي آنذاك، بسبب مواردها المالية والتجارية والبحرية^{١٦١}.

فلم تستسلم للعثمانيين وكانت تتحين الفرصة المناسبة للانضمام إلى أية حرب يعلنها بابا روما ضد العثمانيين، فعندما دعا البابا ديوس الخامس عام ١٥٧١ إلى تشكيل عصبة مقدسة ضد العثمانيين أسرع الجمهوريات الإيطالية وعلى رأسها البندقية وجنوة، وتوسكانيا ودوقية فلورنسا إلى الانضمام إليها وعند انتصار العصبة المقدسة على الأسطول العثماني في معركة ليبانتو قابل العالم المسيحي هذا النصر بابتهاج شديد، وأقيمت الزينات في روما والبندقية^{١٦٢}.

عدت الدول الأوروبية هذا النصر هو نهاية للخطر العثماني الذي يهدد القارة الأوروبية؛ لكن النصر والحماس في لبيان توم عام ١٥٧١ حفز كل من البندقية ودولة البابا على مهاجمة استانبول نفسها، لكن عندما أبحروا باتجاه قبرص كان الأسطول العثماني بانتظارهم، وعندما رأت البندقية ذلك تراجعت وطلبت الصلح مع العثمانيين عام ١٥٧٣ بعد أن تخلت عن قبرص ووافقت على دفع تعويضات الحرب^{١٦٣}، إذ سُدد نحو ٣٠٠ ألف ليرة ذهب وعليه فإن أخذ قبرص من البنادقة كان بمنزلة تعويض عن خسائر ليبانتو عام ١٥٧١^{١٦٤}.

عندما أرسلت الدولة العثمانية حملة عسكرية بحرية للسيطرة على كريت التابعة للبنادقة عام ١٦٤٤ تلقت مقاومة من البنادقة، مدعومة من كل الدول الأوروبية والجمهوريات الإيطالية بما فيها بابا روما، استمرت الحرب

¹⁵⁹ بروكلمان. مرجع سابق. ص: ٤٤٠.

¹⁶⁰ اينالجي، مصدر سابق، ص: ٤٧.

¹⁶¹ فاروقي، ثريا. (٢٠٠٨). الدولة العثمانية والمحيط بها. ترجمة حاتم الطحاوي. ط١. دار المدار الإسلامي. ص: ٨٦.

¹⁶² الشافعي، مصدر سابق، ص: ٨٩٧-٨٩٨.

¹⁶³ اينالجي، مصدر سابق، ص: ٦٨.

¹⁶⁴ اوزتونا، مرجع سابق، ص: ٣٧٦.

بينهما نحو ٢٥ عامًا، وبالنهاية استطاع الأسطول العثماني السيطرة على كريت وتحويلها إلى ولاية تابعة للدولة العثمانية^{١٦٥}.

نستنتج مما سبق أن العلاقات بين الدولة العثمانية والجمهوريات الإيطالية وعلى رأسها جمهورية البندقية كانت في حالة صراع مستمر يتخللها محطات تتمثل بمعاهدات الإذلال؛ التي وقعتها جمهورية البندقية مع الدولة العثمانية للمحافظة على تجارتها ضمن أراضي وشواطئ الدولة، لكن عندما يعلن البابا أية حرب ضد الدولة العثمانية تسارع البندقية ومعها الجمهوريات الإيطالية للانضمام إلى الحرب للاستفادة والحصول على امتيازات؛ ولكن مع نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر انتشر الفساد داخل الدولة العثمانية بسبب انكسارات الجيش العثماني في ساحات القتال سواء أكان بالبر أم البحر، أسفر عن حصول دول أوروبية ممثلة ببريطانيا وفرنسا على امتيازات؛ تحولت فيما بعد إلى دولة داخل دولة بمعنى تحويل الدولة العثمانية إلى شبه مستعمرة للدول الأوروبية.

تضاءلت الأهمية التجارية للدويلات الإيطالية، لكن بقيت اللغة الإيطالية هي الأوسع انتشارًا بالشرق حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما بدأ الاستعمار الغربي يتخذ من الثقافة ونشرها ذريعة للتوسع والسيطرة، في أثناء إرساله للبعثات والإرساليات التبشيرية إلى الشرق التابع للدولة العثمانية، ازداد اهتمام الطليان بهذا الأمر^{١٦٦} فشل القوميون الإيطاليون في تحقيق وحدة بلادهم المقسمة إلى جمهوريات مستقلة نوعا ما، فضلا عن تزايد النفوذ النمساوي ضمن أراضيهم، سواء مباشرة (وجود عسكري)، أم عن طريق ارتباطهم ببعض أمراء نابولي ومودانيا وبارما، لكن عندما عُيّن كاملو بانسو Camilo bnsو^{١٦٧}، المعروف بكافور ذي السياسة المحنكة التي تمتع بها رئيساً للوزراء عام ١٨٥٢، بدأ يتقرب من الدول الأوروبية للتخلص من النفوذ النمساوي من جهة وتحقيق الوحدة الإيطالية من جهة أخرى، بدايةً تقرب من الإمبراطور الفرنسي ناري بون الثاني فاستغل حرب

^{١٦٥} للإطلاع أكثر حول هذه الحرب الطويلة انظر: اوزتونا، مرجع سابق، ص: ٥٠٨- وأيضًا الشناوي، مرجع سابق، ص: ٨٩٦-١١٩٧.

^{١٦٦} شعيب، علي عبد المنعم. (٢٠٢٠). الصراع الإيطالي- الفرنسي على بلاد الشام. ط١. بيروت دار الفرابي. ص: ١٣-١٤.

^{١٦٧} رئيس وزراء سردينيا وموحد إيطاليا عام ١٨٦١.

القرم^{١٦٨}، التي قامت بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية بين عامي ١٨٥٣-١٨٥٦، فدخل الحرب إلى جانب فرنسا وبريطانيا اللتين وقفتا إلى جانب الدولة العثمانية، وبعد دخوله الحرب دخلت مملكة سردينيا إلى جانب الحلفاء التي أصبحت مركزاً لمملكة إيطاليا ١٨٦١، عندما حُقت الوحدة الإيطالية^{١٦٩}.

حقيقة الأمر أن وقوف إيطاليا إلى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم، كان لمساندة فرنسا وبريطانيا اللتين وقفتا ضد أطماع روسيا، على أمل أن تدعموا الوحدة الإيطالية والتخلص من النفوذ النمساوي، وعند انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء على روسيا القيصرية عام ١٨٥٦ اجتمعت الأطراف المتحاربة، ووُقعت معاهدة باريس، استغل الشعب الإيطالي هذا الأمر حتى يعرضوا قضية بلادهم، وانتهاكات النمسا لحقوق الشعب الإيطالي وضرورة حصول إيطاليا على الاستقلال ورفضاً لذلك لقيت كلمة كافور صدى واسعاً لدى الفرنسيين والإنجليز وكل هذا كان تمهيداً للوحدة الإيطالية^{١٧٠}.

ما إن تشكلت الوحدة الإيطالية حتى أخذت تؤدي دور الدولة الإمبريالية، ذات المطامع الاستعمارية وذلك عندما تدخلت في الحرب اللبنانية عام ١٨٦٠، إذ وجه رئيس الوزراء الإيطالي كافور رسائل لبريطانيا وفرنسا عن طريق وزير الخارجية الإيطالي، مطالباً أن تشارك إيطاليا في الحل النهائي للأزمة اللبنانية، بالفعل استطاعت الدولة الإيطالية الدخول بالسياسات الأوروبية ولاسيما جبل لبنان، إذ وقعت سفارة إيطاليا في الأستانة على بروتوكول خاص بتعيين فرانكو باشا^{١٧١} حاكم على جبل لبنان^{١٧٢}.

هذا التدخل الإيطالي في شؤون جبل لبنان جاء بسبب النشاط الإيطالي المتزايد، على خلفية التسهيلات التي قدمتها السلطنة للدولة الإيطالية، لأنهم أقل خطراً على السلطنة مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى (فرنسا-بريطانيا)^{١٧٣}، فضلاً عن ذلك جاء هذا الأمر ضمن السياق العام لتطلعات سياسيتها ومفكرها، للتوسع الاستعماري

¹⁶⁸ وثائق وزارة الخارجية البريطانية، موجودة بدار الوثائق بالقاهرة، ملف رقم ١٣، ضمن المحفوظة ٣.

¹⁶⁹ جريدة المصري اليوم (انتهاء حرب القرم بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية)، ٣١ يناير ٢٠١٢.

¹⁷⁰ عبد الناصر، رمضان طه (يتدخل نكبي سهل الإيطاليون لوحدة بلادهم)، مجلة العربية، تونس ٦ ديسمبر ٢٠١٨.

¹⁷¹ في عام ١٨٦١ تم فصل جبل لبنان عن سورية، وتم تعيين متصرف أي حاكم عن طريق السلطان العثماني، ومن بين المتصرفية نصري باشا حليبي الأصل، عيّنه السلطان عبد الحميد الثاني بالاتفاق مع الدول الست مدة عشر سنوات لكنه توفي قبل أن يتمها.

¹⁷² شعيب، مرجع سابق. ص: ١٦-١٧.

¹⁷³ برو، مرجع سابق. ص: ٢٩٨.

بعد إنجاز الوحدة الإيطالية ١٨٦١، لأن إيطاليا لديها الأسس الأيديولوجية والامبريالية لذلك، وهذا ما صرح به الزعيم الإيطالي مازيني^{١٧٤}، بمكانة إيطاليا في آسيا وإفريقيا لأنها مؤهلة لتؤدي دورا عالميا وروحيا في المناطق التابعة للدولة العثمانية^{١٧٥}.

واجهت إيطاليا مشاكل عدّة أثرت في مسيرتها التاريخية بشكل كبير ويمكن إجمالها بالآتي؛ المشكلة الاقتصادية التي عدّت من أصعب المشاكل التي واجهت الحكومة، فضلاً عن طبيعة البلاد التي تفتقر للموارد الطبيعية؛ إذ وجب عليها أن تستورد الفحم والحديد لتأمين المصانع، فضلاً عن افتقارها إلى الأراضي الصالحة للزراعة لأن أكثر أراضيها جبلية جرداء أو مستنقعات، فكان الإنتاج لا يتناسب مع المطلب المحلي؛ بسبب تزايد عدد السكان وفي أثناء عامي ١٨٧٠ - ١٨٨١، حاولت إيطاليا حل مشاكلها وإصلاح شؤون البلاد حتى تنفذ سياستها الاستعمارية، بهدف الحصول على المستعمرات أسوة بالدول الأوروبية الأخرى.

¹⁷⁴ فيلسوف وسياسي وطني إيطالي لقب بروح إيطاليا، أسهمت جهوده وحراكه السياسي في قيام الدولة الإيطالية الحديثة، واستقلالها عن القوى الخارجية التي كانت تحرك ولاياتها المختلفة.

¹⁷⁵ شعيب، مرجع سابق، ص: ١٨.

2- المؤتمرات والمعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية ومدى تأثيرها في السياسة الخارجية العثمانية:

2-1- مؤتمر برلين ١٨٧٨م

بعد هزيمة العثمانيين أمام الروس في البلقان وتهديد الروس للعاصمة استانبول عام ١٨٧٨ جرت مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة استيفانوس وتذكر في مصادر أخرى اياستفانوس التي كانت مجحفة بحق الدولة العثمانية^{١٧٦}، فقام كل من وزير الخارجية صفوت باشا وسفير الدولة في برلين سعد الله باشا في ١٥ فبراير ١٨٧٨ بالتوقيع عليها ووقع عن روسيا الجنرال كانت وأهم ما جاء في هذه المعاهدة المكونة من ٢٩ مادة^{١٧٧}:

- ١- تعيين حدود الجبل الأسود لإنهاء النزاع والحصول على استقلاله.
- ٢- تعلن الدولة العثمانية استقلال الصرب وتضيف إليها أرض جديدة.
- ٣- تستقل بلغارية استقلالاً ذاتياً وتدفع مبلغاً محدداً للدولة العثمانية.
- ٤- تحصل الأفلاق والبلغدان (رومانيا) على استقلالها التام.
- ٥- يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن والمسيحيين والأكراد والشركس.
- ٦- يقوم الباب العالي بإصلاح أوضاع المسيحيين في كريت.
- ٧- تدفع الدولة العثمانية غرامة ضريبية قدرها ٢٥٠ مليون ليرة ذهبية، يمكن لروسيا أن تتسلم أرضاً مقابل المبلغ.

- ٨- تبقى المضائق (البوسفور - الدردنيل) مفتوحة للسفن الروسية في السلم والحرب.
- ٩- يمكن للمسلمين في بلغاريا أن يهاجروا حيث يريدون من أجزاء الدولة العثمانية^{١٧٨}، فكانت هذه المعاهدة بمنزلة الانتحار للدولة العثمانية، لذلك عمل السلطان عبد الحميد الثاني على تعديل بنودها بمعاهدة برلين التي فرضتها الدول الكبرى على روسيا لتعديل الخريطة الإستراتيجية الأوروبية.

¹⁷⁶ عبد الرحمن، تهاني. (٢٠١٠). الأصول التاريخية للمسلمين في البلقان. ط١. القاهرة. دار العالم العربي. ص: ٥٧.

¹⁷⁷ أوزتونا، مرجع سابق. ص: ١٢١.

¹⁷⁸ ياغي، إسماعيل. (١٩٩٨). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. ط١. مكتبة العبيكان. ص: ١٩٢-١٩٣.

ويلحظ هنا أنه بعدَ معاهدة اياستفانوس التي قسمت الدولة العثمانية ولم يراع في هذه التقسيمات صالح الأمم المراد سلخها عن الدولة العثمانية ولا حدودها، بل أضافوا إلى إمارة البلغار بلادًا كثيرة أغلب سكانها الأروام والصرب، وأضافوا إلى الصرب والجبل الأسود بلادًا فيها الكثير من الأرثوذكس المسيحيين والمسلمين لذلك كانت كل من هذه الأمم غير راضية عن هذه المعاهدة التي لم تراخَ فيها إلا المصالح الروسية، كذلك كان الرأي العام الأوروبي ناقدًا على روسيا لوجود إمارة البلغار المراد إنشاؤها محيطة بالأسطانة من كل جهة، فكانت إنجلترا أكثر تخوفًا من نتائج هذه المعاهدة لوجود عساكر روسية على مقربة من البوسفور مع خوفها من ازدياد نفوذ روسيا في الهند بعد انتصارها على الدولة العثمانية، لذلك كانت أشد معارضة من غيرها لمعاهدة أياستفانوس، أما سبب معارضة النمسا فكان يعود إلى رغبتها في مشاركة روسيا في بقايا الدولة الإسلامية باحتلالها إقليمي البوسنة والهرسك، أما ألمانيا فكانت مساعدة لروسيا، وفرنسا كانت على حياد مطلق، أما عن إيطاليا فلم يكن لها مصالح في هذه المسألة ولا تود الاشتباك في حرب أوروبية؛ لقرب عهد تمام استقلالها وسعيها في تقوية وحدتها السياسية.

مع ما سبق فقد أدت الأزمة البلقانية (١٨٧٥-١٨٧٧) والحرب الروسية- العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨) و ذكرنا سابقًا إلى تدهور الوضعين السياسي والاقتصادي الداخلي في الدولة العثمانية، فضلًا عن اندلاع الثورات في أنحاء البلاد التي كان أبرزها ثورة كاثوليك الشمال ١٨٧٧^{١٧٩}، ودخول الصرب والجبل الأسود الحرب ضد الدولة العثمانية في كانون الثاني من عام ١٨٧٨، واليونان في شهر شباط من العام نفسه بهدف تحقيق مكاسب إقليمية في جنوب البلاد.

كان لتلك الأحداث والتطورات التاريخية المهمة تأثير كبير في أوضاع المسلمين، وفي خضوعهم إلى حكم الجبل الأسود واليونان. عقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ الذي كانت جلسته الأولى في ١٣ حزيران وجاءت مقرراتها باقتطاع أجزاء من ألبانيا في سبيل إعادة تشكيل الكيانات البلقانية المسيحية المجاورة، فمع خروج الدولة العثمانية ضعيفة ومختزلة من الأزمة الطويلة المتعددة الجوانب سياسيا وماليا وعسكريا ودبلوماسيا التي تمتد من ١٨٧٥

¹⁷⁹سنو، عبد الرؤوف. (١٩٩٨). النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية. ط١. لبنان: بيسان للنشر. ص: ١٥٠-١٥٤.

إلى ١٨٧٨ بما لحقها من خسائر إقليمية ملحوظة في البلقان إذ حصلت رومانيا وصربيا والجبل الأسود على استقلالها التام واحتلت النمسا البوسنة والهرسك، وأصبحت بلغاريا إمارة تتمتع بالحكم الذاتي، فلم يكن التراجع العثماني مقتصرًا على الجزء الأوروبي فوق ما جرى التنازل عن قبرص لصالح إنجلترا وفي شرق الأناضول ضمت روسيا ولايتي كارس وأردهان، وعلى وجه الإجمال فإن نحو ٢١٠٠٠٠ كم^٢ انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية مع سكان يصل عددهم إلى نحو ٥،٥ مليون نسمة^{١٨٠}.

أجازت معاهدة برلين تدخل الدول في حال عدم قيام استانبول بالإصلاحات المطلوبة في الولايات التي يسكنها الأرمن، فضلًا عن أنه في أثناء السنوات اللاحقة لمعاهدة برلين تعرضت الدولة العثمانية لاستقطاعات جديدة، ولم يكن بسمارك يجهل أن الإيطاليين يطمحون للاستيلاء على تونس (فهم يرون أن هذه البلاد التي تواجه صقلية كانت يوما ما جزءًا مهمًا في الإمبراطورية الرومانية وامتدادًا طبيعيًا لإيطاليا)، و كانت إيطاليا من ناحيتها تعلم أن للفرنسيين مطامع كبيرة في تونس ولاسيما بعد توطيد دولتهم وحكمهم في الجزائر، فبذل الإيطاليون جهودهم في مكافحة النفوذ الفرنسي حتى لا يستطيع التفوق في هذه البلاد، كان الإيطاليون يرون أنه يجب على فرنسا أن تقنع بالجزائر وتترك تونس لإيطاليا، حاولت إيطاليا عام ١٨٧١ استغلال فرصة انهزام فرنسا الحربي في (سيدان)^{١٨١}؛ لإرغام باي تونس على قبول تفوق النفوذ الإيطالي، ولكن من حسن حظ فرنسا في ذلك الوقت أن إنجلترا وتركيا عملتا على إيقاف إيطاليا عند حدودها، فلم يمنع مؤتمري برلين وفينا من التفكير في تعويض إيطاليا ببلاد أخرى إذ عادت لإظهار ولائها لدول وسط أوروبا وأخذت فكرة تعويض إيطاليا في الظهور^{١٨٢}.

أيدت معاهدة برلين التي عُقدت في ١٣ تموز ١٨٧٨ النصوص التي لم تتعرض للإلغاء أو التعديل في معاهدة باريس لسنة ١٨٥٦^{١٨٣} وفي معاهدة لندن^{١٨٤} لسنة ١٨٧١^{١٨٥}، وعلى ذلك لم تأت معاهدة برلين بجديد

¹⁸⁰ مانتران، روبير. (١٩٩٣). تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة بشير السباعي. ط١. القاهرة. ج٢. ج٢. ص: ١٦١.

¹⁸¹ حرب سيدان هي حرب فرنسية بروسية بين الجيش البروسي والجيش الفرنسي في ١ سبتمبر ١٨٧٠، انتهت المواجهة بينهما بانتصار بروسيا واعتقال الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث.

¹⁸² صفوت، محمد مصطفى. (١٩٥٧). مؤتمر برلين وأثره في البلاد العربية. معهد الدراسات العليا. ص: ٤٣.

¹⁸³ أهم ما جاء في معاهدة باريس ١٨٥٦؛ حررت البحر الأسود أي أنه أصبح محايداً، يصل الأسطول الروسي إلى الحد الأدنى وتم

على نظام عبور السفن التجارية والحربية والملاحة في البحر الأسود وظلت أحكام معاهدة باريس ومعاهدة لندن تحكم نظام العبور والملاحة، وسارت الأمور سيرًا عاديًا حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، فلم تقع سوى مخالفات قليلة حين مرت في المضائق سفن روسية؛ في أثناء الحرب الروسية-اليابانية^{١٨٦} كانت تحمل ذخائر وأسلحة^{١٨٧}، وحدث أيضًا أن قامت السلطات العثمانية ببث الألغام في مياه المضائق في أثناء الغزو الإيطالي لولايتي برقة وطرابلس عام ١٩١١ فتعطل المرور في هذه المضائق وكانت هذه حجة لإيطالية للقيام بإجراءات حربية بحجة الدفاع عن النفس لمنع الدولة العثمانية من تحقيق رغبتها في الحيلولة دون مرور السفن الحربية الإيطالية من منطقة المضائق^{١٨٨}.

انطلق بسمارك^{١٨٩} يدعو أوروبا إلى الاجتماع في برلين في ١٣ يونيو ١٨٧٨ فاستجاب للدعاء كل من (النمسا-ألمانيا-المجر-فرنسا-بريطانيا-إيطاليا)، و حضر أيضًا مراقبون من (اليونان وبلغاريا وصربيا والجبل الأسود)، وحضر أيضًا مندوب عن الدولة العثمانية ووقع على قرارات المؤتمر ليعطيها بذلك صفة شرعية، فكانت قرارات هذا المؤتمر امتدادًا للمؤتمرات السابقة والشيء اللافت للنظر هنا أن فرنسا طلبت قبل الاجتماع عدم مناقشة وضع مصر وبلاد الشام^{١٩٠}، وهذا يبين نيتها المبيتة حتى قبل الحرب العالمية الأولى وقبل توقيع معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦ ووعده بالفور ١٩١٧، وكذلك قبل احتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢ وفلسطين ١٩١٨ الذي كان تمهيداً لإقامة الكيان اليهودي هناك وكذلك قبل أن تكون سورية ولبنان من نصيب فرنسا ١٩٢٢،

فرض نفس الالتزامات على تركيا إلا أن روسيا كانت أكثر تضرراً بسبب الحد من ممتلكاتها عليه فمنعت من امتلاك أسطول وترسانات وقلاع، وحرية ملاحة للسفن التجارية.

¹⁸⁴ أهم ما جاء في معاهدة لندن ١٨٧١ حق روسيا في وجود أسطول وميناء لصنع وإصلاح السفن في البحر الأسود وهو بند مشترك في معاهدة لندن وباريس وحتى في مؤتمر برلين.

¹⁸⁵ جنبه (١٩٢٨)، ص: ٢٢٥-٢٢٦.

¹⁸⁶ قامت بين عامي ١٩٠٤-١٩٠٥ بين الإمبراطورية الروسية وإمبراطورية اليابان؛ بسبب طموحات الدولتين التنافسية في منشوريا.

¹⁸⁷ رشوان، عبدالله. (١٩٥٠). المركز الدولي لقناة السويس ونظائرها. القاهرة. ص: ٣٨٢.

¹⁸⁸ رشوان، المرجع نفسه، ص: ٢٨٣.

¹⁸⁹ إدوارد ليوبولد فون بسمارك رجل دولة وسياسي بروسي - ألماني شغل منصب رئيس وزراء مملكة بروسيا بين عامي ١٨٦٢ و ١٨٩٠ وأشرف على توحيد الولايات الألمانية وتأسيس الإمبراطورية الألمانية أو ما يسمى بـ "الرايخ الألماني الثاني"، وأصبح أول مستشار لها بعد قيامها في عام ١٨٧١.

¹⁹⁰ لقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشناوي تصريحات نقولا الأول الأرثوذكسي الصليبي قيصر روسيا ١٨٢٥-١٨٥٥ " أن الدولة العثمانية رجل مريض للغاية وقد يلفظ أنفاسه الأخيرة فجأة فمن الخير أن تفكر الدولة الأوروبية باقتسام ممتلكات الدولة وسلطانها قبل وفاته.

في الوقت الذي تغض بريطانيا فيه الطرف عن احتلال فرنسا لبقية بلاد شمال إفريقيا، إلا ليبيا التي كانت من نصيب إيطاليا ١٩١١ وهذا سوف نتناوله تناوُلًا مفصلاً في أثناء بحثنا.

يمكن الاستنتاج أن أوروبا تعمل في أثناء إستراتيجيتها بعيدة المدى على تمزيق العالم الإسلامي وضرب الخلافة الإسلامية والسيطرة على غنائمها ويتضح ذلك في أثناء الاطلاع على قرارات مؤتمر برلين ١٨٧٨^{١٩١} التي قامت بمقتضاها دويلات مسيحية على أرض بلغارستان والجبل الأسود والصرب ورومانيا والبوسنة والهرسك (تحت النفوذ النمساوي- المجري) واغتصبت روسيا أراضي أردهان- قارص- باطوم- مرسى وكذلك الأراضي الواقعة بين تركيا القديمة وروسيا جميعها بعد أن كانت هذه البلاد جزءا من الدولة الإسلامية مدة ٦٠٠ عام أو أكثر. فضلاً عن قيام الدولة العثمانية بسحب عساكرها (المجاهدين) وهدم سائر القلاع والحصون التي كانت قائمة في تلك البلاد، أصبح مسلمو تلك البلاد تحت سلطان دولة مسيحية وهذا دفع بالكثيرين منهم للهجرة تاركين الأموال والديار، كذلك فإن قرارات المؤتمر أعطت لدول أوروبا الحق في مراقبة الأمور الداخلية للدولة العليا بحجة حماية المسيحيين وحماية الأرض من تعدي الأكراد والشراكسة المسلمين عليهم، و أنها أعطت أملاك الدولة العثمانية لدول لم تشترك في حرب ضدها مثل اليونان وإيران، هذا بالنسبة إلى القرارات الظاهرة المعلنة أما الاتفاقيات السرية فبدت واضحة من خلال احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠، ولتونس عام ١٨٨١ ولسورية ولبنان فيما بعد ١٩٢٠، كذلك احتلال إنجلترا لمصر عام ١٨٨٢ وفلسطين ١٩١٨.

كان الهدف المعلن لعقد مؤتمر برلين ١٨٧٨ لحل المشكلات الناجمة عن تداعي نفوذ العثمانيين في أوروبا والتنافس بين القوى الأوروبية الأخرى على السيطرة على الدول الخارجة من تحت النير العثماني، على حين كان الدافع الرئيس لعقد هذا المؤتمر و سبق وذكرنا هو الحرب الروسية- العثمانية ومعاهدة اياستيفانوس الناتجة عنها، إذ جاءت أهم النتائج التي توصل إليها المؤتمر لتعبر عن ذلك:^{١٩٢}

١- الاعتراف ببلغاريا بوصفها إمارة مستقلة مع بقائها اسماً تحت النفوذ العثماني تدفع خراجاً كل سنة

للباب العالي.

^{١٩١} الشناوي، مرجع سابق، ص: ٦٨٧، ٦٩٩.

^{١٩٢} بك، مرجع سابق. ص: ٤٧٤-٤٧٧.

٢- الاعتراف باستقلال جمهورية الجبل الأسود، والزيادة في مساحة الأراضي التابعة لها، بتوقيع من الباب العالي وبقية الدول الموقعة على هذه المعاهدة التي لم يعترفوا فيها سابقاً.

٣- الاعتراف باستقلال إمارة الصرب ورومانيا

٤- نقل السلطة على أراضي أردهان وقارص وباطوم مع مرسى وجميع الأراضي الكائنة بين تخوم روسيا وتركيا القديمة والتخوم الجديدة إلى روسيا.

٥- تعيد روسيا لتركيا أودية الغراد ومدينة بيازيد.

٦- يكون للحضرة السلطانية الحق في أن تتبشر بالمحافظة على الحدود البرية والبحرية وذلك في أن تبني في تلك الحدود استحکامات وتقيم فيها عساكر نظامية^{١٩٣}

٧- الموافقة على تحسين أوضاع المسيحيين في كريت^{١٩٤}

٨- إبقاء الغرامة الحربية التي قررتها معاهدة اياستفانوس

٩- تعهد الباب العالي أن يقبل شهادة رعاياه جميعهم بلا تمييز في الدين أو القضاء^{١٩٥}

١٠- إذا فرض أنه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود و تقرر في

المادة ١٣ من مؤتمر برلين فدول ألمانيا وهنغاريا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وروسيا تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين.

١١- لأجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر تونة التي اعترف أنها من المصالح الأوروبية قرر الموقعون

على هذه المعاهدة هدم الحصون والاستحكامات الموجودة على النهر جميعها ولا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر البواخر الحربية على التونة فقط يسمح لبواخر الحراسة السفر فقط^{١٩٦}.

ألزمت هذه المعاهدة الدولة العثمانية بأن تفيد الدول الأجنبية وعلى الدول الأجنبية مراقبة ذلك، أي أن

الدول جعلت لنفسها حق مراقبة الأمور الداخلية للدولة العثمانية بحجة حماية المسيحيين عموماً والأرمن

¹⁹³ بك، محمد فريد، (١٨٩٦). تاريخ الدولة العثمانية. ط٢. مصر. ص: ٤٧٩.

¹⁹⁴ ياغي، مصدر سابق، ص: ١٩٥.

¹⁹⁵ الصلابي، علي محمد. (٢٠٠١). الدولة العثمانية. ط١. دار التوزيع الإسلامي. ص: ٤١٥.

¹⁹⁶ بك، مرجع سابق. (د.ت)، ص: ٥٥٣.

خصوصاً من تعدي الشراكسة والأكراد، و جاء في البند الثاني والستين مراعاة باقي الطوائف غير الإسلامية، فمن ينظر إلى معاهدة برلين يرى أنها لا تقل إجحافاً بحقوق الدولة العثمانية عن معاهدة سان استيفانوس بل إنها اشد وطأة وتأثيراً.

في كواليس مؤتمر برلين عرض بسمارك تقسيم الإمبراطورية العثمانية على مذبح السلام الأوروبي، مصر لبريطانيا، وتونس والشام لفرنسا، وليبيا لإيطاليا، وللمسا والبوسنة والهرسك وروسيا حق الإبحار والتجارة في البوسفور والدردنيل، فيمكننا القول إن معاهدة برلين أصبحت آخر اتفاقية عدلت الجغرافية السياسية لأوروبا في القرن التاسع عشر بعد معاهدة فينا ١٨١٥ وباريس ١٨٥٦ وفرساي ١٨٧١، طالت الحياة الثقافية في البلقان مدة ٣٥ عاماً بدلاً من معاهدة برلين لروسيا إلا الشيء اليسير، لا تعد تعويضاً لتضحياتها العسكرية والمالية^{١٩٧}

¹⁹⁷ اوزتونا، مرجع سابق. (١٩٩٠)، ص: ١٢٣.

2-2- هدنة مودروس^{١٩٨} ١٩١٨م

خرجت الإمبراطورية العثمانية من الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ مندوحة وفي ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ وقعت مع الحلفاء على هدنة مودروس وفيها أُملى الحلفاء شروطهم مثل فتح الدردنيل والبوسفور ونزع سلاح الجيش العثماني وتسليم البوارج الحربية العثمانية واستعمال البواخر الحليفة للموانئ التركية واستسلام الحاميات العثمانية في الحجاز وعسير واليمن وسورية والعراق واستسلام الموانئ التركية في شمال إفريقيا^{١٩٩} بعد وفاة السلطان محمد الخامس^{٢٠٠}، تولى أخوه وحيد الدين باسم محمد السادس الولايات العربية التي كانت خاضعة لهم في الحجاز والعراق وشرق الأردن وفلسطين والشام، فضلاً عن الخسائر التي نزلت بهم في كافة الميادين، وفي شهر تشرين الأول عام ١٩١٨ استقال وزراء جماعة الاتحاد والترقي كافة نتيجة فشل سياستهم الداخلية والخارجية والحربية، ثم فر كبارهم إلى خارج البلاد إذ لقوا حتفهم تبعاً.

رأى السلطان الجديد بعد أن انتهت الأعمال العدائية في ٣٠ تشرين أول ١٩١٨ في مسرح الشرق الأوسط^{٢٠١} بين الإمبراطورية العثمانية وحلفاء الحرب العالمية الأولى دول الوفاق، أنه يتوجب عليه إنقاذ ما يمكن إنقاذه فعين عزت باشا صدرًا أعظم وعهد إليه الاتصال ببريطانيا لعقد هدنة وهكذا كانت تركيا أسبق من ألمانيا في عقد هدنة مع أعدائها بأحد عشر يوماً^{٢٠٢}.

أُبرمت الهدنة منفصلة بين دول الحلفاء (فرنسا- إيطاليا- الولايات المتحدة- اليابان- البرتغال- بلجيكا....) مع تركيا في اليوم الثلاثين من شهر تشرين الأول عام ١٩١٨، إذ وقع عليه من الجانب العثماني

¹⁹⁸ وقعت هدنة مودروس في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ بين الدولة العثمانية والحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى، وقعها وزير الشؤون البحرية العثماني رؤوف أورباي بك والأميرال البريطاني سومر آرثر غوف، على متن السفينة أتش أم أس أغامون، في ميناء مودروس في جزيرة ليمنوس اليونانية للمزيد:

Karsh (2001), p: 327.

¹⁹⁹ حسين، فاضل. (١٩٥٨). مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية. معهد دراسات جامعة الدول العربية. ص: ١١.

²⁰⁰ (ولد عام ١٨٤٤ واستلم الحكم عام ١٩٠٩ بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وتوفي عام ١٩١٨).

²⁰¹ تقسيم سياسي يشمل الدول العربية في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب من العراق شرقاً إلى مصر غرباً فضلاً عن دول

أخرى غير ناطقة بالعربية هي إيران وتركيا وقبرص، كما يضم أيضاً أهم المضائق الدولية من مضيق هرمز ومضيق باب المندب وقناة السويس، للمزيد:

Beaumont (1988), p 112.

²⁰² طلب لودندورف القائد الألماني للميدان الغربي الهدنة رسمياً في الساعة الحادية عشر من اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر في عام ١٩١٨ على أساس الأربعة عشر شرطاً التي أعلنها ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كدستور للتسوية.

وزير الشؤون البحريّة رؤف بك والأدميرال البريطاني سومر آرثر، سميت هدنة مودروس نسبة إلى ميناء مودروس في جزيرة لمنوس²⁰³، إذ كانت ترسو في الميناء باخرة إنكليزية اسمها أجا ممنون، وقد دارت على ظهرها المفاوضات ولم يستغرق أجراؤها أكثر من أسبوع، وكانت هذه الهدنة تحوي عدّة شروط منها استسلام العثمانيين وحاميتهم المتبقية خارج الأناضول لدول الوفاق، إذ مُنحت الحق في احتلال الحصون التي تتحكم في مضيق الدردنيل والبوسفور وكذلك الحق في احتلال أية منطقة عثمانية في حالة تهديد أمنها، ومن ضمن بنود الهدنة أيضًا تسريح الجيش العثماني بما في ذلك القوات الجوية العثمانية.

استحوذ الحلفاء على جميع المواقع الإستراتيجية لُستخدم الموانئ والسكك الحديدية والنقاط الإستراتيجية الأخرى المتاح استخدامها في القوقاز، وكذلك كان على العثمانيين التراجع إلى حدود ما قبل الحرب بين العثمانيين والروس، وإطلاق سراح أسرى الحرب التابعين لدول الحلفاء مع رفض إطلاق سراح أسرى الحرب العثمانيين، مع تسريح الجيش العثماني، فقد وقعت عليها بريطانيا عن نفسها ونيابةً عن حليقاتها وقد نصت هدنة مودروس على مبادئ عامة الشأن ومبادئ ولاسيما بمسألة المضائق وكان أهم ما نصّت عليه الهدنة:

أولاً-فتح الدردنيل والبوسفور وتأمين الدخول للبحر الأسود والخروج منه

ثانياً- قيام بريطانيا وحليقاتها باحتلال القلاع والاستحكامات المقامة في منطقتي الدردنيل والبوسفور.

ثالثاً- تعهد السلطات العثمانية بالكشف عن مواقع الألغام وغيرها من المتفجرات في المياه العثمانية بما

فيها الدردنيل والبوسفور والبحر الأسود للسلطات البريطانية وسلطات الدول الحليفة لها.

رابعاً- استسلام القوات العثمانية في الولايات العربية (سورية- العراق- الحجاز- اليمن)

خامساً- انسحاب القوات العثمانية من إيران ومن الأجزاء المسيطرة عليها فيما وراء القوقاز²⁰⁴

يمكن القول إن أهم نتائج هدنة مودروس أنها أوقفت الأعمال العدائية رسمياً بين دول الوفاق والإمبراطورية

العثمانية، ومع ذلك فإن الغارات التي قامت بها إيطاليا واليونان على الأناضول تحت مسمى استعادة النظام

²⁰³ جزيرة لمنوس إحدى جزر بحر الأرخبيل، تقع في اليونان في الجزء الشمالي الشرقي من بحر أيجة، مساحتها ١٨٣.٨ م² مربع.

²⁰⁴ تجد النص الرسمي الكامل لهدنة مودروس في:

Great Britain (1920). parliamentary papers. treaty series August 10, p: 20-27.

سرعان ما اقتربت من التقسيم المباشر للبلاد، فإن بريطانيا حققت ما عجزت عن تحقيقه في ساحات القتال في أثناء الحرب العالمية الأولى وقد أملت شروطها على الدولة العثمانية، وكان من بينها فتح الدردنيل والبوسفور وتأمين دخول البحر الأسود والخروج منه، و قررت لنفسها حق احتلال المواقع ذات الأهمية الإستراتيجية في منطقة المضائق وقد جاء في أعقاب هدنة مودروس تنفيذا لما تضمنته من مبادئ واتجاهات، إذ سيطرت بريطانيا وحلفائها على المضائق أنشؤوا إدارة عسكرية دولية في استانبول واحتلوا شتى أحياء العاصمة وفرضت رقابة عسكرية صارمة على الميناء، وأخضعت هذه الرقابة أيضاً إلى قوات الشرطة وقوات الأمن الداخلي (الجندرية)، الحقيقة أن هدنة مودروس وما ترتب عليها من أحداث مباشرة وسريعة كانت تهديداً للسياسة العليا للدولة العثمانية وانتهاكاً لسيادتها على منطقة المضائق وانتقاصاً من استقلالها، نذيراً بشروط قاسية ستمليها بريطانيا وحليفاتها في معاهدة الصلح التي سوف تفرضها على الدولة العثمانية في أثناء معاهدة سيفر ١٠ أغسطس ١٩٢٠.

2-3- مؤتمر فرساي ٢٠٠ ١٩١٩م

أطلق المؤرخون على الربع الأول من القرن العشرين اسم عصر الأشخاص والحكومات، إذ شهدت البلاد حينها نحو ٢٤ تغييرًا حكوميًا بين عام ١٩٠٨-١٩١٨^{٢٠٦}، و اتخذ المجتمع الدولي إجراءات عقابية ضد ألمانيا شريكة الدولة العثمانية وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، إذ خسرت ألمانيا بموجب تلك الإجراءات العقابية كما جاء في مصادر التوثيق الدولية ١٢,٥% من مساحتها الجغرافية، وما يقارب ١٢% من تعداد سكانها، وما يقارب ١٥% من إنتاجها الزراعي، و ١٠% من إنتاجها الصناعي وما يقارب ٧٥% من إنتاجها من الخام الحديد، إلى جانب ذلك قيدت هذه المعاهدة حركة وصلاحيات الجيش الألماني إذ نصت على ألا يزيد عدده عن مئة ألف جندي، وألزمت ألمانيا بدفع تعويضات كبيرة للحلفاء.

استمرت أوضاع البلاد العربية حينها من سيء إلى أسوأ ولاسيما مع انهيار الإمبراطورية العثمانية وتقسيم نفوذها ولاسيما منطقة المشرق العربي بعد قيام الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين ضمن ما عُرف باتفاقية سايكس بيكو، ومحاولات دول الغرب المستمرة الحد من دور الدولة الجديدة بعد أن وقع الحلفاء اتفاقية مودروس مع الدولة المهزومة في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨^{٢٠٧}.

عُقد مؤتمر فرساي لتسوية مخلفات الحرب العالمية الأولى في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ حضره مندوبون عن ٢٧ دولة انتهى المؤتمر في ٢١ كانون الثاني من العام نفسه وقع حينها المؤتمر على خمس معاهدات سلام مع الدول المهزومة في الحرب^{٢٠٨} وجاء ذلك مع افتتاح الجمعية العامة لعصبة الأمم، والمعاهدات هي: معاهدة فرساي ٢٨ حزيران ١٩١٩ مع ألمانيا، معاهدة سان جرمان ١٠ أيلول ١٩١٩ مع النمسا، معاهدة نوي ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٩ مع بلغاريا، معاهدة تريانون ٤ حزيران ١٩١٩ مع المجر، معاهدة سيفر ١٠ آب ١٩١٩ مع الدولة العثمانية، واستبدلت لاحقاً بمعاهدة لوزان ٢٤ تموز ١٩٢٣ مع الجمهورية التركية.

²⁰⁵ وُقعت معاهدة فرساي في يونيو ١٩١٩ في قصر فرساي في باريس في نهاية الحرب العالمية الأولى، وتضمنت شروط السلام بين

الحلفاء المنتصرين وألمانيا. وعدت معاهدة فرساي ألمانيا مسؤولة عن بدء الحرب، وفرضت عليها عقوبات قاسية

²⁰⁶ Bernard Lewis (1966). **the Emergence of Modern Turkey**. London, p: 198.

²⁰⁷ هدنة مودروس: هدنة فرضها الحلفاء على الدولة العثمانية عام ١٩١٨ التي أدت بشكل واضح إلى فتح مضيق الدردنيل

والبوسفور للسفن العثمانية ونزع أسلحته، فضلاً عن ذلك فإن الهدنة منحت الحلفاء حق احتلال أي موقع يروونه استراتيجياً ومهماً لتعزيز قوتهم

ومكانتهم

²⁰⁸ Charles Loch (1955). **BRITAIN between the war 1918-1940**. London, p: 59.

كان لكل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية دور كبير في وضع قرارات المؤتمر حتى عُرفوا باسم الثلاثة الكبار إذ ترأس الوفد الفرنسي رئيس وزراء فرنسا جورج كليمنصو، على حين ترأس الوفد البريطاني رئيس وزراء بريطانية دافيد لويد جورج، و ترأس أيضًا الوفد الأمريكي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية توماس ويلسن، على حين لم يكن هناك دور لممثل إيطاليا أورلاند الذي انسحب من المؤتمر وكذلك لممثل اليابان شيونجي^{٢٠٩}.

استمرَّ المؤتمر حتى كانون الثاني ١٩٢١ إذ كشف سير المفاوضات عن تجاهل المؤتمر للبند الأربعة عشر للرئيس الأمريكي ويلسن^{٢١٠}، إذ أرادت حينها الدول الكبرى الحصول على أكبر قدر من التعويضات في الحرب لذلك وضعت المعاهدة قيودًا شديدة على الدول الخاسرة ولاسيما الدولة العثمانية فكانت وجهة النظر الفرنسية والبريطانية ترغب في اقتسام أملاكها^{٢١١}.

يمكن القول إنه بعدَ نهاية الحرب العالمية الأولى جرت تسويات الصلح على يد ثلاثة من الزعماء المنتصرين وتم ذكره سابقًا، واختيرت باريس لتكون مقرًا للمؤتمر واختير الرئيس الفرنسي لرئاسته إذ حُصص للمنتصرين فلم يُقبل حضور مندوبين عن الدول المهزومة إلا للاستماع للشروط التي فُرضت عليهم والتوقيع عليها^{٢١٢}، ونصت المعاهدة على ما يأتي:

١- اقتطاع أرض من ألمانية من دون استفتاء، إذ أخذت فرنسا الإلزاس واللورين وأعطيت أغلب مقاطعات بروسيا الغربية وبوزن إلى جمهورية بولونية المنشأة حديثًا، ووضعت المستعمرات الألمانية بوصفها مناطق انتداب تحت إشراف عصبة الأمم.

٢- وضع إقليم السار تحت إشراف عصبة الأمم على أن تتنازل ألمانيا لفرنسا عن مناجم فحمه وبعدَ ١٥ عامًا يجري استفتاء ما إذا كان الإقليم يريد العودة لألمانيا أم لا^{٢١٣}.

²⁰⁹ James,McMillan (t. d).**Dryfus to Degualle. political and society in France**,Paris, p: 562.

²¹⁰ مبدأ قدمه الرئيس الأمريكي ولسون من أربعة عشر نقطة ركز فيها على مبدأ السلم وإعادة بناء أوروبا في ٨ فبراير ١٩١٨، استنصف الشعوب المقهورة استناداً إلى مبدأ حق تقرير المصير للمزيد:

Charles , op, cit, p: 60 – James, op, cit p: 57.

²¹¹ Miller,W.(1927).**the ottoman Empire and its succors 1801-1927**.London, p: 291.

²¹² ميور، رمزي. (١٩٦٣). **النتائج السياسية للحرب العظمى**. ترجمة محمد بدران. سلسلة المعارف العامة. ص: ٦٧، ١٠٥.

²¹³ Duggan,Christopher(1796).**theforce of destiny:AHistoryfitlysince**–Gentile.Emiliop: 30-31.

٣-اعتراف ألمانيا باستقلال النمسا

٤-ألا يزيد الجيش الألماني عن ١٠٠ ألف جندي و٤٠ ألف ضابط والقوات البحرية عن ١٥ ألف جندي، و

يحرم عليها تكوين سلاح جوي وتجنيد إجباري فضلاً عن عدم السماح لها بإقامة تحصين في منطقة شرق نهر

الراين، و تُسلم ألمانيا مجرمي الحرب ويحاكم القيصر علناً بتهمة خرق الأعراف الدولية وانتهاك الاتفاقيات.

2-4- مؤتمر أرض روم ومؤتمر سيواس ١٩١٩

بدأ اليونانيون باحتلال سواحل بحر إيجة وبدأت معه حركة المقاومة الشعبية العثمانية، التي اضطرت أيضاً للظهور مقاومةً للجيش الإنجليزى والفرنسية والإيطالية المحيطة بها من كل جانب، فكانت مقاومة هذه الجيوش مستحيلة بالنسبة إلى قدرات العثمانيين، لذا كانت مقاومة الاحتلال اليوناني نعمة لهم مقارنةً بمقاومة هذه الجيوش وهذا مثال على قوله تعالى (عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم). (سورة البقرة)، ص ٢١٦

يقول مصطفى كمال أتاتورك^{٢١٤} في كتابه الخطاب: أمام هذا الوضع الوخيم فقد بدأ كثير من الشخصيات والأفراد في كل مكان وفي كل منطقة بالتفكير بسبيل للخلاص وهذا أدى لظهور عدّة منظمات مثل جمعية تراقيا باشا في أدرنة وفي الشرق وفي أرض روم والعزير، وشكلت جمعية الدفاع عن الحقوق المالية في الولايات الشرقية وكان مركزها استانبول، وفي ترابزون شكلت جمعية الدفاع عن الحقوق، وفي دار السعادة كانت جمعية الدفاع عن اللامركزية، واعتصم الكثير من الشجعان في أزمير وانطلقت ضد اليونانيين.

كان الجميع في حالة يأس وهنا لمعت فكرة أتاتورك بإنقاذ الوطن وهو كذب محض لأن مصالحه هي ما يهيمه، فوصل مصطفى إلى سامسون وبعد مرور ٣٦ يوماً سافر إلى أرض روم عن طريق توقات- سيواس، وبدأ بتدقيق الوضع وقرر تحقيق الاستقلال أو الموت؛ لأن غير ذلك سيجعل تركيا أسيرة من أذنانها إلى أقصاها، فاتفق مع الإنجليز، وألغى الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية، وأعطى مناطق البترول لهم مقابل الحصول على استقلال شكلي في وطن انحصر في مساحة من الأرض معظمها جرداء، كان همه الحقيقي إغراق نفسه بالملذات وعدّ الوطن ملكاً شخصياً، وإذا لم ينجح زعمه الكاذب فيستطيع بأكياس الذهب أن ينسحب شرقاً ويلجأ إلى روسيا ومنها إلى أوروبا، فشعاره إما الظهور بمظهر منقذ الأمة التركية وجني ثمار هذا الدور وإما إنقاذ نفسه^{٢١٥}، كان تحت إمرته مباشرة الفرقة الثالثة في سيواس قائدها رفعت بك، والفرقة الخامسة عشر في أرض روم روم قائدها كاظم قره بكر، وفرقة العشرين في أنقرة قائدها علي فؤاد باشا، وكانت جميع هذه الوحدات العسكرية

²¹⁴ مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للجمهورية التركية، قائد حرب الاستقلال التركية الوطنية، قائداً عاماً للجيش أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعدها بدأ ثورة وطنية ضد حكومة الإمبراطورية العثمانية القانونية في القسطنطينية وقوات الحلفاء.

²¹⁵ أتاتورك، مصطفى كمال. (٢٠١٣). الرجل الصنم. ترجمة عبد الله عبد الرحمن. ط١. الأهلية للنشر. ص: ٩٩.

وحدات غير متكاملة جُمعت من هنا ومن هناك من دون تجهيزات أو أسلحة، فضلاً عن هذه الوحدات فقد كان لمصطفى كمال صلاحية إصدار التعليمات إلى الوحدات العسكرية وإلى الموظفين المدنيين والإداريين؛ لأنه يحمل في جيبه فرماناً سلطانياً بهذا الخصوص فأصبح يتصل برقياً مع الجهات كافة.

وفي الوقت نفسه بدأ يدعو المنظمات الشعبية في تراقيا والأناضول إلى الاتحاد في مؤتمر عام يُعقد في سيواس ويدعو الأطراف جميعها إلى عقد اجتماعات ومظاهرات إلى خلق جو من الحماس القومي، ويجب عقد مؤتمر عام في سيواس؛ لأنه يعدّ مركزاً للأناضول و يجب على كل ولاية أن ترسل ممثلاً إلى هذا المؤتمر ويجب أن يبقى هذا القرار سرا قومياً لذلك فإن قدوم الممثلين إلى سيواس يجب أن يكون فردياً وسرياً ويعقد هذا المؤتمر العام بعد عقد مؤتمر محلي في أرض روم.

فعلى أبواب أرض روم تسلّم كاظم قره بكر برقية من استانبول تقول إنها تشكّ تمام الشك في مصطفى ول وأنها اتخذت بعض القرارات بخصوصه وهي وجوب تركه الجندية والبقاء في أرض روم وعدّم ذهابه إلى سيواس^{٢١٦}

جاء طرد الباب العالي لمصطفى بالوقت نفسه الذي قدم فيه استقالته من الجيش وبعدها عُقد مؤتمر أرض روم في ٢٣ تموز ١٩١٩ في مدرسة مبنية من الحجر وأتى مصطفى إلى المؤتمر وما أن وقف على منصة الرئاسة حتى هتفوا به انزع رتبة الباشا.... وكن مثلاً، لقد دام المؤتمر أربعة عشر يوماً اتخذ فيها قرارات كثيرة كان أهمها

١- أن البلد وحدة واحدة ضمن حدود قومية

٢- لا يمكن قبول وصاية أو حماية أجنبية

٣- في حال سقوط الحكومة العثمانية فإن الشعب سيدافع عن نفسه ضد أي نوع من أنواع الاحتلال

الأجنبي.

²¹⁶ أتاتورك، المرجع نفسه، ص: ١٠٣.

يلحظ مما سبق أن المجموعات الأولى من القوى الشعبية قد تشكّلت في كانون الأول ١٩١٨ عقب توقيع هدنة مودروس، وأُطلق عليها جمعيات الدفاع عن الحقوق (مدافعي الحقوق) وقد ظهرت طلائع هذه الجمعيات في تراقيا وأزمير وبعض الجهات في الأناضول، ووجهت نشاطها ضد اليونان خصوصاً ثم تشكّلت في مدينة أرض روم^{٢١٧} في ٣ آذار ١٩١٩ جمعية الدفاع عن حقوق شرق الأناضول دعت إلى عقد مؤتمر اجتمع في المدينة ذاتها في ٢٣ تموز ١٩١٩ وحضره مندوبون عن الأقاليم في شرقي الأناضول، وانتخب مصطفى ول أتاتورك رئيساً للمؤتمر في اليوم الأول الذي اجتمع فيه، وقد استمرّت اجتماعاته حتى ١٧ آب ١٩١٩ وكان أهم إنجاز قام به المؤتمر هو وضع مشروع التصريح الذي عرف فيما بعدَ باسم الميثاق الوطني.

أما عن مؤتمر سيواس ١٩١٩

عُقد المؤتمر الثاني في مدينة سيواس في ٤ أيلول عام ١٩١٩^{٢١٨}، وكان يفوق مؤتمر أرض روم من حيث الأهمية، وحضره مندوبون من أنحاء البلاد كافة وانتخب مرة أخرى مصطفى كمال رئيساً له، وأيد المؤتمر قرارات مؤتمر أرض روم وكان من بينها المحافظة على سلامة أراضي الدولة والتمسك باستقلال الشعب ومباشرة العمل المسلح عند الضرورة ضد الدول التي تحتل البلاد، وكان اهتمام المؤتمر موجهاً توجيهاً خاصاً إلى إتاحة جو إعلامي مناسب لإذاعة قرارات مؤتمر أرض روم، وكسب التأييد الشعبي لها في أنحاء تركيا كافة، وفي هذا المؤتمر تغير اسم جمعية الدفاع عن حقوق شرقي الأناضول إلى اسم أكثر شمولاً وهو (جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول الرملي)، مع تشكيل لجنة دائمة من بعض أعضاء المؤتمر يرأسها مصطفى كمال أتاتورك.

إن مؤتمر سيواس كان أشمل وأعم من مؤتمر أرض روم إذ شمل الوطن كله، لكن هناك من يعارض هذا التوسع وعلى رأسهم كاظم قره بكر فيرون أنه من الأفضل الاكتفاء بمؤتمر أرض روم، أما حكومة استانبول فهي متفقة مع القوات المحتلة على ضرورة فسخ المؤتمر واعتقال أعضائه، حتى إن نقيباً في الجيش الفرنسي يزور والي سيواس ويخبره أن الفرنسيين سيحتلون سيواس في حال انعقاد المؤتمر، فيكتب والي إلى مصطفى ول

²¹⁷ يطلق على هذه المدينة أرزن الروم وهي قصبة ولاية أرمنية التركية وكانت هذه المدينة من أهم الحصون الواقعة على الحدود الشرقية للدولة، وكان الفرس ينتزعون هذه المدينة من الأتراك ولكن كان الآخرون ينجحون دائماً في استعادتها، وتشغل المدينة حيزاً كبيراً في تاريخ الدولة العثمانية.

²¹⁸ الشناوي، مرجع سابق. ص: ١٢٩

قائلاً: أرى أن تلغوا هذا المؤتمر الثاني أو على الأقل انتخابوا أرزنجان مكاناً للانعقاد فأجاب مصطفى إن هذه تهديدات للتخويف فقط وانهقد المؤتمر وانتخب مصطفى كمال أتاتورك رئيساً، انقضى المؤتمر في ١١ أيلول ١٩١٩ بعد أن انتخب هيئة تمثيلية وتحول اسم الجمعية من (جمعية الدفاع عن حقوق شرقي الأناضول) إلى (جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والرملي) وغيروا المادة التي نصها (إن الهيئة التمثيلية تمثل الهيئة العامة لشرق الأناضول) إلى أن (الهيئة التمثيلية تمثل الهيئة العامة للوطن)^{٢١٩}، ووفق تقرير بتاريخ ١٧ أيلول فإن الحركة المالية في الأناضول تشير إلى إقامة جمهورية مستقلة وهذا يلقي دعماً من استانبول .

نلاحظ من خلال ما سبق أن ما سميت اتفاقيات ومعاهدات ومؤتمرات ليست علاقات بقدر ما هي تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى وإملاء شروط الدول الأوروبية المنتصرة على الدولة العثمانية المهزومة والتي خسرت بموجب هذه الشروط أجزاء كبيرة من أراضيها وانحسرت بتركيا اليوم.

²¹⁹ أتاتورك، مرجع سابق، ص: ١٠٧.

2- 5- معاهدة سيفر ١٩٢٠م

كانت بريطانيا وفرنسا قد فرغت من تسوية مسألة الانتداب على الأقاليم العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية في المشرق العربي في ٢٦ نيسان ١٩٢٠، وفي إقرار معاهدة الصلح مع تركيا باجتماع المجلس الأعلى في سان ريمو^{٢٢٠}، اتضح أن الهدف من هذه المعاهدة هو تصفية الإمبراطورية العثمانية التي كانت توصف برجل أوروبا المريض الذي طال مرضه^{٢٢١}.

سُلمت نصوص معاهدة سيفر للوفد التركي في باريس في ١١ أيار ١٩٢٠ من وفد يمثل السلطان العثماني محمد السادس ووزراءه، الذي وقّع عليها مكرها في ١٠ آب ١٩٢٠ أي بعد انقضاء ثلاثة أشهر ووقّعت في مدينة سيفر^{٢٢٢}، وقد رفضت كل من الولايات المتحدة الأمريكية ويوغسلافيا والشريف حسين التوقيع عليها، وهنا يلحظ أن معاهدة سيفر قد عُقدت مع الدولة التركية التي هي امتداد للدولة العثمانية فلذلك جاء في بعض مواردها ذكر للسلطان على أنه رأس الدولة وكذلك ذكر العاصمة استانبول أنها مقر للسلطان والحكومة التركية. أما فيما جاءت فيه معاهدة سيفر:

١- تعرضت معاهدة سيفر لمسألة المضائق في موادها من المادة ٣٧ إلى المادة ٤٠ تعرضاً أساسياً

٢- فالمادة ٣٧ شملت حرية الملاحة والتجارة في الدردنيل والبوسفور وبحر مرمرة

٣- المادة ٣٨ تشكيل لجنة المضائق لمراقبة حركة الملاحة

٤- أما المادة ٣٩ قررت أن سلطة لجنة المضائق تمتد على المياه كافة المحصورة بين مصب البحر

المتوسط في الدردنيل وبين مصب البحر الأسود في البوسفور

٥- وأخيراً المادة ٤٠ يمثل لجنة المضائق عضو من كل دولة من هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية-

بريطانيا- فرنسا- إيطاليا- اليابان- روسيا- اليونان- رومانيا- بلغاريا- تركيا وممثل كل دولة من هذه الدول

غير قابل للعزل إلا بمعرفة حكومته^{٢٢٣}.

²²⁰ وهي بلدة إيطاليا على ساحل الريفيرا

²²¹ الشناوي، مرجع سابق. ص: ٢٤٦.

²²² هي مدينة فرنسية تشتهر بوجود مصنع فرنسي للأواني الخزفية متناهية الجمال.

²²³ Great .ibid. (1920), p: 16-32.

بعد ذلك تقرر إلغاء معاهدة سيفر التي أركعت الدولة العثمانية وُعدت بمنزلة المسمار الأخير في نعشها، إذ وافقت حكومة استانبول على التخلي عن الأراضي العثمانية التي يقطنها غير الناطقين باللغة التركية كافة ومنح الجزر التركية الواقعة في بحر إيجة لليونان وإيطاليا، فضلاً عن الرفض الشعبي العارم الذي لاقته هذه المعاهدة، ولأسيما أن الشعب التركي التف حول حرب التحرر وحركة التغيير التي يقوم فيها مصطفى ول أتاتورك ووضع معاهدة جديدة وهي معاهدة لوزان تستبعد معظم الشروط الجائرة التي جاءت فيها معاهدة سيفر، وعلى سبيل المثال تقرر إبعاد اليونان من الاشتراك مع تركيا في عمل من صميم سيادة الدولة على منطقة المضائق، تقرر إعادة إقليم تراقيا الشرقية إلى تركيا وكانت اليونان قد ظفرت بهذا الإقليم في معاهدة سيفر وهذا يدل على أن لبريطانيا مصالح دائمة ولكن ليس لها أصدقاء دائمين.

تعدّ معاهدة سيفر إحدى أهم الوثائق الدبلوماسية التي عكست بوضوح رغبة القوى الاستعمارية الأوروبية ومخططاتها لتجزئة المنطقة وإنشاء حدود فاصلة فيما بينها، ونصت هذه المعاهدة على تمكين الأكراد من الاستقلال السياسي مع إمكانية إنشاء دولة لهم وكذلك إقامة دولة للأرمن ودولة سورية والعراق والدولة الحجازية فضلاً عن دول أخرى ثم عُدلت هذه المعاهدة بمعاهدة لوزان ١٩٢٢ إذ حال هذا التعديل دون استقلال الأكراد وإنشاء دولة الأرمن.

أدت معاهدة سيفر إلى تقليص المساحات الخاضعة لسيطرة الإمبراطورية العثمانية، فلم يبق لها سوى مدينة القسطنطينية وضواحيها والقسم الأعظم من آسيا الصغرى، إذ سُلخت بقية الأراضي عنها وأُعلن استقلال أرمينية ووُضعت أزمير مؤقتاً تحت إدارة اليونان، و تنازلت عن البلدان العربية كافة على أن تكون الحجاز مستقلة، والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، وسورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وليبيا تحت الانتداب الإيطالي، وأعطت جزر بحر إيجة لليونان^{٢٢٤}.

جاء عقد هذه المعاهدة عام ١٩٢٠ أمر في غاية الصعوبة بعد أن وُقِعَ على معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦ ووعدَ بالغور ١٩١٧ لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية وتوزيعها فيما بينهم^{٢٢٥}، إذ وقع الحلفاء معاهدة سيفر في

²²⁴ رونوفن، مصدر سابق، ص: ١٠٦-١٠٧.

²²⁵ Vaisseau, Maurice (2000). Dictionnaire des relations, international. Paris, p: 235.

١٥ آب ١٩٢٠^{٢٢٦}، التي تضمنت ١٣ بابًا و ٤٤٣ بندًا أملت الحلفاء في أثنائها شروطهم على الدولة العثمانية التي ما كان عليها إلا الموافقة وهي صاغرة بعد هزائمها التي مُنيت بها، التي أدت بدورها إلى عقد تلك المعاهدة متضمنة بنود عدة كان أهمها^{٢٢٧}:

- ١- تبقى استانبول عاصمة للدولة العثمانية
- ٢- تدويل الأراضي المجاورة للدولة العثمانية كافة
- ٣- تشكيل لجان جماعية للسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية واقتسامها مؤلفة من الولايات المتحدة الأمريكية- بريطانيا- فرنسا- إيطاليا- اليونان- رومانيا- بلغاريا.
- ٤- إعلان كردستان دولة ذات استقلال داخلي أو دولة مستقلة إذ أُقرَّ ذلك وفق استفتاء عام^{٢٢٨}.
- ٥- عملت اليونان على إدارة أزمير خمس سنوات يجري استفتاء بعد انتهاء مدة ويُقرر فيها المصير
- ٦- فصل العراق عن الدولة العثمانية وعدّها دولة مستقلة بشرط أن تتولّى دولة منتدبة إدارة شؤونه فضلًا عن استقلال الحجاز ومصر والسودان^{٢٢٩}.
- ٧- تنازل تركيا عن حقوقها في قبرص ومراكش وتونس وليبيا
- ٨- إعلان أرمينيا دولة مستقلة مع حماية الأقليات.
- ٩- تمنح إيطاليا المناطق الواقعة إلى جنوب غربي الأناضول كافة إلى تراقيا الشرقية بما في ذلك أدرنة وغاليبولي ومارتيزا وجنوب الدوديكاينز
- ١٠- مُنحت اليونان أيضًا عددًا من الجزر المهمة مثل إمبروسو تيندوس وغيرها، والملحوظ أن الجزر تقود إلى مدخل الدردنيل^{٢٣٠}.
- ١١- تمنح قليقلا وكردستان ومعظم أراضي الأناضول الجنوبية لفرنسا، ومع كل ما ذكر فإن المعاهدة احتوت على بنود مالية تجارية وتنظيمية.

²²⁶ لتشوفسكي، جورج. (١٩٦٤). الشرق الأوسط في الشؤون العالمية. ترجمة جعفر خياط. بغداد دار المتني. ص: ١٤٠.

²²⁷ سعيد، أمين- ثابت، خليل. (١٩٢٢). سيرة مصطفى كمال وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول. ط١. القاهرة. ص: ٥.

²²⁸ حسين، مرجع سابق. ص: ٢٣.

²²⁹ رونوف، بيير. (١٩٤١). تاريخ القرن التاسع عشر. ترجمة محمد قاسم وحسين حسني. القاهرة. ص: ٢٦٧.

²³⁰ Vaisseau, op, cit , p: 238.

2-6- صلح مودانيا ١٩٢٢م

طلب الأتراك الكماليين تعديل معاهدة سيفر ولما فشلوا في ذلك هاجموا اليونانيين وطردوهم من الأناضول وظهر انشقاق الحلفاء جلياً ورغبة شعوب الإمبراطورية البريطانية بالسلام فاضطرت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا إلى طلب الهدنة، فعقدت في مودانيا في ١١ تشرين الأول ١٩٢٢ وقد أصر مصطفى كمال أتاتورك في المؤتمر على عدّ الميثاق الوطني الحد الأقصى من التضحيات التركية والحد الأدنى من لائحة الحقوق التركية وطالب باسترجاع بعض الأراضي وبالاستفتاء في تراقيا الغربية وبإلغاء الامتيازات الأجنبية وبالاعتراف بسيادة تركيا التامة^{٢٣٢}.

لم تجد معاهدة سيفر من ينفذها و قال أحد قدامى المؤرخين "إن إكراه تركيا على تنفيذ معاهدة سيفر لم يكن أمراً سهلاً^{٢٣٣}، أدركت في أثنائه الدوائر السياسية في دول المعسكر الغربي أن موقف تركيا يزداد تفاقمًا يوماً بعد يوم بسبب إصرار الوليين على التخلص من الوجود العسكري اليوناني في الأراضي التركية وعلى تجريد اليونان من حقوقها في السيادة على المضائق وهي الحقوق التي جاءت بها معاهدة سيفر فضلاً عن إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية الذي أعادته هذه المعاهدة وغير ذلك من مآخذ متعدّدة، لذلك انتهت الآراء مجتمعةً إلى أن إلغاء معاهدة سيفر أمر لا مفر منه لاستقرار الأمور في المنطقة وأنه تعين في ضوء هذه الآراء وضع معاهدة سلم جديدة تكون حلّاً وسطاً للوقوع دون قيام حروب إذ جاء انتصار الكماليين على اليونانيين ودخولهم أزمير في ٩ أيلول ١٩٢٢ معززاً لهذا الرأي لدى بريطانيا وحليفاتها، هذه الانتصارات التي حققتها القوات التركية بقيادة مصطفى كمال، ففي ١١ تشرين الأول ١٩٢٢ عقدت هدنة مودانيا؛ وقد مثل الجانب التركي عصمت إينونو، على حين مثل الجانب الفرنسي الجنرال شاربي^{٢٣٤}، و مثل الجانب البريطاني المندوب السامي البريطاني جارلس

²³¹ التي سميت بهذا الاسم نسبة لميناء مودانيا.

²³² حسين، مرجع سابق، ص: ١٤.

²³³ Miller.W.(1927).the ottoman Empire and its succors 1801-1927.London, p: 542.

²³⁴ البحرية، الجنرال جاني ١٨٦٥-١٩٤٥ ولد في مدينة أن الفرنسية وتخرج من الكلية العسكرية الفرنسية ليعمل ضابطاً في

سلاح المدفعية فرنسا في صلح مودانيا توفي إثر إصابته بنوبة قلبية للمزيد انظر إلى

Ataturk, Modern. (2012).Turkey Kurucusu.Istanbul, p: 184.

هارنغتون^{٢٣٥}، تقرر فيها موافقة بريطانيا وحليفاتها على أن تسترد تركيا سيادتها على استانبول والمضائق وتراقيا الشرقية^{٢٣٦}.

احتلت بعض الأقاليم فوراً قوة من الجندمة التركية قوامها ثمانية آلاف جندي، في الوقت الذي غلق فيه تسلم تركيا للأقاليم الباقية حتى يُوقع على معاهدة سلام جديدة، وإذا كانت دول المعسكر الغربي قد ارتضت عقد الهدنة فقد اقتدى اليونانيون بسياسة السلم فأبرموا هدنة مع الوليين في ١٤ تشرين الأول عام ١٩٢٢ أي بعد مضي يومين من الهدنة الأولى، وبعد ذلك وجهت دول المعسكر الغربي في ٢٧ تشرين الأول عام ١٩٢٢ الدعوة إلى كل من الحكومة السلطانية في استانبول والحكومة الولية في أنقرة لحضور مؤتمر يعقد في لوزان لوضع معاهدة جديدة لإقرار السلام بدلا من معاهدة سيفر التي اتضح استحالة تنفيذها، وهنا برز دور مصطفى ول أتاتورك الذي وضع العالم كله أمام الأمر الواقع بإصداره في أول تشرين الثاني عام ١٩٢٢ قراراً بإلغاء السلطنة^{٢٣٧}، فبعدها يستطيع الوفد الولي التوجه إلى لوزان مطلق اليدين غير مقيد بأي قيود جاءت فيها معاهدة سيفر، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه بدأ التفكير بمعاهدة السلام بعد الانتصارات التي حققتها القوات التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك^{٢٣٨}، أما الجانب الإيطالي فقد كان مثله الجنرال مونتييه^{٢٣٩}، كذلك عن الجانب اليوناني كان كل من الممثلان لكولونيل سرياني والجنرال موزاكي^{٢٤٠}، وقد استمرت المفاوضات أسبوعاً كاملاً بين مد وجزر وانتهت بعقد هدنة مودانيا الرسمية في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ متضمنةً عدّة بنود كان أبرزها:

²³⁵ جارلس هارنغتون ١٨٧٢-١٩٤٠ درس في الأكاديمية العسكرية البريطانية وتخرج منها عام ١٨٩٠ برتبة ملازم ثاني، تقلد العديد

المناصب كان أبرزها منصب المندوب السامي البريطاني في استانبول للمزيد انظر إلى.

The new Encyclopedia Britannica, U.S.A. 1988, vol 15, p112

²³⁶ Lewis, Bernard (1968). the Emergence of modern Turkey. Second edition. London. p:254.

²³⁷ يرجع اختيار هذا التاريخ وهو ١٦ آذار ١٩٢٠ إلى أن في هذا اليوم دخلت قوات بريطانيا جديدة الأحياء التركية في استانبول لتعزيز قوات الاحتلال فيه

²³⁸ Lord, Kermes (1988). Ataturk the Rebirth of national London 1964, p: 18.

²³⁹ مونتييه ١٨٨٢-١٩٥٨ ضابط يوناني تقلد عدّة مناصب حتى ارتقى إلى منصب رئيس أركان الجيش اليوناني واشترك في الحرب اليونانية التركية ١٩١٩-١٩٢٢ واشترك في مؤتمر لندن في شباط ١٩٢١ كعضو من الجانب اليوناني، و انتُخب عضواً في المجلس الوطني الذي وضعته جبهة التحرر الوطني في اليونان بعد أن تحررت من الاحتلال الألماني عام ١٩٤٤، للمزيد:

Army (2001). History Directorate, p151.

²⁴⁰ الجنرال موزاكي ١٨٧٤-١٩٤٣ ضابط في الجيش اليوناني اشتهر بشجاعته لذلك اشترك في العديد من الحروب إلى أن تقلد منصب جنرال وأصبح رئيس أركان فرقة المشاة الخامسة التابعة للجيش اليوناني في الحرب العالمية الأولى وبقي يتقلد المناصب إلى أن أرتقى لمنصب رئيس أكاديمية أثينا للدراسات التاريخية وبقي في هذا المنصب إلى عام ١٩٣٧ للمزيد:

- ١- استعادة تركيا لتراقيا حتى مارتيزا بعدّ جلاء القوات اليونانية منها.
 - ٢- تبقى الجيوش التركية في الأناضول إلى حين إتمام عقد المعاهدة.
 - ٣- على القوات المتحالفة أن تبقى في استانبول وضواحيها وهذا اعتراف واضح من الحلفاء بعودة السيادة التركية إلى استانبول.
 - ٤- عدم إنشاء أي جيش أو قوة عسكرية في تراقيا الشرقية.
 - ٥- عدم القيام بأية تحصينات دفاعية في قلعة جنة سواء من الجانب التركي أو من الجانب اليوناني.
 - ٦- تقوم تركيا بإرسال قوة عسكرية إلى تراقيا لإعادة الأمن والهدوء إلى المنطقة.
 - ٧- اعتراف دول الوفاق رسمياً بعودة السيادة التركية إلى استانبول.
 - ٨- تأسيس فيلق من الجندرية العثمانيين على أن لا يزيد عددهم عن ٨ آلاف شخص^{٢٤١}.
- يعدّ صلح مودانيا خطوة إلى الأمام في صالح مصطفى ول ولاسيما أنها أدت إلى إنهاء معاهدة سيفر، و ظهر ضعفاً واضحاً من الحلفاء يقابله إصرار وقوة من حكومة أنقرة التي أجبرت الحلفاء على تنفيذ مطالبها بشكل أو بآخر وهذا أسهم إسهاماً كبيراً في تقديم الدول الكبرى دعوة إلى حكومة أنقرة واستانبول معاً لحضور مؤتمر لوزان الذي سيعقد في سويسرا^{٢٤٢}.

3- توتر العلاقات الإيطالية- العثمانية والاحتلال الإيطالي لليبيا ١٩١٢

3-1- الدوافع الإيطالية لاحتلال ليبيا

أخذت المطامع القديمة في طرابلس الغرب وبرقة تتضح شيئاً فشيئاً بالنسبة إلى الإيطاليين، وكانت معظم البعثات الإيطالية التي قدمت إليها في تلك المدة قد قامت بزيارتها بناء على مبادرة من الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري التي كانت ميلانو مركزاً لها^{٢٤٣}

كانت الدول الأوروبية متفقة مع بعضها البعض على اقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية، وكانت إيطاليا حينها ترغب في الحصول على منطقة تونس نظراً إلى قربها من أراضيها، إلا أن فرنسا سبقتها إليها لذا التفتت إيطاليا نحو ليبيا وبدأت تعدّ العدة لذلك، داعيةً رعاياها بالهجرة إليها لتدعيم ذلك، فقامت بإنشاء فرع لمصرف روما في طرابلس وبرقة عام ١٩٠٥ إذ بدأ بتقديم القروض للأهالي، و أنشأت في بنغازي مكتبا للبريد كان الطليان يرسلون في أثنائه ما يريدون من رسائل وتقارير من غير رقابة، و عملت على إنشاء بعض المدارس لنشر اللغة والثقافة الإيطالية، كذلك بنت المستشفيات والأهم من ذلك أنها أخذت ترسل البعثات المختلفة عن طريق الجمعية الإيطالية للكشوف الجغرافية والتجارة بميلانو كان آخرها بعثة التفتيش عن الفوسفات، لقد كان البنك الإيطالي يقوم بالحجر على الأراضي عندما لا يستطيع المدين أن يفي ما عليه من ديون وفوائد متراكمة، بهذه الطريقة حصل الطليان على جزء غير قليل من الأراضي الليبية الخصبة الصالحة للزراعة^{٢٤٤}

في هذه المدة كانت إيطاليا قد حصلت على وعدّ من فرنسا عام ١٩٠٤ بإطلاق يدها في طرابلس إذا تغاضت إيطاليا عن إطلاق يد فرنسا في المغرب.

عجل احتلال فرنسا للمغرب عام ١٩١١ إلى إقدام إيطاليا على عملها باقتحام ليبيا بعد أن اتصلت إيطاليا بالدول العظمى لتحقيق غرضها، إذ حصلت على موافقة كل من بريطانيا- فرنسا- ألمانيا- روسيا وكذلك النمسا، بشرط ألا تتجاوز إيطاليا حد طرابلس الغرب^{٢٤٥}، وفي ٢٧ أيلول ١٩١١ أرسلت إيطاليا إنذارها الشهير إلى الباب

²⁴³ الوافي، محمد عبد الكريم. (١٩٧٧). الطريق إلى لوزان: طرابلس. دار الفرجاني. ص: ٤٤٧.

²⁴⁴ شاكر، محمود. (١٩٧٢). ليبيا. ط١. الدار العلمية. ص: ٤٠-٤١.

²⁴⁵ تركيا بعد سيطرة الاتحاديين على الدولة العثمانية أصبحت تحمل اسم تركيا حين بدأت الدعوة إلى القومية التركية

العالي وكانت مدته ٢٤ ساعة، وقد أشارت فيه إلى سوء النظام في طرابلس الغرب وبنغازي وإلى مصالحها العسكرية وتهديد طرابلس لها لقربها منها فضلاً عن تجاهل الدولة رغبة إيطاليا بالحصول عليها وادعائها بتحريض طرابلس الغرب لرعاياها الأوروبيين عامة والطلين خاصة ضدها^{٢٤٦} واضطهادهم، بادرت الدولة العثمانية إلى إرسال برقيات باسم السلطان للدول الأوروبية، يطلب إليها التوسط بين تركيا وإيطاليا على أن تحقن الدماء ويعطى لإيطاليا مركزاً ممتازاً في ليبيا، ولكن الدول الأوروبية اعتذرت عن الوساطة^{٢٤٧}.

فبعد الصدمة التي تلقاها الطليان على يد الأحباش في عدوة^{٢٤٨} عام ١٨٩٦، وقرارهم بتركيز جهودهم على طرابلس الغرب اتخذوا ثلاثة مسارات، كان أولها الاتجاه السياسي الذي تمثل في السعي للحصول على تأييد أكبر عدد من الدول الأوروبية أو عدم معارضة هذه الدول للخطوة التي ستقدم عليها إيطاليا، أما الاتجاه الثاني يتمثل في التغلغل بمختلف شؤون ليبيا وتدعيم هذا التغلغل ولاسيما في المجالات الاقتصادية والثقافية حتى يدعم النفوذ الإيطالي هناك وبذلك يصبح من السهل السيطرة عليه سياسياً وعسكرياً، أما الاتجاه الثالث فهو التماس الأعذار والحجج والذرائع التي يمكن أن تواجه فيها العالم لتسوّغ اعتداءها العسكري على طرابلس الغرب ولتجعل عملها هذا أمراً فرضته الظروف الخارجة عن إرادتها وتقع مسؤولية هذه الأعمال على الشعب الليبي أو الحكومة العثمانية صاحبة السيادة عليه^{٢٤٩}.

ومن هنا نستنتج أن قيام إيطاليا بغزو طرابلس الغرب ثم احتلالها لم يكن فكرة وليدة اللحظة، وإنما هو مشروع استعماري ضمن إستراتيجية أوروبية موحدة؛ ارتبطت بمصالح سياسية وعسكرية واقتصادية متبادلة في منطقة البحر المتوسط والمشرق العربي بين كل من (بريطانيا - فرنسا - ألمانيا - النمسا - المجر - إيطاليا - روسيا)، وقد اتضحت تلك الإستراتيجية في المؤتمرات الدولية التي عقدت بين هذه الدول منذ منتصف القرن

²⁴⁶ حجة بتخذها الأوروبيون عندما يريدون غزو جزء من أرض المسلمين إذ يعتبرون أنفسهم حماة المسيحيين في المنطقة الإسلامية ووفق اتفاقيات سابقة كان المسيحيون يعتبرون من رعايا الدول الأجنبية.

²⁴⁷ الحقيقة أن الدول الأوروبية كانت موافقة على الاحتلال بل وشريكة فيه.

²⁴⁸ هي الحرب الإيطالية - الأثيوبية التي وقعت عام ١٨٩٦ بسبب معاهدة قشتاله، التي كانت موضع جدل آنذاك، استطاعت القوات الأثيوبية محاصرة حصن ميكيالي الإيطالي وهذا أجبر إيطاليا على الاستسلام

²⁴⁹ منسي، محمود صالح. (١٩٨٠). الحملة لإيطالية على ليبيا. دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية. دار

الطباعة الحديثة. ص: ٢٧.

التاسع عشر^{٢٥٠}، التي استمرت فيما بعد وكان من أهمها مؤتمر باريس ١٨٥٦ ثم مؤتمر برلين ١٨٧٨ الذي ذكرناه سابقاً، وقد أدت هذه المؤتمرات إلى ظهور تحالفات منها تحالف دول الوفاق الثلاثي (بريطانيا- فرنسا- روسيا)، ودول تحالف الوسط (النمسا- إيطاليا- ألمانيا) إذ تقاسمت هذه الدول المناطق الاستعمارية فيما بينها بطرائق سلمية، تمثلت في الصراع السياسي من دون العسكري الذي كان لبسمارك الدور الرئيسي كما سبق ذكره، رسمت إيطاليا سياستها في ليبيا على ثلاث مراحل، كان أولها الحلول السلمية التي تمثلت في بناء المدارس والبنوك وغيرها من المؤسسات الخدمية، وثانيها العمل على اعتراف الدول بآمال إيطاليا في احتلال ليبيا بالطرائق الدبلوماسية، ثالثها إعلان الحرب على الدولة العثمانية والاحتلال الفعلي^{٢٥١}، أما السلطان عبد الحميد الثاني فقد كان يقظاً للأطماع الإيطالية في ليبيا، فطلب معلومات من مصادر مختلفة عن نشاط الإيطاليين في ليبيا وأهدافهم فجاءته معلومات تقول (إن هدف الإيطاليين بمدارسهم وبنوكهم مؤسساتهم الخيرية الاستيلاء على طرابلس الغرب والبلانيا ومناطق الأناضول الواقعة على البحر المتوسط) (أزمير - الإسكندرية - إنطاكية)^{٢٥٢}، فقام السلطان عبد الحميد الثاني باتخاذ التدابير اللازمة أمام الأطماع الإيطالية وعندما شعر بأنه سيواجه اعتداء إيطاليا مسلحاً على ليبيا قام بإمداد القوات العثمانية في ليبيا بـ ١٥٠٠ جندي لتقويتها، و بقي يقظاً تجاه التحركات الإيطالية وهذا جعل الإيطاليين يضطرون لتأجيل احتلال ليبيا، وتم لهم ذلك في عهد جمعية الاتحاد والترقي^{٢٥٣} ١٩١١.

وبعد أن حصلت إيطاليا على اعتراف الدول الأوروبية الكبرى بأطماعها في طرابلس وبرقة وتأييدها لها رأت إيطاليا أن عليها أن تدعم مركزها وتغلغلها في الولاية تمهيداً للاستحواذ عليها، لقد اتخذ الغزو مظاهر شتى سياسية- اقتصادية- اجتماعية، فقد اهتمت القنصلية الإيطالية بالبحث عن عملاء تربط بينهم وبين الدولة الإيطالية عن طريق منحهم الجنسية الإيطالية ووضعهم تحت الحماية الإيطالية ليستفيدوا من الامتيازات التي كان يتمتع بها الأجانب، وهذه ظاهرة متفشية في ولايات الدولة العثمانية في تلك المدة وعلاوة على ذلك حاولت إيطاليا

²⁵⁰ نوار، عبد العزيز، جمال الدين، محمود محمد. (١٩٨٦). التاريخ الأوروبي الحديث. دار الفكر العربي. ص: ٦٥.

²⁵¹ الصلابي، علي محمد (٢٠٠١). الدولة العثمانية. ط١. دار التوزيع الإسلامي. ص: ٤٢٦.

²⁵² الصلابي، المصدر نفسه، ص: ٤٣٧.

²⁵³ هي منظمة ثورية سرية تأسست باسم جمعية الاتحاد العثماني في اسطنبول يوم ٦ فبراير ١٨٨٩، أنشأها مجموعة من طلبة مدرسة الطب العسكرية الكبرى، وتحولت فيما بعد إلى منظمة سياسية اندمجت مع حركة تركيا الفتاة الأوسع؛ وفي ١٩٠٨ أجبرت جمعية الاتحاد والترقي عبد الحميد على إعادة دستور عام ١٨٧٦.

شراء بعض الأراضي ذات الموقع الاستراتيجي المهم في الولاية وذلك عن طريق القنصلية الإيطالية، و نشط التغلغل الإيطالي في المجال الثقافي بالعمل على نشر اللغة والثقافة الإيطالية في ليبيا وهو أسلوب تقليدي للتغلغل الاستعماري الأوروبي عن طريق التعليم وبعض الأعمال الخيرية، وحين تولّى جيوليتي الوزارة لأول مرة عام ١٨٩٢ ثم للمرة الثانية عام ١٩٠٣-١٩٠٥ اهتم بالتغلغل الإيطالي في طرابلس الغرب عن طريق إيفاد بعض الخبراء العسكريين والسياسيين تحت أسماء مستعارة، كذلك أرسل بعض الجواسيس وكان يرأس هؤلاء وأولئك القنصل غالو (Gallo) وذلك لموافاة الحكومة الإيطالية بتقارير مفصلة عن أوضاع البلاد.

كذلك استثمار رؤوس الأموال الإيطالية في ليبيا، حاولت إيطاليا وضع البلاد تحت سيطرتها الاقتصادية وذلك عن طريق افتتاح فرع لبنك دي روما الذي تم في آذار ١٩١٠ وأقيم احتفال لهذه المناسبة ثم أقيمت خطبة بالعثمانية والإيطالية تتضمن امتنان الجالية الإيطالية وتأكيد الود الذي تتسم به العلاقات الإيطالية- العثمانية ولو أن الأهليين كانوا يعبرون بشدة عن معارضتهم لازدياد النفوذ الإيطالي (الذي يهدد بالخطر استمرار الحكم الإسلامي في هذه الولاية).

ولا ننسى الحملة الإعلامية التي سبقت الحملة العسكرية إذ كانت تمهيدا للغزو ولخلق جو مناسب على الصعيد الليبي والعثمانية والإيطالية والدولية كافة، أي تهيئة الرأي العام، وقد قام جيوليتي بتعبئة الصحافة لهذا الغرض ونشر المقالات والأبحاث، مع القيام بحملة للتشهير بالشعب العربي في ليبيا وبالحكم العثماني هناك وقد حفلت هذه الحملة بدعايات كاذبة إذ ادعوا أن الولاية بلا قانون وليس فيها سلطة حاكمة وأن الأهالي يقاتلون الأجانب (بما فيهم الإيطاليون) وأنهم متأخرون ومتخلفون.

في الحقيقة كانت الدوافع الإيطالية تتصل بمخططات إيطاليا الاستعمارية منذ وُجِدَت ١٨٧١ ورغبتها في الحصول على مستعمرات بوصفها منقذاً لهجرة السكان، كذلك مصدراً للحاصلات والمواد الخام وسوقاً للسلع الإيطالية وميداناً لاستثمار رؤوس الأموال الإيطالية هذا ما كان واضحا في اعتراف جيوليتي برسالته السرية بتاريخ ٣١ تموز (ستكون إيطاليا مضطرة للتحرك والتصرف في ليبيا).

وكان التعليم أيضاً من أهم وسائل التغلغل للنفوذ الأجنبي داخل الولاية، إذ اهتم بعض الولاة ولاسيما أحمد راسم بإنشاء المدارس، فضلاً عن إنشاء بنك دي روما الذي سبق ذكره عنه فأثر الإيطاليون في حقي بك السفير العثماني في روما ليتوسط لدى الدولة العثمانية من أجل التساهل مع البنك لشراء الأراضي الليبية^{٢٥٤}، وكانت الدوائر السياسية في إيطاليا تعدّ هذا التوسع عملاً وطنياً يحقق أهداف قومية يجعل الشعب الإيطالي يشعر بالرضا لإحساسه بأن بلاده تقدم على عمل من شأنه إرضاء نعرتهم القومية، وحتى الدوائر الدينية كانت تؤيد ذلك ولاسيما في صقلية وجنوبي إيطاليا وهي المناطق التي تعدّ ليبيا سوقاً لمنتجاتها ومنفذاً للفائض من سكانها.

هذه هي الدوافع الأساسية التي يمكن أن نرجع إليها الحملة الإيطالية على طرابلس الغرب التي يمكن عدّها دوافع حقيقية للغزو، أما ما قيل غير ذلك من أسباب فهي ادعاءات وذرائع اتخذتها إيطاليا لتغطي دوافعها الحقيقية وتسوّغ اعتداءها أمام الرأي العالمي، ولكي تُحمل الدولة العثمانية المسؤولية الكاملة عن الحملة ومن هذه الذرائع ما أدعته إيطاليا بأن الدولة العثمانية لا تنتظر إلى إيطاليا بوصفها دولة كبرى، وأنه أصبح من واجب إيطاليا إرغام الدولة العثمانية على احترامها، وأن الحكومة الإيطالية كانت تشكو من عدم توفر الأمن للأرواح والممتلكات الإيطالية في طرابلس الغرب وإهمال مصالحها في الولاية.

وجاء في رسالة من السفارة الإيطالية إلى حكومة الباب العالي أن عائلات إيطالية عديدة غادرت طرابلس لأن حياتهم مهددة من جماعة الاتحاد والترقي وبعض الضباط العثمانيين الذين كانوا يحرضون الأهالي ضد إيطاليا.

²⁵⁴ منسي، مرجع سابق. (١٩٨٠)، ص: ٥.

3-2- الحرب الإيطالية-العثمانية

تمت مجموعة من الاتفاقيات السرية بين إيطاليا وكل من فرنسا وإنجلترا والمجر وإسبانيا وغيرها من الدول، ضمنت بموجبها إيطاليا لنفسها احتلال طرابلس الغرب، تنفيذاً للمخطط الأوروبي تجاه ما بقي من ولايات الدولة العثمانية الضعيفة.

أخذت المطامع الإيطالية القديمة في طرابلس الغرب وبرقة تتضح شيئاً فشيئاً، وكانت معظم البعثات الإيطالية التي قدمت إليها في تلك المدة جاءت بناء على مبادرة من الجمعية الإيطالية للاستكشاف التجاري والجغرافي التي كانت ميلانو مركزاً لها فبدأ الإيطاليون بالتمهيد للغزو في أثناء شراء الأراضي وإقامة المشروعات واحتكار المواصلات بين طرابلس الغرب وأوروبا مع إرسال البعثات التبشيرية إلى البلاد وفتح المدارس الإيطالية وغيرها من الأمور التي أشرنا إليها سابقاً، عملت إيطاليا كل هذا زاعمةً بجهل الدولة العثمانية وعرقلة مساعي التقدم والتطور الذي يجريه الإيطاليون لتحضير السكان، لهذا قررت الحكومة الإيطالية احتلال طرابلس الغرب، وجهت إيطاليا إنذاراً إلى الحكومة العثمانية في ٢٧/٩/١٩١١، تعلمها فيه أنها قررت احتلال ليبيا وإن الحكومة العثمانية أن ترد على هذا الإنذار في أثناء ٢٤ ساعة فقط، وعندها رد الباب العالي على إنذار الإيطالي^{٢٥٥}.

أظهر للإيطاليين حسن نية تركيا تجاه إيطاليا ومشاريعها الاقتصادية في ليبيا إيطاليا ومشاريعها الاقتصادية في ليبيا وأكد لهم أن الحالة فيها لا تهدد بالخطر وأن الحكومة العثمانية على أتم استعداد لكي تمنح إيطاليا امتيازات اقتصادية كافية في هذه الولاية على أن لا يؤثر ذلك في السيادة العثمانية، وعلى ألا تقدم إيطاليا على احتلال ليبيا عسكرياً، بل تتعاون الحكومتان على تقديم الولاية وتستفيدان معاً، من دون أن تتعرض مصالح إحداهما أو كرامتها للاعتداء^{٢٥٦}.

فبدأ الأسطول الإيطالي يحاصر الشواطئ الطرابلسية ويهاجم طرابلس بالطيران والمدفعية بالتعاون مع بريطانية وفرنسة لإحكام هذا الحصار، وبعد أن أتم الإيطاليون احتلال طرابلس الغرب وبنغازي أصبحت البلاد

²⁵⁵ يحيى، جلال. (١٩٦٦). المغرب الكبير في العصور الحديثة. ط١. القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر. ص: ٧٣٣-٧٤١.

²⁵⁶ راشد، زينب عصمت. (٢٠٠٤). تاريخ أوروبا الحديث. القاهرة دار الفكر العربي. ص: ٣٥.

حينها تُعرف باسم ليبيا، وبعدها استمرّ القتال بين الليبيين والإيطاليين حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ حيث دخلتها الدولة العثمانية بعد فتوى من (السلطان محمد رشاد الخامس) وفتوى من شيخ الإسلام في استانبول، أعقبها فتوى من ٢٨ من كبار العلماء ومن ذوي المناصب الدينية الكبرى.

كانت إيطاليا عندها تقوم بخديعة وهي عقد اتفاق مع السيد إدريس السنوسي^{٢٥٧}، لوقف القتال ثم تتقضه، وأهل طرابلس ينزلون الاحتلال الإيطالي على أراضيهم مدة خمسة عشر عامًا، أُسر في أعقابها عمر المختار ليعدم ظلما وعدوانا تحت سمع العالم الإسلامي وبصره ولاسيما الدولة العثمانية^{٢٥٨}.

استعمل الإيطاليون في طرابلس الغرب أفضع أساليب القتل والتدمير والغارات الوحشية حتى إن (فرانسييس ماكولا)^{٢٥٩} البريطاني قال "أبيت البقاء مع جيش لا هم له إلا ارتكاب جرائم القتل ، وإن ما رأيته من المذابح وترك النساء العربيات المريضات وأولادهن يعالجون سكرات الموت على قارعة الطريق جعلتني أكتب للجنرال (كانيفا)^{٢٦٠} كتابا شديد اللهجة قلت فيه إنني أرفض البقاء مع جيش لا أعدّه جيشًا بل عصابة من قطاع الطرق والقتلة"^{٢٦١}.

ويقول الكاتب الألماني (فون غوتنبرغ) لم يفعل جيش بعده من أنواع الغدر والخيانة و فعل الطليان في طرابلس فقد كان الجنرال كانيفا يستهين بكل قانون حربي ويأمر بقتل الأسرى سواء قبض عليهم في الحرب أو في بيوتهم.

هذه بعض من المبادئ التي أرادت إيطاليا إدخالها إلى طرابلس الغرب، فأعلنت الحرب على الدولة العثمانية لرفضها السماح لها بالقيام بهذا التحضر الذي تدعيه، ارتكبت جيوشهم ما يندى له الجبين في بلاد المسلمين، هنا قرر الحكام العسكريين (جمعية الاتحاد والترقي) في استانبول سحب القوات العثمانية وترك

²⁵⁷ هو محمد إدريس المهدي السنوسي ولد عام ١٨٩١، وقد خلف أباه في رئاسة جماعة السنوسيين وتولّى الحكم بعد عام ١٩١٦.

²⁵⁸ ذكر تشرشل وزير الحربية البريطانية في الحرب العالمية الأولى أن قادة الاتحاديين طلبوا مساعدة إنجلترا في حرب طرابلس ولكن إنجلترا اعتذرت عن ذلك.

²⁵⁹ كاتب ومؤلف بريطاني، أهم أعماله كتاب حرب إيطاليا من أجل الصحراء، إذ إنه كان مراسلاً حربياً في أثناء الحرب الإيطالية-الليبية.

²⁶⁰ هو قائد عسكري إيطالي تولّى حكم مستعمرة طرابلس الغرب من أكتوبر ١٩١١ وحتى سبتمبر ١٩١٢،

²⁶¹ ستودار، لوثرور. (١٩٧٣). حاضر العالم الإسلامي. ترجمة عجاج نويض. بيروت دار الفكر. ج٥. ص: ٦٤-١٤٠.

طرابلس فريسة للغزو الإيطالي وقبلوا الصلح مع إيطاليا ١٩١١ بشروط كثيرة منها حكم ذاتي لطرابلس الغرب، فضلاً عن تعهد إيطاليا بالعمو العام عن المجاهدين الطرابلسيين مع منح السكان حرية دينية ، كذلك تعهد العثمانيون بعدم إرسال قواتهم إلى طرابلس الغرب وبرقة، هنا يتضح لنا تتكر العثمانيون لمسؤوليتهم عن حماية العالم الإسلامي ضد العدوان الأجنبي، لقد رفضت إيطاليا تنفيذ الاتفاقية وبدأت بالقتل والسرقة والقرصنة.

لم تجد إيطاليا أية صعوبة بالحصول على تأييد الدول الأوروبية التي كانت تسعى إلى تحقيق طموحاتها في التوسع ولاسيما بريطانيا وفرنسا وروسيا، فبريطانيا تريد مساندة إيطاليا لها في مصر، وفرنسا تريد مساندتها في قضية المغرب، وروسيا تريد مساندتها في مطالباتها بفتح المضائق العثمانية أمام الملاحة الروسية^{٢٦٢}، وبذلك فقد أسهمت الدول الأوروبية في تدخل إيطاليا في شؤون ليبيا واحتلالها، وأن اللعبة السياسية الأوروبية هي التي قررت مصير ليبيا، مع من أن هذه الدول أبدت بعض التحفظات بسبب ما يربطها مع الدولة العثمانية من علاقات ومصالح سياسية واقتصادية^{٢٦٣}.

وإلى جانب ذلك أشعر الباب العالي الحكومة الإيطالية باستعداده لتقديم بعض التنازلات ومنح إيطاليا امتيازات اقتصادية ضخمة في إقليم طرابلس ولم ترض الحكومة الإيطالية بهذه التنازلات والامتيازات وأصررت على الاحتلال العسكري^{٢٦٤}

في ٢٧ كانون أول ١٩١١ كلفت إيطاليا سفيرها باستانبول بتقديم إنذار نهائي^{٢٦٥} وتشير فيه إلى:

١- سوء النظام في طرابلس الغرب وبنغازي ونصحها للباب العالي بالاهتمام بالولاية

٢- مصالحها الحربية وتهديد طرابلس لها مع قربها من إيطاليا

٣- تجاهل الدولة العثمانية رغبات إيطاليا في طرابلس وإهمال مصالحها الاقتصادية

٤- التحريض على الرعايا الأوروبيين عامة والإيطاليين خاصة واضطهادهم

²⁶² مالتيزي، باولو. (١٩٩٢). ليبيا أرض الميعاد. ترجمة عبد الرحمن سالم. طرابلس. مركز جهاد الليبيين. ص: ١٤٧-١٤٨.

²⁶³ المرجع نفسه. ص: ١٥٠.

²⁶⁴ تقرير تقدم فيه نائب طرابلس الغرب في مجلس المبعوثان بشأن إهمال طرابلس الغرب، الوثائق الأمريكية وثيقة رقم ٢، ترجمة شمس الدينعراي بن عمران، المجموعة الأولى، مركز الجهاد الليبي ١٩٨٩، ص ٤٦.

²⁶⁵ مالتيزي، مرجع سابق، ص: ١٥٠.

٥- قرار إيطاليا احتلال طرابلس وعلى الدولة العثمانية أن تسهل ذلك

٦- مدة الإنذار ٢٤ ساعة^{٢٦٦}، جاء الرد العثماني ضعيفاً ومتخاذلاً إذ أكدت رغبتها في منح امتيازات

للحكومة الإيطالية وأنها مستعدة للتفاهم مع إيطاليا، و أنها لم ترغب في المواجهة العسكرية معها ولكن إيطاليا لم تقتنع بهذا الرد وقررت إعلان الحرب.

بدأ الغزو الإيطالي على طرابلس الغرب بقصف مدينة درنة في ٣٠ أيلول ١٩١١ ومدينة طرابلس في ٣ تشرين الأول، وفي أثناء هذا الشهر احتل الطليان طرابلس وبنغازي ودرنة وضمها إلى ممتلكاتها^{٢٦٧}، وقبل أن تبدأ إيطاليا في اتخاذ قرار غزو ليبيا واحتلالها، كانت قد بدأت تمهد لذلك سياسياً عن طريق التغلغل السياسي المتمثل في احتواء بعض الزعامات القبلية والسياسية لاستمالتها واستغلال نفوذها في الدعاية لإيطاليا في ليبيا ولاسيما مع الضرر بسبب السياسة العثمانية الجديدة والمتمثلة في التجنيد الإجباري وفرض الضرائب، فوقف الليبيون بوجه الغزو الإيطالي موقف الأبطال، وقد استنفرت القبائل العربية للجهاد، بدء القتال وصمد الليبيون إذ استمرت المعارك من ٣ تشرين الأول ١٩١١ إلى ١٨ تشرين الأول ١٩١٨ .

اقتربت القوات الإيطالية مذابح وحشية قام العديد من المراسلين غير الإيطاليين ممن كانوا في طرابلس بوصفها وأبرزهم محرر صحيفة نيويورك هيرالد الباريسية وصحيفة بول مول جازيت البريطانية وغيرها، التي راح ضحيتها ما يزيد على ثلاثة آلاف مواطن، و قامت بأكبر عملية نفي وإبعاد قسري للمواطنين الليبيين إلى المعتقلات الإيطالية التي كانت تضم آلاف من الإيطاليين مثل معتقل (تريمتي - أوستيكا - بونسا - غابيطا - كاترينا) وغيرها^{٢٦٨} إذ اضطرت الدولة العثمانية بعدها إلى توقيع معاهدة أوشي (لوزان) مع الطليان عام ١٩٢٣، تعهدت بمقتضاها الدولتان بإيقاف الحرب بعد أن أرسلت إيطاليا أسطولاً ضرب بيروت، و هددت باحتلال جزر الديدوكاينز على سواحل تركيا الغربية فضلاً عن تهديد إستانبول.

²⁶⁶ الوافي، محمد عبد الكريم. (١٩٧٧). الطريق إلى لوزان. طرابلس دار الفر جاني. ص: ٧٢-٧٤.

²⁶⁷ الزاوي، الطاهر أحمد. (١٩٨٤). جهاد الأبطال في طرابلس الغرب. ط٣. المملكة المتحدة. ص: ٦٢.

²⁶⁸ مالجييري، فرانيسكو. (١٩٧٨). الحرب الليبية. ترجمة وهيي البوري. ليبيا الدار العربية للكتاب. ص: ٢٤٢.

استمرَّ الجهاد والقتال المرير في طرابلس الغرب إلى أن قبل المجاهدون العرض الإيطالي الذي تضمن إصدار عفو عام ووقف للقتال، ولكن قسمًا منهم رفض ذلك وانتقل إلى ولاية فزان ليتابع جهاده هناك، كذلك في برقة استمرَّ القتال ووقعت أعنف المعارك التي كان أشهرها (يوم جمعة) في ١٦ أيار ١٩١٣ هزم فيها الطليان وارتدوا إلى مدينة أدرنة، هنا ضغطت إيطاليا على الدولة العثمانية ومصر لسحب قواتهما من ليبيا.

في هذه المدّة دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ إلى جانب ألمانيا (دول الوسط) على حين كانت إيطاليا إلى جانب (دول الوفاق) فرغبت الدولة العثمانية في مساعدة الليبيين ضد الطليان، والاستفادة منهم ضد الإنجليز في مصر والفرنسيين في تونس، وما لبثت أن انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ وخرجت الدولة العثمانية منها مهزومة، وعادت فتركت الليبيين وحدهم في الميدان، فاحتل الإيطاليين طرابلس أواخر أيلول ١٩١١، أما في برقة فقد تولّى المجاهد عمر المختار^{٢٦٩} القيادة العامة وكان مركزه الجبل الأخضر وقد انتصر على الطليان في عدّة معارك، وأخيرًا استطاع الإيطاليون السيطرة على المناطق المحيطة بالجبل الأخضر، وكان موسوليني^{٢٧٠} قد استلم الحكم في إيطاليا، فعين اللواء (بادليو)^{٢٧١} حاكم على ليبيا، ففاوض عمر المختار ليعرف معنوياته فعرض عمر المختار شروطه^{٢٧٢}، التي كان منها ألا تتدخل الحكومة الإيطالية في أمور دينهم، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترف بها في دواوين الحكومة الإيطالية، أن تفتح مدارس يدرس فيها التوحيد والفقه والتفسير وسائر العلوم، أن تفتح المدارس لتعليم اللغة العربية، وأن يلغى القانون الذي وضعته إيطاليا، وفي عام ١٩٣٠ عُين (غراتسياني)^{٢٧٣} نائبًا للحاكم في برقة فاتخذ أبشع الأساليب

²⁶⁹ السيد عمر بن مختار بن عمر المنفي الهلالي، الشهير بعمر المختار، الملقب بشيخ الشهداء، وشيخ المجاهدين، وأسد الصحراء، هو قائد أدوار السنوسية في ليبيا، وأحد أشهر المقاومين العرب والمسلمين، ينتمي إلى بيت فرحات من قبيلة منفه الهلالية التي تنتقل في بادية برقة، ولد في ٢٠ أغسطس ١٨٥٨، وتوفي في ١٦ سبتمبر ١٩٣١ في سلوق ودفن فيها.

²⁷⁰ بينيتو أندريا موسوليني حاكم إيطاليا ما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٣، ولد في بريديا ٢٩ يوليو ١٨٨٣، وتوفي في ٤٨ أبريل ١٩٤٥ في جيولينو شغل منصب رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزيرًا للخارجية وللداخلية، وهو من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها، سمي بالدوتشي أي القائد من عام ١٩٣٠م إلى ١٩٤٣م، ويعتبر موسوليني من الشخصيات الرئيسية المهمة في تكوين الفاشية.

²⁷¹ ولد في قرية غراتسنو مونفيراتو بمقاطعة أستيعام ١٨٧١ وتوفي عام ١٩٥٦، وبعد دراسته في الأكاديمية العسكرية في تورينو خدم في الجيش الإيطالي عام ١٨٩٢، شارك في حملات اريتريّة ١٨٩٦ وليبيا ١٩١٢، ارتقى لرتبة جنرال في الحرب العالمية الأولوارتقى في المناصب حتى وصل لرتبة رئيس أركان حرب القوات المسلحة الإيطالية والعسكرية الأكثر شهرة في إيطاليا.

²⁷² شاكر، محمود. (١٩٧٢). ليبيا. ط ١. الدار العلمية. ص: ٤٧-٤٨.

²⁷³ رودولفو غراتسياني، أو غريزاني ولد في فليتينو ١١ أغسطس ١٨٨٢، وتوفي بروما ١١ يناير ١٩٥٥، شغل منصب نائب الملك

للقضاء على المقاومة، إذ زج العلماء وزعماء السنوسية في السجون حتى أفناهم الجوع والعطش جميعاً، وأخيراً سقطت الكفرة آخر معاقل السنوسيين في كانون الثاني ١٩٣١، واستمرَّ عمر المختار في حربه حتى وقع أخيراً في الأسر وحُكم محاكمة صورية وأُعدم في ١٥ أيلول ١٩٣١ ودُفن سرّاً وأُخفيت معالم القبر^{٢٧٤}.

مما سبق نستنتج أنه في عام ١٩١١ بدأت إيطاليا عملياتها التوسعية في حوض البحر المتوسط؛ واحتلالها لليبيا بصفة خاصة فكان الدافع وراء ذلك حماية أمن الدولة الإيطالية وتدعيمها من ناحية؛ واستجابة لحل مشاكل الجنوب الإيطالي الفقير من ناحية أخرى، وفي عام ١٩٢٢ تبنت خطة هجومية تجاه المنطقة لتحقيق مطامع كبرى؛ بهدف حماية مصالحها في شرقي إفريقيا ومصالحها التجارية مع دول المتوسط، وقطع الامتداد الفعلي للمستعمرات البريطانية والفرنسية؛ والنيل من النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة؛ ومع كل ما حدث اكتسبت إيطاليا مساندة بعض الأوساط الأوروبية التي رحبت بعوائها لبريطانيا وفرنسا؛ واحتلت بعدها إثيوبيا عام ١٩٣٦^{٢٧٥}.

الإيطالي في إثيوبيا فكان مارشال إيطالي ذو شخصية سياسية إيطالية، وكان المسؤول العسكري الإيطالي الذي قاد القوات الإيطالية في أفريقيا قبل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وأحد مجرمي الحرب المسؤولين عن مصرع آلاف من الأثيوبيين والليبيين المدنيين.²⁷⁴ يوجد مزار في بنغازي، يقال أنه قبر الشهيد عمر المختار، لكن في الحقيقة لا أحد يستطيع إثبات أو نفي ذلك.²⁷⁵ طلاس، مصطفى. (١٩٩٩). ملف أوروبا والوطن العربي. دمشق مركز الدراسات العسكرية. ص: ١٤.

3-3- معاهدة أوشي (لوزان) ١٩٢٣

ذهب الوفد العثماني إلى لوزان حاملاً ورقة العمل والشروط التي كانت قد تحدت في الميثاق الوطني قبل ذلك الوقت بنحو ثلاث سنوات، والتمسكة بالحفاظ على استانبول وضرورة إسهام الدولة العثمانية في النظام الذي يوضع لتنظيم مرور السفن عبر المضائق والملاحة في البحر الأسود وإلغاء نظام الامتيازات الأجنبية وإلى غير ذلك من شروط، فبعد أن عازمت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على وضع تسوية جديدة مع الدولة العثمانية في صورة معاهدة تحل محل معاهدة سيفر عام ١٩٢٠، مراعيةً هذه الدول المصالح الأمريكية عند وضع الصياغة النهائية لأحكام المعاهدة الجديدة، وكان من بين الموضوعات المطروحة موضوع مرور السفن في المضائق التركية وتحديد المركز القانوني للبحر الأسود أي رغبتها في تقرير وبدأ حرية مرور السفن التجارية والحربية في مضيق الدردنيل وبحر مرمرة ومضيق البوسفور وقت السلم وزمن الحرب، وتجريد البحر الأسود من أنه بحيرة عثمانية عندما كانت في أوج قوتها إذ أصبح بحرًا عامًا لا يخص الدولة العثمانية وحدها كما كان سابقاً، وقد وصفته الدول أنه طريق تجاري تعتمد عليه دول وسط أوروبا في حياتها الاقتصادية، وقد تضمنت المذكرة التي أرسلتها الحكومة الأمريكية^{٢٧٦} إلى كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٢ رغبتها في أن تشارك بوصفها مراقباً في أعمال المؤتمر، وأشارت الولايات المتحدة الأمريكية في المذكرة إلى أنها لم تكن في حالة حرب ضد الدولة العثمانية ولم تكن أحد أطراف هدنة مودروس وهي لا ترغب في أن تسهم في مفاوضات السلام النهائية ولا في التعديلات السياسية والإقليمية، واستعرضت مذكرة الحكومة الأمريكية شروط إسهامها في المؤتمر وطبيعة المصالح التي ترغب في حمايتها التي كان عددها سبعة^{٢٧٧}، و أعربت فيها عن رغبتها في أن تكف الدول المتحالفة عن تنفيذ الاتفاقيات السابقة وعن تقسيم الدولة العثمانية، بدأ مؤتمر لوزان أعماله في تشرين الثاني ١٩٢٢ إذ مثل حكومة أنقرة عصمت إينونو وعضوية كل من حسن بك نائب طرابزون ورضا نور نائب،

²⁷⁶ U. S. Aide (1922), p: 114-115.

²⁷⁷ كانت هذه المصالح وفق ورودها في المذكرة ١-الإبقاء على نظام الامتيازات الأجنبية في تركيا على أساس حماية المصالح لغير المسلمين حماية المؤسسات الخيرية والتعليمية والدينية ٣-تكافؤ الفرص أمام الجميع وعدم منح امتيازات خاصة ٤-تعويض الخسائر التي وقعت على الأمريكيين في تركيا نتيجة أعمال تعسفية وغير قانونية ٥-وضع شروط قاسية لحماية الأقليات ٦-وضع ضمانات لكفالة حرية المرور في المضائق ٧-إتاحة فرص معقولة للبحث عن آثار وإجراء دراسات.

فضلاً عن مجموعة من المستشارين^{٢٧٨}، أما من جانب الحلفاء فقد حضر المؤتمر ممثلون عن كل من فرنسا- بريطانيا- رومانيا- بلغاريا- يوغسلافيا- ألبانيا- إسبانيا- بلجيكا- النرويج- السويد- البرتغال، فضلاً عن ممثل عن الاتحاد السوفيتي الذي دعي إلى المؤتمر لحساسية موقفه إزاء قضية المضائق^{٢٧٩}، كادت المفاوضات تتعثر مع إصرار عصمت إينونو على أن تعامل حكومة أنقرة بوصفها حكومة مستقلة ذات سيادة متساوية مع الدول الحاضرة للمؤتمر جميعها^{٢٨٠} الأمر الذي أزعج ممثل الحكومة البريطانية.

عقد المؤتمر جلساته على مدتين من ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ إلى ٤ شباط ١٩٢٣ قُسمت أعماله فيها بين ثلاث لجان اختصت الأولى بمشكلة المرور عبر المضائق والملاحة في البحر الأسود والقضايا العسكرية ومشكلة الأقليات، واختصت الثانية بقضايا الأجانب على حين اختصت الثالثة بالقضايا الاقتصادية والمالية^{٢٨١}، إلى حين انفض المؤتمر بسبب رفض الحكومة العثمانية قبول المعاهدة ولكنه خول الحكومة العثمانية إعادة فتح باب المفاوضات مع بريطانيا وحليفاتها إذ وافقت هذه الدول على بحث المقترحات التركية في ٢٣ نيسان ١٩٢٣ إذ استأنف مؤتمر لوزان عقد جلساته وبذلك بدأت المدة الثانية التي استمرت حتى ٢٤ تموز ١٩٢٣ إذ وقّع في هذا اليوم على المعاهدة التي حملت اسم معاهدة لوزان ١٩٢٣ وتميزت المعاهدات التي أبرمت لتسوية مشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى كافة بأنها الوحيدة التي عُقدت نتيجة مفاوضات مضنية للغاية، اشترك فيها الأطراف المعنيون لتحل محل معاهدة جائزة وضعها المنتصرون، وقد وقعت عليها ثمانية دول هي بريطانيا- فرنسا- إيطاليا- اليابان- اليونان- بلغاريا- رومانيا- تركيا في مدينة لوزان في سويسرا.

أما إذا ما انتقلنا إلى الحديث عن نتائج المعاهدة فسنجد أنها سجلت تنازل تركيا عن مصر والسودان وجزيرة قبرص لبريطانيا وتنازلها لإيطاليا عن ليبيا وعن ثلاث عشرة جزيرة كانت تحتلها إيطاليا وقتها، و ألغت نظام الامتيازات فضلاً عن إخلاء استانبول من القوات الأجنبية، وإعادة تراقيا الشرقية إلى تركيا وإعادة الجزء

²⁷⁸ حسين، فاضل- كاظم نعمة. (١٩٨٢). التاريخ الأوروبي الحديث. ط١. ص: ٢٣٣.

²⁷⁹ كلايسي، أوغو. (١٩٩٩). السياسة الخارجية التركية إزاء الأمن الإقليمي والتعاون في الشرق الأوسط. جريدة المؤيد المصرية.

العدد ٤٣. نيسان. ص: ٧٣.

²⁸⁰ كان حزب الشعب قد وافق في ٩ تشرين أول عام ١٩٢٣ بناء على اقتراح عصمت باشا، باتخاذ أنقرة عاصمة للدولة الجديدة بدلاً من استانبول وبعد أربعة أيام وافق مجلس النواب على هذا التعديل.

²⁸¹ الشناوي، مرجع سابق. (١٩٨٠)، ص: ٢٩٢.

الغربي من الأناضول التي كانت تحتلها اليونان وأجزاء كثيرة من أملاكها في أوروبا، وتقديرًا من الدول الأطراف في المعاهدة لموضوع المضائق أقرت اتفاقية ولاسيما بهذه المسألة وأرفقتها بالمعاهدة وأصبحت جزءا منها وأطلقت عليها اتفاقية نظام المضائق. Convention on the regime of the straits

نستطيع القول أخيرًا إن إلغاء معاهدة سيفر ١٩٢٠ وإبرام معاهدة بديلة لها في لوزان ١٩٢٣ كان انتصارًا للقومية التركية، فقد استطاع أتاتورك أن يتحدى بريطانيا وحليفاتها ويجبرها على إلغاء معاهدة فرضتها على بلاده المهزومة في الحرب العالمية الأولى، والمعنى المهم الذي انطوى عليه عقد المعاهدة هو إعادة إنشاء سيادة تركيا كاملة على معظم الأقاليم التي تتكون منها جمهورية تركيا في الوقت الحاضر^{٢٨٢}، وفيه نالت تركيا الحديثة امتيازات كثيرة واعتراف بكيانها دولة مستقلة واستطاعت فيما بعد التخلص من قيود معاهدة لوزان^{٢٨٣}، وبالوقت نفسه استطاعت إيطاليا الحصول على ليبيا وعدة جزر و ذكرنا سابقًا.

ومع الامتيازات التي حصلت عليها تركيا بموجب معاهدة لوزان الثانية ١٩٢٣ إلا أنها كانت عصفاً بالسياسة العليا للدولة وانتقاصاً من سيادتها على جزء من أراضيها، حين أصدر مجلس النواب التركي قراراً في ٢٣ آب عام ١٩٢٣ بالموافقة على معاهدة لوزان الثانية كان هذا المجلس قد أصدر قبل ذلك بعدة أيام قراراً بانتخاب مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للجمهورية في ٣ تشرين أول عام ١٩٢٣، واتخذ مجلس النواب التركي في ١٣ تشرين الأول من العام نفسه قراراً بنقل العاصمة من استانبول إلى أنقرة.

فمع فشل المرحلة الأولى انعقد المؤتمر ثانية في ٢٣ نيسان ١٩٢٣ إذ بقي عصمت إينونو ممثلًا عن الجانب التركي فيما تولى برامبولد رئاسة الوفد البريطاني بدلاً من كرزن وعقدت العديد من الجلسات التي انتهت في ٢٤ تموز ١٩٢٣ بالتوقيع على معاهدة لوزان الثانية التي تألفت من ١٧ وثيقة تتعلق بكل ما نوقش في أثناء انعقاد جلسات المؤتمر^{٢٨٤}.

تضمنت المعاهدة عددًا كبيرًا من البنود والملاحق كان الأبرز بينها:

(١) - عقد معاهدة الصلح مع تركيا

²⁸²Lewis, Barnand (1968). the Emergence of modern Turkey. Second edition. London, p: 254.

²⁸³ حسين، (١٩٥٨). مرجع. ص: ٦٦.

²⁸⁴ حسين، فاضل - نعمة كاظم. (١٩٨٢). التاريخ الأوروبي الحديث. ط ١. ص: ٢٣٣.

- (٢)- تحصل تركيا على شرقي تريس إلى غربي نهر مارتيسا ومن ضمن ذلك أدرنة حالياً^{٢٨٥}
- (٣)- حصلت تركيا على إمبروسوتنبدوس وجزر الأرنب، على حين تخلت تركيا عن معظم جزر بحر إيجه وذهبت اليونان، ويعزى سبب ذلك إلى وجود سكان يونانيين هناك^{٢٨٦}
- (٤)- تخلت تركيا عن جزر الدوديكاينز وورودس وكاستيلوريزو لصالح إيطاليا
- (٥)- حصلت بريطانيا وفرنسا على منطقة إنزك في شبه جزيرة غاليبولي، إذ عينت هذه الدول أوصياء على هذه المنطقة من أجل العناية بقبور الجنود الذين قتلوا في أثناء الحرب العالمية الأولى في حملة عام ١٩١٥
- (٦)- تخلت تركيا عن مطالبها كافة في ليبيا ومصر والسودان وفلسطين وسورية
- (٧)- اعترفت تركيا بضم قبرص إلى بريطانيا
- (٨)- وعدت تركيا بمنح الأقليات إصلاحات قضائية وأنها ستعمل جاهدة على الإفادة من الفقرات المتمثلة في حقوق الأقليات ولاسيما مناطق أوروبا الشرقية التي تحدث عنها المؤتمر
- (٩)- تم التخلي عن مطالب الحلفاء ولاسيما التعويضات الناجمة عن الحرب العالمية الأولى، فضلاً عن تخلي تركيا عن الإصلاحات التي كان من المقرر القيام بها في اليونان.
- (١٠)- رفعت القيود عن الجيش التركي سواء كانت برية أم بحرية أم جوية (١١)- أما فيما يتعلق بمشكلة الموصل فوُضعت معاهدة في ٤ تشرين الأول ١٩٢٣ للتداول بين الجانبين التركي والبريطاني في ذلك وإذ لم يتوصل الجانبان إلى اتفاق فإن القضية ستحول إلى عصبة الأمم^{٢٨٧}، ففي لوزان الثانية حددت المادة الثالثة تعيين الحدود بين تركيا والعراق بترتيب ودي من بريطانيا وتركيا معاً في ٩ أشهر، فعقدت الدولتان في تلك المدة مؤتمر القسطنطينية ١٩ مارس ١٩٢٤ لكنها لم تفلح في إيجاد حل للمشكلة^{٢٨٨}.
- (١٢)- تجريد عدد من الجزر من الأسلحة ولاسيما ساموس وأكاريا.

²⁸⁵ Walter, op, cit, p: 699.

²⁸⁶ صبيح، علي. (٢٠٠٣). **السياسات الدولية بين الحربين العالميتين**. ط١. بيروت دار المنهل. ص: ٦٨.

²⁸⁷ عصبة الأمم هي إحدى المنظمات الدولية السابقة التي تأسست عقب مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩، الذي أنهى الحرب العالمية الأولى التي دمّرت أنحاء كثيرة من العالم وأوروبا خصوصاً، كانت هذه المنظمة سلفاً للأمم المتحدة، وهي أول منظمة أمن دولية.

²⁸⁸ حسن، مصدر سابق، ص: ٢٣٣

(١٣)- وُقِّعَ ميثاق المضائق، اعترفت فيه الدول التي وقعت فيه أن المضائق أصبحت منزوعة السلاح^{٢٨٩}، فضلاً عن حرية المرور والملاحة بالبحر والجو في مضيق الدردنيل وعبر بحر مرمرة وملاحة السفن والطائرات التي تدار وقت السلم و زمن الحرب، و إنّ المادتين الثالثة والتاسعة ولاسيما بالمضائق التي تضمنت تجريد السلاح من المناطق المحيطة بهذه المضائق، إذ سُمح لتركيا بالاحتفاظ بـ ١٢ ألف جندي، فضلاً عن قاعدة بحرية وبموجب ذلك انسحبت قوات الحلفاء^{٢٩٠}.

(١٤)- اتُّفِقَ على تبادل السكان بين تركيا واليونان إذ تم تبادل نحو مليون و ٤٠٠ ألف يوناني في تركيا^{٢٩١}

(١٥)- تضمنت المعاهدة رسائل متبادلة ومواثيق متبادلة بين الدول^{٢٩٢}

أما إذا ما أردنا التحدث عن أهم ما نتج عن هذه المعاهدة فسنرى أنها:

(١)- حققت لتركيا الحصول على السيادة الكاملة من حدودها، إلا أن شروطها كانت غامضة وتنفيذها

يستغرق وقتاً

(٢)- كان هناك خلاف شديد فيما يتعلق بالدين العام، إذ إن المعاهدة حققت فقط حجم هذا الدين، و حددت

الالتزامات الواجب على تركيا تنفيذها

(٣)- أُلغيت المحاكم الأجنبية، وفضلاً عن ذلك فإن المقيمين الأجانب أُجبروا على قبول الاحتكام في

المحاكم التركية، وحتى المراقبين الذين سُمح لهم بمراقبة المحاكم انحسر دورهم على كتابة التقارير والإبلاغ عن

الشكاوى فقط من دون التدخل في الأحكام الصادرة^{٢٩٣}

(٤)- خُلت مشكلة نفقات الترميم عندما اعترفت اليونان بالتزامها بدفع الأضرار التي سببتها في أناتوليا

بسبب حركات الجيش اليوناني

²⁸⁹ ديروزيل، ج. ب. (١٩٥٨). التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ١٩١٩-١٩٥٤. ترجمة خضر. ج. ١. ص: ٤٣.

²⁹⁰— Harry N. Hayward (1966). the partition of TorkienA Diplomatic History 1913-1923. New York. p: 126.

²⁹¹ ديروزيل، مرجع سابق، ص: ٢٣٣.

²⁹² Teraflop, Tarihi (1982). Turkey. Istanbul, p: 135.

²⁹³ Tozun, op, cit, p: 515.

(٥)- سمحت تركيا لمواطنيها الأتراك كافة الذين لا يتكلمون اللغة التركية باستخدام لغتهم في تعاملاتهم وعلاقاتهم

(٦)- سُمح للمسلمين من غير الأتراك بتأسيس المؤسسات الخيرية والدينية والاجتماعية والثقافية وتشغيلها وفق رغباتهم^{٢٩٤}

(٧)- أُعدت الساحة المقابلة لقصر دولمة للاحتفال بجلاء القوات البريطانية عن تركيا، لذلك سارت الفرق العسكرية من الجيش الوطني التركي في احتفال مهيب في ٦ تشرين الأول ١٩٢٣ في العاصمة استانبول وحظيت بترحيب واسع من الشعب

(٨)- قام المجلس الوطني الكبير ١٣ تشرين الأول ١٩٢٣ بتمرير قانون جعل من مدينة أنقرة العاصمة الرسمية للدولة التركية

(٩)- أُعلن الدستور الجديد للبلاد في ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣، وأُعلنت الدولة ذات نظام جمهوري بسيادة الشعب

(١٠)- انتخب مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للدولة، وعصمت إينونو أول رئيس وزراء للجمهورية التركية^{٢٩٥}

(١١)- أعطت معاهدة لوزان حرية كبيرة لمصطفى كمال أتاتورك في بناء دولة قوية علمانية فخلع رداء الدين ومهد الطريق إلى الصلح مع الغرب

(١٢)- ما خاطب فيه السلطان عبد المجيد عندما طلب منه زيادة امتيازاته " ليعلم الخليفة والعالم أجمع أن الخليفة والخلافة أصبحت أمرًا معنويًا لا وجود له... نحن لا يمكننا أن نعرض الجمهورية التركية لأي نوع من أنواع الخطر على استقلالها، عن طريق وجود منصب الخليفة في النهاية أصبحت الخلافة بالنسبة إلينا ذكرى

²⁹⁴ H.B Sharabi, op, cit, p: 40.

²⁹⁵ رشيد، رضا. عبد الرزاق، علي. الشهبندر، عبد الرحمن. (١٩٦٦). الدولة والخلافة في الخطاب العربيأبان الثورة الكمالية في تركيا. ط١. تقديم وجيه كوثراني. بيروت. دار الطليعة للنشر. ص: ٨.

تاريخية...^{٢٩٦}، لذلك حضر عبد المجيد آخر جمعة في سلامك في ٢٩ شباط ١٩٢٤ وكانت آخر مناسبة رسمية لأعضاء السلالة العثمانية، وبعدها في ٣ آذار ١٩٢٤ قام المجلس الوطني الكبير بإلغاء الخلافة العثمانية التي امتدت إلى ٦٤٠ عام.

(١٣)- كانت معاهدة لوزان الخطوة الأخيرة لإضعاف الدولة العثمانية تلك الدولة المترامية الأطراف التي استعصت على الدول الأوروبية عندما كانت في أوج قوتها وعظمتها، أما المراحل النهائية من تقسيم الدولة العثمانية فكانت عند قيام النمسا بضم البوسنة والهرسك عام ١٩٠٨، واستمر الأمر كذلك في الحرب العثمانية-الإيطالية ١٩١١-١٩١٢ التي انتهت بحصول إيطاليا على ليبيا (طرابلس الغرب) وعدد من الجزر، وحرب البلقان ١٩١٢-١٩١٣ ونهاية المطاف كانت في مؤتمر لوزان الثانية ١٩٢٢-١٩٢٣ إذ اكتمل تفكيك هذه الإمبراطورية.

تضم معاهدة لوزان الثانية المواثيق الآتية^{٢٩٧}:

- (١) معاهدة الصلح مع تركيا
- (٢) ميثاق المضائق
- (٣) ميثاق يخص حدود تراقيا
- (٤) ميثاق يخص شروط التجارة والإقامة والقضاء
- (٥) ميثاق تجاري
- (٦) ميثاق يخص تبادل السكان اليونان والأترك
- (٧) اتفاقية بين اليونان وتركيا عن الإرجاع المتبادل للمدنيين المحتجزين وتبادل أسرى الحرب
- (٨) تصريح عن العفو العام
- (٩) تصريح عن أملاك المسلمين في اليونان

²⁹⁶— Harry N. Howard.(1966).the partition of TorkienA Diplomatic History 1913-1923. New York, p: 33.

²⁹⁷ حسين، مرجع سابق. ص: ١٥-١٦.

(١٠) تصريح عن الأمور الصحية في تركيا

(١١) تصريح عن إدارة العدالة في تركيا

(١٢) بروتوكول (ملحق) عن بعض الامتيازات التي منحتها الإمبراطورية العثمانية

(١٣) بروتوكول عن انضمام بلجيكا والبرتغال إلى بعض مواد المعاهدة

(١٤) بروتوكول عن جلاء القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية عن الأراضي التركية المحتلة

(١٥) بروتوكول عن أراضي قره غاتش وجزائر أمبروز وتينيدوس.

(١٦) بروتوكول عن المعاهدة الموقعة في سيفر بين الحلفاء واليونان عن حماية الأقليات في اليونان وتراقيا

(١٧) بروتوكول عن توقيع يوغسلافيا لمعاهدة الصلح

(١٨) وتضمنت معاهدة لوزان أيضًا بعض الرسائل المتبادلة وميثاقاً عن تعويض للحلفاء^{٢٩٨}.

نهتدي بعد البحث في هذه المعاهدات والمؤتمرات إلى أن معاهدة لوزان الثانية كانت الوعاء الجامع لما سبقها إذ ضمت حصيلة من المواثيق التي انعكست على أرض الواقع تاركة أثراً فعلياً في إنهاء نظام الخلافة الإسلامية وإلغاء وجود الدولة العثمانية الفعلي لتحل محلها تركيا الحديثة بحدودها التي بقيت مرسومة على ما هي عليه، حتى اغتصبت منا لواء الإسكندرونة السوري عام ١٩٣٦.

الفصل الثالث: المواقف الدولية والإقليمية والعربية من الاحتلال الإيطالي لليبيا

وانعكاساتها على ليبيا

1- المواقف الدولية

1-1- موقف الأحزاب السياسية الإيطالية من احتلال طرابلس الغرب

1-2- موقف بريطانيا

1-3- موقف فرنسا

1-4- موقف ألمانيا

1-5- موقف روسيا

1-6- موقف النمسا والمجر

2- موقف الدولة العثمانية من احتلال إيطاليا لليبيا

3- المواقف العربية من احتلال إيطاليا لليبيا

3-1- ردود فعل الشعب الليبي

3-2- الموقف المصري

3-3- الموقف الجزائري

4- انعكاسات الاحتلال الإيطالي على ليبيا

4-1- الانعكاسات السياسية

4-2- السياسة الاستعمارية الاقتصادية التي نهجتها إيطاليا ضد ليبيا

4-3- انعكاسات اجتماعية

4-4- انعكاسات ثقافية

الفصل الثالث: المواقف الدولية والإقليمية والعربية من الاحتلال الإيطالي لليبيا

وانعكاساتها على ليبيا

1- المواقف الدولية:

أبرمت إيطاليا اتفاقاً مع بريطانيا في كانون الثاني عام ١٩٠٢؛ تضمن اعتراف بريطانيا بالمصالح الإيطالية في ليبيا^{٢٩٩}، وقطعت شوطاً في هذا الاتجاه بعقد الاتفاق الثلاثي الإيطالي- الفرنسي- البريطاني في ١٣ كانون الأول ١٩٠٦، الذي عين مناطق النفوذ الاقتصادي لهذه الدول في البحر الأحمر؛ إنجلترا في وادي النيل- فرنسا ما وراء الساحل الصومالي- إيطاليا في اريتريا والصومال والمنطقة التي تربط بين هاتين المستعمرتين بإديس أبابا^{٣٠٠}.

أثار قرار إيطاليا بضم ليبيا معارضة الدول الاستعمارية، وذلك بسبب المواقف الدولية والمصالح المختلفة للدول العظمى، فمع محاولات إيطاليا الحصول على اعتراف دولي من الدول الكبرى؛ بضم ليبيا إليها ووضعها تحت سيادتها التامة؛ إلا أنها فشلت ولم يبق أمامها إلا الاستمرار في الحرب؛ حتى يتغير الموقف الدولي، وبالفعل هذا ما حصل^{٣٠١}.

عندما بدأت إيطاليا هجومها على طرابلس الغرب لم تستتكر أية دولة أوروبية هذا الهجوم^{٣٠٢}؛ لأن إيطاليا أقدمت على الغزو بعد أن حصلت على موافقة كل القوى الأوروبية الكبرى^{٣٠٣}، التي أعطت تعهدات لإيطاليا تؤكد أن الأخيرة يمكنها أن تضم طرابلس الغرب متى شاءت، وهي ألمانيا عام ١٨٧٧؛ وفرنسا في عامي ١٩٠٠ و١٩٠٢، والنمسا وبريطانيا في عام ١٩٠٢؛ وروسيا في عام ١٩٠٩^{٣٠٤}.

²⁹⁹ Jean Louis Mieg(1964). l'imperialism colonial Italian de 1870 a nos jours. Paris universities. de France, p: 76.

³⁰⁰ أمين، جلال أحمد. (١٩٧٩). المشرق العربي والغرب. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية. ص: ٧٨.

³⁰¹ راشد، مرجع سابق، ص: ٤٠.

³⁰² علقت مجلة المنار على ذلك (إن سكوت أوروبي على هذا العدوان الذي تنتبأ منه الأعداء....، برهان واضح على أنه عدوان متفق

عليها للمزيد حول تناول المنار للغزو الإيطالي لليبيا، مجلد ١٤-الأجزاء ١٠-١١-١٢.

³⁰³ الهوش، أبو بكر. (١٨٨٩). تطور الضبط الديموغرافي للمطبوعات الرسمية في ليبيا. سلسلة دراسات.م.ج. ص: ١٢.

³⁰⁴ أسكيو، وليم. (١٩٨٨). أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا ١٩١١-١٩١٢. ترجمة ميلاد المقرحي. مركز جهاد الليبيين. ص: ٣٩.

أما بعدّ صدور قرار إيطاليا بالضم فنرى أن الدول الأوروبية أصبحت متحفظةً للغاية حول موقفها من هذا القرار .

فبعدّ قرار الضم لم تبدِ حكومتا برلين وفيينا أي تعليق علني؛ خوفاً من أن يفسر على أنه إضعاف من شأن الحلف الثلاثي، يدفع بتحول إيطاليا نحو علاقات أوثق مع دول الوفاق، لكن هذا لم يمنع من تعبير كل من ألمانيا والنمسا والمجر عن استيائها من تسرع إيطاليا في اتخاذ قرار الضم^{٣٠٥}.

ثم تم بعدّها ميثاق لندن الذي وقعته الدول الحليفة (فرنسا- بريطانيا- إيطاليا- روسيا) في ٢٦ نيسان ١٩١٥، تضمن وعداً بمنح إيطاليا جنوب غربي الأناضول بعد انتهاء الحرب، وتؤكد هذا الوعد وبشيء من الوضوح والتحديد في اتفاقية سان جان دو مورين Jean de Maurienne، التي وقعتها رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في ١٩ نيسان ١٩١٧، إذ شملت منطقة النفوذ الإيطالي مقاطعات أزمير وإنطاكية وقونية فضلاً عن جنوب غربي الأناضول، وجاءت معاهدة سيفر severs المبرمة في ١٠ آب ١٩٢٢، تأكيداً جديداً لما اتفق عليه في الاتفاقيتين السابقتين، غير أن نجاح الحركة الوطنية التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك؛ حالت دون تحقيق هذه الوعود، فخرجت إيطاليا من الحرب من دون الحصول على أية مستعمرات جديدة في شرق المتوسط^{٣٠٦}.

³⁰⁵ ياخيموفيتش، مصدر سابق، ص: ١٠٦.

³⁰⁶ محافظة، علي. (د. ت). موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: ٤٥٠.

1-1- موقف الأحزاب السياسية الإيطالية من احتلال طرابلس الغرب

شكلت طرابلس الغرب المتنفس الأخير لإيطاليا، بعد أن خسرت كل أحلامها في الشمال الإفريقي مع احتلال فرنسا للجزائر وتونس، ولعدة أسباب ذكرت سابقاً كانت إيطاليا بحاجة إلى السيطرة على مستعمرات، لتجد لنفسها مكاناً تحت ضوء الشمس، هنا يمكن ملاحظة عدم وجود اتفاق ما بين الحكومة الإيطالية وبعض الأحزاب تجاه احتلال طرابلس الغرب، فنرى على سبيل المثال الحزب الاشتراكي الإيطالي، الذي يعدّ من أبرز الحركات السياسية في إيطاليا التي وقفت بشدة ضد احتلال ولاية طرابلس الغرب انطلاقاً من موقفها في معارضة الحروب والنزعات العسكرية الاستعمارية³⁰⁷.

ففي نظرهم أن الطبقات العمالية والطبقات الفقيرة ستكون وقود الحرب، وهي التي ستتحمل الأعباء والتكاليف سواء البشرية منها أم المادية، وعندما شعرت الحركة الاشتراكية بقرب إقدام الحكومة الإيطالية على اتخاذ قرار الاحتلال، اشتدت معارضتها اشتداداً كبيراً ساعيةً إلى تحقيق أربعة أهداف هي:

- ١- التأثير في صنّاع القرار السياسي لإيقاف الغزو
 - ٢- دفع الشعب الإيطالي لمعارضة الحكومة الاستعمارية وسياستها
 - ٣- تحويل أنظار الحكومة للاهتمام بالداخل وحل مشكلاته
 - ٤- المحافظة على الطبقة العاملة التي قد تكون أداة أولى في الحرب
- وعندها بدأت الحملات الصحفية التي تندد بالتوسع الاستعماري، وتوزيع منشورات معادية للحرب والقيام بالاضطرابات العامة والمظاهرات الاحتجاجية³⁰⁸، ولكن من دون جدوى أدى الاحتلال إلى انقسام في الحزب ضمن اتجاهين الأول مؤيد للاحتلال والثاني معارض له.

ونجد أن الحزب الجمهوري اقترب موقفه كثيراً من موقف الحزب الاشتراكي، فكان لا يعارض الاحتلال الإيطالي لولاية طرابلس الغرب فقط، بل يعارض أيضاً التحالف مع دولتي الوسط (ألمانيا- والنمسا والمجر) وذلك لسببين: أولهما رغبة الجمهوريين في تخليص الأراضي الإيطالية الخاضعة للنمسا، وثانيهما خوف الجمهوريين

³⁰⁷ Patriotism(1911), p: 289.

³⁰⁸ البوري، عبد المنصف حافظ. (د. ت). الغزو الإيطالي لل ليبيا. شركة كاظمة للنشر. ص: ٩٤.

من الارتباط مع ألمانيا والنمسا والمجر، الذي قد يؤدي بإيطاليا إلى حرب في البحر المتوسط أو البلقان هي في غنى عنهما^{٣٠٩}.

لكن الحس القومي المتطرف أصابه، وحدث في الحزب الاشتراكي وانقسم إلى تيارين الأول عارض الغزو والثاني كان يترأسه (بارزillas) أيد الغزو.

نستطيع القول إن هذه المواقف لم تكن ذات جدوى أو تأثير في الحكومة الإيطالية ومواقفها، إذ إنها لم تأخذ بها بل على العكس عملت على التأثير فيها لتغير واجهتها وخلق انقسام يضمن مصالحها.

³⁰⁹ ياخيموفيتش، ز. ب. (١٩٧٠). الحرب التركية- الإيطالية ١٩١١-١٩١٢. هاشم التكريتي. ط ١. ليبيا. ص: ٩٦.

1-2- موقف بريطانيا

أرادت إيطاليا جس نبض بريطانيا في معرفة موقفها تجاهها ولاسيما في مصر، التي كانت تحت الحماية البريطانية، فأبلغ وزير الخارجية الإيطالي في الثلاثين من أيلول سفير بريطانيا في روما السير (Rodd) (رينال رود، إن الحكومة الإيطالية قررت عدّ المياه الإقليمية المصرية قاعدة بحرية، وفي الوقت نفسه تساءل السفير الإيطالي في لندن الماركيز أمبريالي، إذا ما كانت بريطانيا ستسمح بمرور قوات عثمانية عبر الأراضي المصرية، أجابت الخارجية البريطانية وفق برقية السير إدوارد غراي إنه كان بإمكان السفير البريطاني طمأنة الحكومة الإيطالية بأن مصر ستكون محايدة في نزاع إيطاليا والدولة العثمانية³¹⁰.

من الجدير بالذكر إن حياد الحكومة المصرية الخاضعة للاحتلال البريطاني كان مناقضاً لأحكام معاهدة ١٨٤٠ التي نصت على إمكان انتفاع الدولة العثمانية بالقوات المصرية في حالة الحرب، إلا إن الحياد الذي قرره بريطانيا جاء بسبب السلطة الفعلية التي تمارسها بريطانيا في مصر، على حين انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين إيطاليا والدولة العثمانية بعد إبلاغ الباب العالي بإعلان الحرب، فإن العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيطاليا لم تنقطع، كان هذا في وقت لم تكن مصر تتمتع بسيادتها الكاملة، وكانت لا تزال في حالة التبعية البريطانية، مع أنها كانت تتمتع بحق التفاوض مع الدول الأجنبية وبحق التفويض غير الفاعل وبحق الاشتراك في بعض الأعمال الدولية بواسطة مفوضين خاصين مصحوبين بمبعوثي اسطنبول³¹¹.

طلب الكونت أهرنتال³¹² الوقف الفوري لكل عمل بحري من البحرية الإيطالية في المياه الأوربية، ولاسيما على شواطئ البحر الأدرياتيكي وجزر البحر الأيوني، وأضاف بلهجة التهديد إنه إذا استمرت إيطاليا في عملها في هذه المنطقة فإن عواقب وخيمة يمكن أن تنتج عن ذلك، فأجاب جيوليتي لأهرنتال أن إيطاليا في عملها تسعى إلى الحفاظ على الالتزامات المتعاقد عليها، وفي هذه الحالة تواكب كل عمل في الأدرياتيكي من شأنه أن يخل بالوضع في البلقان، وهناك متطلبات عسكرية لا بد منها مثل ضرورة العمليات العسكرية الموجهة إلى تحرير هذه

³¹⁰ برقية إدوارد كراي في ٣٠ أيلول ١٩١١، المصدر السابق، ص: ٥٩.

³¹¹ مذكرات لورد غراي، ص ٦.

³¹² دبلوماسياً نمساوياً، ولد عام ١٨٥٥ تسلم وزير خارجية النمسا- المجر عام ١٩٠٦، ونفذ الضم الرسمي الكامل للبوسنة والهرسك، واندمجها في الإمبراطورية النمساوية المجرية عام ١٩٠٨.

البحار من التهديد الذي تمثله قاعدة بريفيلا البحرية بالنسبة إليها، وقال إن هذه العمليات موجهة فقط لحماية شواطئنا ومدننا غير المحصنة وتجارتنا ولحماية حملتنا العسكرية على طرابلس، ومن أجل دعم هذا المطلب وضعت الدوائر النمساوية-المجرية الحاكمة أسطولها في البحر المتوسط في حالة استعداد للحرب، وتوجهت من ناحية أخرى إلى حكومة برلين تطلب التأثير في إيطاليا وإجبارها على التخلي عن العمليات الحربية في منطقة الأدریاتيك والجزر الأيونية، فقام السفيران النمساوي والألماني بخطوة دبلوماسية اقترحا فيها على إيطاليا التخلي عن قصف الساحل الألباني، والعمل على توسيع العمليات الحربية في طرابلس³¹³

فأصدرت الحكومة الإيطالية أمراً إلى الدوق أبروتس بالامتناع عن القيام بالعمليات في البحر الأدریاتيك وعن قصف الموانئ الألبانية وغيرها على ساحل الأدریاتيك، وذلك كان دليلاً على حسن النية، وطالبت الدول تعويضاً عن ذلك أن تمنع الدولة العثمانية من نقل الجنود والأسلحة والعتاد إلى ليبيا وأن تسحب سفنها من البحر الأدریاتيك، وأن تتخلى عن إعادة توزيع السفن في شرق البحر المتوسط، بيد أنه لم يتوصل إلى اتفاق بهذا الشأن بسبب معارضة الدولة العثمانية

فيما يخص موقفها حول قرار إيطاليا بضم طرابلس الغرب فإنها تبنت الموقف الفرنسي نفسه، إذ لم يعط وزير خارجيتها (إدوارد غراي) أي جواب رسمي للحكومة الإيطالية، إلا أنه ذكر على المستوى الشخصي أن قرار الحكومة الإيطالية يبدو بعض الشيء سابقاً لأوانه ويجعل وساطة القوى لدى اسطنبول صعبة³¹⁴.

فمع مبادرة إنجلترا بتحذير الدول الكبرى مما ستعرض له التجارة الدولية من خسائر فادحة³¹⁵، إلا أنها كانت راغبة في حصول إيطاليا على ولاية طرابلس الغرب، وهذه الرغبة نابعة من خشيتها أن تقع تحت السيطرة الألمانية، ومن ثم تهدد وجودها ونفوذها في الشمال الأفريقي برمتها.

مع انهيار العلاقات البريطانية-الفرنسية وسيطرة بريطانيا على مصر، وازدياد أهمية البحر الأحمر لبريطانية آلت العلاقات البريطانية-الإيطالية إلى التحسن فوجدت بريطانيا في إيطاليا القوة، التي توازي فرنسا في منطقة البحر الأحمر؛ وهذا ما جعل بريطانيا تشجع إيطاليا على توسيع نطاق ممتلكاتها على الساحل

³¹³ ياخيموفيتش، مصدر سابق، ص: ١٠١.

³¹⁴ العرفاوي، مرجع سابق، ص: ١٥٦.

³¹⁵ D. D. F. Grey (1912), p: 375.

الإفريقي للبحر الأحمر، كان كرسبي^{٣١٦} في مقدمة الساسة الإيطاليين الذين رحبوا بالتعاون مع بريطانيا لقمع الثورة العربية ١٨٨٢، ربما ليستطيع فيما بعد أن يساومها في أمور شمالي إفريقيا^{٣١٧}.

أبرمت إيطالية اتفاقية مع بريطانيا مماثلة للتي أبرمتها مع فرنسا^{٣١٨}، غير أن تنفيذ هذه الاتفاقية تأجل لسنوات عدة^{٣١٩}.

حرصت بريطانيا على إقامة قنصليات لها في أكثر مدن الولاية منذ منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فسعت إلى تقوية مركزها في البلاد بشتى الوسائل، وعقب الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣١ ولتونس ١٨٨١، زاد الاهتمام البريطاني في ليبيا؛ ولأسيما بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ إذ أصبحت ليبيا الفاصل بين مصر البريطانية وتونس والجزائر الفرنسيين؛ عندها بدأت بريطانيا تخطط وترسم لمستقبل ليبيا.

فسار النشاط البريطاني في ليبيا باتجاهين الأول نشاط دبلوماسي متصل بمستقبل ليبيا، والثاني تدعيم النفوذ البريطاني في ليبيا عن طريق إرسال بعثات استكشافية جغرافية لدراسة خطوط القوافل، واهتمت بتدعيم العلاقات التجارية بينها وبين ليبيا، وهذا ما جعلها تتغاضى عن الاحتلال الإيطالي لليبيا، أي لحماية مصالحها في مصر، وتخفيف الخطر الفرنسي الذي يهدد المنطقة.

ومما سبق يمكن القول إن بريطانيا في البداية عبرت عن إرادتها في البقاء محايدة أمام النزاع، وذلك وفق تصريح أدلى به السير إدوارد غراي^{٣٢٠}، أمام مجلس النواب قائلاً: "تبنت الحكومة البريطانية سياسة الحياد في موضوع النزاع الإيطالي- العثماني، فلن نتخلى عن حيادنا إلا في حالة المساس الخطير بالمصالح البريطانية"^{٣٢١}، لكن هذا الحياد لم يدم طويلاً فلحقت ركب الدول الأخرى التي تبحث عن مصالحها.

³¹⁶ سياسي إيطالي ولد في إيطاليا في ٤ تشرين الأول ١٨١٨، تولى رئاسة الحكومة في إيطاليا مرتين، واستقال بعد هزيمة القوات الإيطالية الغازية للحبيشة في معركة عدوة في العاشر من آذار ١٨٩٦.

³¹⁷ صفوت، (د.ت)، مرجع سابق. ص: ٥٩.

³¹⁸ اتفاقية Milner Tilton ١٥ أيلول ١٩١٩ (اتفاقية ملنر - تيتوني) حول تعديل الحدود بين برقة ومصر.

³¹⁹ أمين، جلال أحمد. (١٩٨٣). **المشرق العربي والغرب**. بيروت. مركز الدراسات الوحدة العربية. ص: ١٥٥.

³²⁰ سياسي ودبلوماسي، كان عضواً في الحزب الليبرالي، ووزير الدولة للشؤون الخارجية في المملكة المتحدة سابقاً، ولد في لندن ١٨٦٢.

³²¹ العرفاوي، محمود. (١٩٩١). مخاض الإمبريالية والفاشية والإيطاليين. ترجمة عمر طاهر. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. ج ٢. ص: ٥٨.

3-1 - موقف فرنسا

لم يكن لفرنسا أي اعتراض على مشروع الحملة الإيطالية على ليبيا؛ وفقاً للاتفاقيات القديمة ولاسيما اتفاقية عام ١٩٠٢ الفرنسية - الإيطالية، وتصريح الحياد بتاريخ الأول من تشرين الأول 1911 قائلاً: إن حكومة الجمهورية تصرح وتؤكد إلى من يهمه الأمر؛ أنها قررت التزام الحياد التام في الحرب التي نشبت بين الدولتين (الإيطالية والعثمانية)، وتصرح الحكومة من جهة أخرى أنه لن تسمح لأية سفينة حربية لهذا المتخاصم أو ذاك بالدخول والإقامة في موانئ فرنسا ومستعمراتها والبلدان المحمية، لأكثر من أربع وعشرين ساعة خارج الظروف الطارئة أو الظروف المسوغة، وقررت أيضاً تحييد تونس، وطلبت من السلطات التونسية منع مرور العسكريين العثمانيين نحو طرابلس، فضلاً عن منع الأسلحة والذخائر، وكذلك وضعت الحدود التونسية تحت رقابة شديدة من طرف سلاح الفرسان الفرنسي³²².

والأكثر من هذا فقد أيدت الاحتلال الإيطالي لليبيا ضمناً وفعلياً، إذ شددت في منع الإعانات عن طرابلس، ولاسيما التي كان يقدمها لهم التونسيون، وكان لهذا المنع أثره في نفوس التونسيين، الذين أعدوا ذلك تأمراً مع الإيطاليين على طرابلس الغرب³²³، وفي مجال التدخل في مسألة الاحتلال الإيطالي لليبيا فقد أثرت فرنسا أن تسير في فلك بريطانيا، وقررت ألا تبت برأي منفرد في هذه القضية، وهذا ما أقره وزير الخارجية الفرنسي دي سالف De salvage في الخامس من تشرين الأول ١٩١١ على إيطاليا وسلطة فرنسا بعد إعلامها لبريطانيا، وقد رد سفير إيطاليا تيتوني Tetones على المقترح الفرنسي، أن حكومته ترى احترام رغبة فرنسا وانشغالها بإقامة السلم، وأن إيطاليا قد تكون مستعدة لقبول نوع من سيادة الباب العالي على طرابلس بصفة تراعي الحسابات العثمانية مع تأكيد امتلاك إيطاليا الفعلي لطرابلس، واتجه دي سالف إلى السفير العثماني بباريس رفعت باشا أيضاً، وأكد له النوايا الطيبة للحكومة الفرنسية وأعلمه رغبته للمشاركة في إيقاف القتال، ولكن في حدود؛ هي أن تقرر الدولة العثمانية التنازل عن التضحيات مهما كانت جسيمة، لأن إيطاليا ومهما كان الثمن لن

³²² العرفاوي. مرجع سابق، ص: ٥٧.

³²³ الجيلافي والمرزوقي. (١٩٧٤). معركة الزلاخ. ط٢. تونس. الشركة التونسية للنشر والتوزيع. ص: ١٤.

تتخلى عن طرابلس، وهذا أمر لا جدال فيه، وأن فرنسا مستعدة للمشاركة في إيجاد تفاهم ولكنها لا تستطيع أن تغفل ذلك إلا إذا كانت تعلم أن الدولة العثمانية عازمة على السير في هذا الطريق.

ومن دون أن يتراجع عن اقتراحه للوساطة أعلن دي سالف لتيتوني بعد ذلك أنه يتجه إلى اختيار وساطة عامة تقوم فيها القوى، لكنها لن تقع إلا عندما ترى إيطاليا ذلك مناسباً، وأكد له أن فرنسا ليس لها أي هدف سوى إرضاء إيطاليا، وأوضح أنه لن يتدخل إلا في حدود المستطاع وبالاتفاق مع ألمانيا، محاولين بذلك دفع القوى جميعاً بمحاولة منهم للضغط على استانبول للضم الكامل والبسيط، حتى يعطي للدولة العثمانية اعتذاراً بأنها مجبرة على التنازل أمام الإرادة الجماعية لأوروبا.

اعترف سعيد باشا رئيس الوزراء العثماني في أثناء حديث له مع سفير فرنسا في العاشر من تشرين الأول ١٩١١، أن احتلال طرابلس أصبح أمراً واقعاً، وذكر له أنه مستعد لإعطاء المصالح الإيطالية بطرابلس كل الإرضاءات التي تتوافق والمحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية، وكان الأهم في نظر سعيد باشا تشكيل حكومة مستقلة بمنطقة طرابلس لها سلطتها الشرعية والإدارية، ويمكن في أثناءها تمثيل السكان من دون تفرق ديني في مجلس عام يجتمع لدى الحكومة العثمانية^{٣٢٤}.

حقيقة الأمر لقد تصرف فرنسا وبريطانيا تصرفاً سلبياً تجاه البلاغ الذي أصدره السفير العثماني في باريس رفعت باشا في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩١١، الذي جاء فيه (إن الدولة العثمانية لن توافق على التخلي عن أي حقوق لها في طرابلس إلا في حالة ما إذا وافقت الدول الأوروبية على إلغاء نظام الامتيازات)، وقد عدت الحكومتان الفرنسية والبريطانية هذا الاقتراح تطاولاً على مصالحهما في الدولة العثمانية^{٣٢٥}، إلا إن الحكومة العثمانية بعد أن رأت مواقفها قامت بأول انفتاح دبلوماسي للحكومة يوم التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩١١، إذ اقترح رئيس وزرائها على الوزير الفرنسي للشؤون الخارجية دي سالف بمبادرة لإعادة السلم عبر حلف بين الدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا وتنظم إليه إيطاليا لاحقاً إذا ما قبلت بالشروط المملة عليها^{٣٢٦}.

³²⁴ العرفاوي، مصدر سابق، ص: ٧٠.

³²⁵ برقية من دولكوردكي إلى نيراتوف ٢٥ - ١٠ في ١٩١١/١١/٧ نقلاً عن ياخيموفيتش، المصدر السابق، ص: ١٠٤.

³²⁶ برقية من ميمبارد إلى دي سالف في ١٩١١/١٠/٢٩ نقلاً عن العرفاوي، المصدر السابق، ص: ٧١.

تغير موقف فرنسا بعد أن تسلم وزير خارجيتها دي سالف مذكرة بقرار إيطالية بضم طرابلس الغرب، فعندها لم يبد أية ملاحظات تجاه هذا القرار، غير أنه اعترف في مذكرة بعث فيها إلى السفير البريطاني في باريس؛ في الثامن من تشرين الثاني ١٩١١، أن إعلان ضم الأراضي الطرابلسية من إيطاليا سيضر بمصادقية اتفاقيتي ١٨٥٦ و١٨٧٨ الضامتين للسلام، وقد أرادت إيطاليا أن تدفع فرنسا إلى موقف مناسب من المرسوم فأعلنت في يوم إقراره، أنه لن يعارض أي اتفاقية بين فرنسا وألمانيا في مراكش، وبذلك عملت على طمأنة فرنسا وإرضائها حول مستقبل أطماعها.

كذلك فرنسا كانت بدورها جل ما يهمها تأمين أطماعها المستقبلية؛ المتجهة نحو بلاد الشام، فهي لا ترغب في أن تتوسع إيطاليا في عملياتها الحربية نحو المضائق وشرق البحر المتوسط^{٣٢٧}.

كانت الأطماع الفرنسية التوسعية واضحة بعد احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ إذ تقدمت ليوسف باشا القرماني في العام نفسه ببعض المطالب التي وافق عليها؛ ومنها أن تكون لها حقوق الدولة الأفضل رعايةً لليبيا والامتناع عن تقوية أسطولها، وغيرها من المطالب...، فمنذ احتلال الجزائر وتونس أولت فرنسا اهتمامًا واضحًا بطرابلس الغرب لضمان سياستها التوسعية الاستعمارية ولتوفير الأمن لوجودها في الجزائر وتونس، ومد نفوذها عبر الصحراء حتى السودان الأوسط، فعملت على تثبيت نفوذها في ولاية طرابلس بإقامة منشآت تصديرية أهمها مدرسة للذكور وأخرى للإناث ومستشفى علاوة على منشآت في بنغازي، وبالطبع كان الهدف من وراء ذلك تبشيريًا تمهيدًا للغزو العسكري، لكن أدرك الإيطاليون عجزهم عن تحقيق مآربهم إذا دام عداؤهم لفرنسا فأعادوا النظر في هذه العلاقة، وقاموا بتقريب وجهات التفاهم مع فرنسا ففي ٢٨ سبتمبر ١٨٩٦، اعترفت إيطاليا باحتلال فرنسا لتونس وتضمنت وثيقة الاعتراف امتيازات قضائية واجتماعية للجالية الإيطالية في تونس، وفي عام ١٩٠٠ عقدت اتفاقية سرية اعترف فيها الإيطاليون بحقوق فرنسا في مراكش مقابل تأييد فرنسا لمخططات إيطالية في طرابلس الغرب؛ وفي عام ١٩٠١ عقد الطرفان اتفاقًا تناول شؤون البحر المتوسط، إذ أصبحت برقة وطرابلس منطقة نفوذ إيطالية مقابل موافقة إيطاليا في إطلاق يد فرنسا في مراكش وعززوا الاتفاق بينهما عام ١٩٠٢،

³²⁷ ياخيمونتش، مصدر سابق، ص: ١٤٥.

بمعاهدات سرية اعترفت فرنسا بحق إيطاليا في فزان أيضًا، و توثقت العلاقة بين الطرفين إذ توجت بزيارة الملك الإيطالي لباريس وزيارة الرئيس الفرنسي لروما عام ١٩٠٤.

وبذلك اعترفت فرنسا اعترافًا علنيًا بوضع إيطاليا في ليبيا بموجب اتفاق أبرم في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٢، مقابل اعتراف إيطاليا بالحماية الفرنسية على مراكش، وأبرمت أيضًا إيطاليا اتفاقًا مماثلًا مع إسبانيا في الرابع من أيار ١٩١٣^{٣٢٨}، لتشرّع بذلك احتلالها لطرابلس الغرب بموافقة غربية.

ثم أبرمت اتفاقية مع فرنسا في ١٢ أيلول ١٩١٩؛ حول الحدود الليبية- التونسية الجزائرية، وحصلت بموجبها على بعض الواحات مثل براك والمنطقة التي تفصل المرتفعات الليبية إلى الغرب من خط غات- غدامس، ونصت الاتفاقية على أن تتمتع المدارس الإيطالية ولاسيما في تونس بالنظام نفسه الذي تتمتع به المدارس الفرنسية هناك^{٣٢٩}.

³²⁸ Miega(1964), p: 90-97.

³²⁹ Miega (1964), p120, et346-347.

1-4 - موقف ألمانيا

شعرت ألمانيا بموقفها الدقيق والحرص بعد انقضاء حليفها إيطاليا على طرابلس الغرب عام ١٩١١، عقب ابتلاع النمسا وهي حليفها أيضًا للبوسنة والهرسك عام ١٩٠٨، وهذا أدى إلى تدمير الدوائر السياسية العثمانية وجعلها تعتقد أن ألمانيا تتظاهر بالعطف عليها، وتطلق لحلفائها العنان لابتلاع الأراضي العثمانية والاعتداء على حرمتها، ولذلك حاولت ألمانيا منع إيطاليا من الاسترسال في مطامعها حتى كاد بعضهم يؤكد أن الانقضاء على طرابلس الغرب كان من دون علم ألمانيا والنمسا - المجر؛ لأن النمسا أرادت حينها اجتياح الحدود الإيطالية لولا خشية ألمانيا أن يؤدي ذلك إلى تمزق الحلف الثلاثي^{٣٣٠}، ولذلك فرضت وضعية ألمانيا عليها ألا تأخذ موقفًا من الصراع بين حليفها إيطاليا وصديقتها الدولة العثمانية في الوهلة الأولى، إذ كانت تتمنى أن تقود المتخاصمين بسرعة نحو التسوية، بهدف الحفاظ على مصالح ألمانيا ولذلك أخذ الممثلون الدبلوماسيون على عاتقهم عن طيب خاطر مهمة التوسط؛ لاستيضاح إمكانية تسوية النزاع فيما بعد، أملًا منهم في أنهم بذلك يستطيعون الاحتفاظ بعلاقاتهم الودية الحاكمة في بلدان الوفاق الودي التي كان يهمها ألا تسمح بتقوية نفوذ ألمانيا السياسي لا في إيطاليا ولا في الدولة العثمانية، فقررت الحكومة الألمانية وضع حد للأزمة وذلك بقيامها بوساطة لدى الطرفين، فمنذ الثالث من تشرين الأول ١٩١١ بدأت محاولات ألمانيا لجر الدولة العثمانية بقبولها التخلي عن طرابلس وبرقة، وذلك لأن الأزمة لن تنتهي إلا باتفاق ينص على التخلي النهائي عن طرابلس الغرب من طرف العثمانيين، وذكر السفير الألماني من جهة أخرى أن الدولة العثمانية لم توقع أبدًا على أية وثيقة تعترف بها أن الجزائر وتونس أملاك فرنسية، واعترف أن الحكومة العثمانية يجب عليها أن تضحى بطرابلس الغرب، ذلك أن التضحية المادية بالنسبة إلى العثمانيين ليست ذات أهمية، وأن هذا التخلي لن يكون كاملاً إلا إذا ما وجد الطرفان بإعانة ألمانيا صيغة تمكن إيطاليا من احتلال طرابلس عسكريًا باسم السلطان والإبقاء على سيادته^{٣٣١}.

³³⁰ مذكرات لورد غراي ، ص: ٨١.

³³¹ D.D.F. , Op. Cit. P: 597

أرادت ألمانيا بذلك التوسط بين الطرفين وتسوية الخلاف ولاسيما أن الدولة العثمانية حليفها وإيطاليا صديقتها، فعملت على حفظ ماء وجه السلطان بإبقاءه اسمياً وبالتالي تكون قد وجدت صيغة تفاهم للطرفين فإيطاليا ترغب في السيطرة العسكرية والدولة العثمانية تحتفظ بالحكم الشكلي، وبذلك تكون مساندة للطرفين فلم تقف مع طرف ضد الآخر لكن في النهاية مساعياها باءت بالفشل.

علم السفير الألماني بروما (يوجوف) من ناحية سان جوليانو أن الحكومة العثمانية مستعدة لتقديم أسس جديدة تسمح ببدء المفاوضات؛ غايتها مناقشة المصالح الإيطالية بالاعتراف باتفاق إذا ما كانت المطالب الإيطالية مناسبة للوضع مع التحفظ الصريح بالإبقاء على حقوق السيادة العثمانية، فقامت ألمانيا بمحاولة دبلوماسية جديدة لدى إيطاليا داعية إياها لاتخاذ موقف أكثر مصالحة تجاه الدولة العثمانية، لأن هذه الأخيرة قد تتجه كلياً إلى بريطانيا، إذ تقنع لندن الباب العالي من دون عناء شديد أن ألمانيا ليست صديقتها الحقيقية وأنها ترمي إلى المحافظة على مصالح حليفها إيطاليا أكثر من أي شيء آخر، وقد تتجدد مخاوف ألمانيا في أن ترى بريطانيا تضمن وقوف الدولة العثمانية إلى جانبها، وقد عبر نائب وزير الخارجية الألماني عن ذلك في أثناء حديث له مع القائم بالأعمال الإيطالية في برلين، ولاحظ أن آمال الدولة العثمانية كلها متجهة إلى بريطانيا، وأنه يشعر أن بريطانيا لكي تستعيد الدور الأكبر الذي فقدته في استانبول ستكون قادرة على إجبارنا على قبول سيادة السلطان العليا، وفرض السلم على هذا الأساس، فكانت المخاوف الألمانية حقيقية، إلا أن الباب العالي وليس الحكومة البريطانية هو الذي قام بالخطوات الأولى من أجل التقرب من بريطانيا وقوى الوفاق^{٣٣٢}

وفي هذا المجال واصلت ألمانيا ممارسة ضغطها على الحكومة الإيطالية لتقبل بالسيادة الاسمية للسلطان، وقد تحولت شكوكها من بريطانيا إلى روسيا، وازداد خوفها من أن تغتتم روسيا الفرصة لتحل مسألة المضائق لمصلحتها، إذ إن ألمانيا لم تكن على استعداد لتأييد مطالب روسيا حتى لا تعكر صفو العلاقات الطيبة السائدة بينها وبين الدولة العثمانية منذ أكثر من عشرين عاماً وقد أبدى البارون مارشال غضبه للسفير الفرنسي في أثناء حديثه معه يوم ٢٣ تشرين الأول ١٩١١، وأبدى أيضاً غضبه في اليوم نفسه في أثناء حديثه إلى دي سالف

³³² العرفاوي، مصدر السابق، ص: ٧١.

السفير الألماني الذي يؤكد معارضته بأن تكون إيطاليا سبباً في إقامة اضطرابات بأوروبا، ويرى أنه على القوى الأوروبية ألا تسمح بوضع السلم العام موضع الخطر^{٣٣٣}

وفي الاتجاه نفسه امتنعت ألمانيا كحليفها النمسا - المجر عن إصدار أي بيان علني حول مرسوم الضم، في الوهلة الأولى ولم ترتض ألمانيا التغير في موقف الحكومة الإيطالية المفاجئ بقرار الضم، وقد عدّ سفير ألمانيا بروما (جاتو) الحكومة الإيطالية أخطأت ولم تتعقل في مسألة الضم، ولا سيما أن هم ألمانيا الوحيد هو السعي وراء مصالحها؛ بالتمسك بالحلف الثلاثي، في وقت كانت تشعر فيه بالقوة المتنامية لإنجلترا وفرنسا فضلاً عن خوف إيطاليا في الحلف الثلاثي، وسينتهي بالضرورة بانضمامها إلى دول الوفاق، وهو ما لا ترغب به الحكومة العثمانية، وهنا تطلعت ألمانيا للقيام بدور إيجابي من أجل عقد الصلح بين إيطاليا والدولة العثمانية وذلك لبقاء تأمين تماسك الحلف الثلاثي من جهة، وتأكيد مكانتها لدى حكومة استانبول من جهة أخرى^{٣٣٤}.

³³³ D.D.F. Op. Cit. P: 691.

³³⁴ البوري، مصدر سابق، ص: ١٨٧.

1-5- موقف روسيا

حاولت روسيا في تشرين الأول ١٩١١ وتشيرين الثاني من العام نفسه، عقد معاهدة مع الدولة العثمانية تضمن بمقتضاها المحافظة على أملاك الدولة العثمانية، وعلى الوضع السائد في البلقان مقابل أن تعطيها الدولة العثمانية تعهداً بالسماح للسفن الحربية الروسية بالمرور عبر الدردنيل والبوسفور، إلا أن الدولة العثمانية رفضت قبول الطلب الروسي، وأصررت على عدم السماح للسفن الحربية الروسية بالمرور عبر المضائق، وطلب سعيد باشا أوجك توسط الحكومة الروسية، وقدم اقتراحاً مسبقاً لأية مفاوضات سلمية مع إيطاليا في ثلاث نقاط^{٣٣٥}، 1- سيادة السلطان على منطقة طرابلس وبرقة. 2 - وجود تكتة عثمانية هناك 3 - التأكيد على الحقوق ولاسيما الحقوق الإيطالية.

ردت الحكومة الروسية على طلب الحكومة العثمانية للتدخل لدى إيطاليا عن طريق وزير خارجيتها، الذي أوضح للسفير العثماني في بطرسبورغ أن أي تدخل لدى إيطاليا و تريده الدولة العثمانية مصيره الفشل، لأن الأساس الوحيد الممكن لحل سلمي هو احتلال طرابلس من طرف إيطاليا، وهذا ما لا تقبله الحكومة العثمانية وفق ما يبدو، وأكد له أن روسيا ستسرع فيما يتعلق بالإجراءات الواجب اتخاذها؛ لتحاشي انفجار الوضع في شبه جزيرة البلقان، ويجدر الإشارة إلى أن بريطانيا وقفت موقفاً سلبياً معارضاً من طلب روسيا بمرور السفن الحربية الروسية عبر الدردنيل والبوسفور، إذ إنها لم تكن مستعدة لدعم روسيا في محاولة عقد اتفاقية بين روسيا والدولة العثمانية، فقد أخبر اللورد كريستوفر روس في لندن أن بريطانيا لا يمكن أن توافق على مرور السفن Dorve دورف الحربية، في وقت الحرب عبر المضائق وإن أمكن قبول مرورها في حالة السلم، وقد جاء موقف بريطانيا هذا عندما ساءت العلاقات البريطانية - الروسية، في تلك المدة في بلاد فارس^{٣٣٦}، وعلى الصعيد الدبلوماسي فقد قامت الحكومة الروسية؛ بعد أن أخذت موافقة بريطانيا وفرنسا عن طريق سفيرها في روما (دولكوردكي) بإخبار وزير الخارجية الإيطالي (سان جوليانو) عن استعداد روسيا من أجل إنهاء الحرب العثمانية - الإيطالية، وقد أجاب سان جوليانو على ذلك في الأول من تشرين الأول أن السفير الألماني سبق أن اقترح عليه قبول

³³⁵ James, Mcmillan (t. d). **Dryfus to Degualle. political and society in France**. Paris. P: 590.

³³⁶ الدسوقي، مرجع سابق، ص: ٣٢٧.

مساعي ألمانيا الحميدة، فقبل الاقتراح و أبدى رغبته في الوقت نفسه على أن تقوم دول الوفاق الودي بقبول الاقتراح، وكذلك الضغط على الدولة العثمانية للإسراع في عقد الصلح^{٣٣٧}

أما بعد إصرار إيطاليا على القرار الذي أعلنته بضم طرابلس فرأى الدبلوماسيون الروس، أنه كان من الأنسب لو أن مرسوم الضم أعلن بعد التوصل إلى اتفاقية بين الجهتين المتحاربتين وحظي باستحسان الدول الأوروبية^{٣٣٨}

هنا تحركت الحكومة الروسية بعد أن أخذت موافقة الحكومتين الفرنسية والإنجليزية عن طريق (تشاريكوف) السفير الروسي في روما، ولا شك أن الحكومة القيصرية وضعت نصب أعينها تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى، التي تتعلق بمطليبين؛ الأول نظام المضائق العثمانية وفتحها أمام السفن الروسية؛ والثاني زيادة النفوذ الروسي في البلقان.

ومن ناحية أخرى شعرت ألمانيا والنمسا والمجر أن التقارب العثماني - الروسي؛ سوف يضيع مكانتهما داخل استانبول ويزيد من النفوذ الروسي لذلك بدأت ردود سلبية تجاه روسيا واقتراحاتها، ولا سيما أن موقف الحكومة الروسية أصبح مؤيداً لوجهتي النظر الإنجليزية - الفرنسية، التي ترى ضرورة تكتيل الجهود لعقد الصلح؛ وهو موقف وديّ تجاه إيطاليا^{٣٣٩}.

وحقيقة الأمر أن إيطاليا أرادت كسب ود روسيا القيصرية والوصول معها إلى اتفاق تسمح لها من خلاله باحتلال طرابلس الغرب، لكن روسيا كانت تشجع بقاء الدولة العثمانية والحفاظ على أملاكها، لاستمرار مرور سفنها عبر البوسفور والدردينيل، لكن تغير الوضع القائم بعد حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ فوافقت روسيا على احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب مقابل السماح لها بمرور سفنها عبر البوسفور والدردينيل وهذا ما حصل بالفعل.

³³⁷ برقية من دولكوردآي إلى نيراتوف ٣٠-٩ في ١٣/١٠/١٩١١ نقلاً عن ياخيموفتش (١٩٧٠)، ص: ١٠٢.

³³⁸ رسالة من دولكوردآي إلى نيراتوف ٢٢ - ١٠ في ٤/١١/١٩١١، نقلاً عن ياخيموفتش، المصدر السابق، ص: ١٠٦.

³³⁹ ياخيمونتش، مصدر سابق، ص: ١٠٦.

6-1- موقف النمسا والمجر

كان موقف النمسا والمجر حازماً جداً، لإرغام الحكومة الإيطالية بالتخلي عن أي نشاط على السواحل العثمانية بالأدرىاتيكي، وكان هذا الموقف موقف تقدير للحكومة العثمانية، وقد كانت النمسا الدولة الوحيدة التي قبلت التدخل لدى الحكومة الإيطالية، إذ أوضحت لها بواسطة سفيرها بروما أنّ الحل الوحيد للمشكلة كان بالإمكان الوصول إليه هو الإبقاء على السيادة الاسمية للسلطان، وكان رد سان جوليانو سلبياً لأنه يرى أن الاقتراح العثماني ما هو إلا إحدى حيل الباب العالي المعتادة، ومن ثمّ يجب ألا يؤخذ بجدية من طرف الحكومة الإيطالية؛ التي لا يمكنها أن ترضى بحلول المدى المتوسط، لأن هدفها هو حل مشكلة ليبيا على نحو يزيل قضية دائمة، وليس فقط صدامات بين إيطاليا والدولة العثمانية والأكثر من هذا هو إزالة تعقيدات دولية، وختم وزير الخارجية الإيطالي قوله إنه لا يمكن لإيطاليا أن تتفاوض حول ذلك قبل أن تنتهي احتلال طرابلس الغرب³⁴⁰.

أثار موقف النمسا - المجر من حوادث بريغيزا قلقاً شديداً وخيبة أمل في الدوائر الإيطالية الحاكمة، فطلب سان جوليانو من برلين التأثير في حكومة فينا، مشيراً إلى أن لهجة التهديد التي اتبعتها إيرنتال تضر بالحلف الثلاثي، وتشجع الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه طلبت إيطاليا من ألمانيا المساعدة لعقد الصلح بسرعة مع الدولة العثمانية، وأبدت موافقتها على احتفاظ السلطان بسيادته الاسمية على طرابلس وبرقة، واستعداده لدفع تعويض مالي للدولة العثمانية، مقابل تخليها عن حقوقها في تلك المناطق، فتوجهت النمسا - المجر بعلم من ألمانيا إلى دول الوفاق بعد أن رأت أن محاولة التوسط ستفش، فاقترحت عليها القيام بخطوات مشتركة في استانبول بهدف التوصل إلى إيقاف الحرب، وقد رأى الكونت أهرنتال أن الفرصة سانحة لتتفق كل القوى التي ضمنت وحدة كيان الدولة العثمانية، وفق اتفاقيتي عام ١٨٥٦ و ١٨٧٨ للوصول إلى حل مشكلة طرابلس الغرب

³⁴⁰العرفاوي ، مصدر سابق ، ص: ٥٤.

مع معارضة ألمانيا لذلك^{٣٤١} ، وقد رفضت دول الوفاق هذا الاقتراح لأنهم أرادوا إلقاء مسؤولية المحادثات على عاتق حلفاء إيطاليا^{٣٤٢}

نظرًا إلى موقف النمسا المعارض تجاه إيطاليا، فقد طلب سان جوليانو من الحكومة الألمانية بواسطة السفير الإيطالي في برلين أن يتدخل لدى الحكومة النمساوية لتتفهم موقف إيطاليا، بيد أن هذه المحاولة لم يكن لها أي تأثير، فقد بقيت النمسا معارضة لأي استعراض للقوة، ولأي عمل وإن كان للمراقبة في المياه الإقليمية الألبانية، وقد سارع جوليانو إلى إعطاء تضمينات إلى أهرنتال لأنه كان يراهن على حياد النمسا^{٣٤٣}

لقد امتنعت النمسا والمجر شأنها شأن بقية الدول عن إصدار أي بيان علني حول مرسوم الضم، الذي أصدرته إيطاليا بحق طرابلس الغرب، ولكنها لم تلبث أن عبرت لحليقتها بالوسائل الدبلوماسية عن استيائها من التسرع بإصداره، وأكدت أن إجراء كهذا يمكن أن يزيد من تعقيدات علاقات الدولة العثمانية مع الحلف الثلاثي، ولن يساعد على تسوية النزاع العسكري بسرعة، لقد كانت أول الدول التي لبت طلب الإمبراطورية العثمانية، لسببين أولهما خشيتها من اتساع العمليات الحربية الإيطالية وانتقالها إلى بحر إيجة والإدرياتيكي وربما إلى البلقان ما يهدد المصالح النمساوية، ثانيها أخذ زمام المبادرة من دول الوفاق ومن روسيا؛ التي بدأت استعدادها للقيام بهذا العمل^{٣٤٤}، على حين كانت النمسا والمجر تخشى من تهديد مصالحها في البلقان من جراء العمل الإيطالي، فاحتجت عليها بنص المادة السابعة من معاهدة الحلف الثلاثي وتصريحات وتعهدات ساسة إيطاليا بحصر العمليات الحربية في طرابلس^{٣٤٥}، وفي الوقت نفسه حافظت النمسا على قناع الصداقة مع إيطاليا، مع أنها كانت ترى أنها كلما واجهت إيطاليا صعوبة في الاستيلاء على مناطق إفريقية؛ وكلما فقدت طاقة أكثر في المتوسط وضعفت أعمالها في الإدرياتيكي تعززت مكاسب النمسا^{٣٤٦}.

³⁴¹ D.D.F: Ser, Op, Cit, P: 105.

³⁴² برقية من دولكوركي إلى نيراتف ، ٣ - ٩ في ١٣/١٠/١٩١١ نقلًا عن ياخيموفيتش، المصدر السابق، ص: ١٠٣.

³⁴³ العرفاوي، المصدر السابق، ص: ٧٧.

³⁴⁴ البوري، مصدر سابق، ص: ١٧٧.

³⁴⁵ التليسي، محمد خليفة. (١٩٨٠). معارك الجهاد في ليبيا. المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع. ص: ٩٧.

³⁴⁶ D.D.F. ser, op, cit, p: 17-18.

2- موقف الدولة العثمانية من احتلال إيطاليا لليبيا

استغنت الدولة العثمانية عن موقف الشجب والاستنكار والاحتجاج لدى ممثلي الدول الكبرى فقد كان واضحاً عجز الدولة العثمانية عن تقديم المساعدة ومد يد العون لليبيا، أو إرسال إمدادات عسكرية إليها؛ وذلك بسبب الوضع العسكري الضعيف الذي تعيشه أمام قوة الموقف العسكري الإيطالي، ومع الموقف العثماني هذا إلا أنه بقيت عدّة معسكرات عثمانية على الأراضي الليبية، وعلى أثر القرار الإيطالي الصادر بضم ليبيا، بدأت تتوافد قوافل المتطوعين من شيوخ القبائل الليبية وأبنائها على هذه المعسكرات لقتال الطليان، وإخراجهم من البلاد^{٣٤٧}.

في بداية أغسطس ١٩١١ قامت الحكومة بتسريح ما يقارب ٤٨٠ شخصاً من الخدمة في ولاية طرابلس وما يقارب ٢٠٠ من برقة بعد أن أدوا خدمة ثلاثة أشهر؛ فكان هذا السبب الرئيس في فشل الجيش العثماني أمام إيطاليا، وعجزه عن مواجهتها^{٣٤٨}، وهذا دليل على استسلام الدولة العثمانية وعجزها عن مقاومة الاحتلال الإيطالي، إضافة لاتخاذها قرارات غير صائبة بوقت غير مناسب.

تمكن الإيطاليون من التأثير على حقي بك السفير العثماني في روما؛ ليتوسط لدى الدولة العثمانية من أجل التساهل مع بنك دي روما في شراء الأراضي، فوقف بعض الولاة مثل حافظ محمد في وجه شراء الأجانب للأراضي الليبية، وكذلك واجه البعض من الولاة النفوذ الأجنبي والخطر الاستعماري أمثال (رجب باشا^{٣٤٩}) الذي كان والياً عثمانياً في طرابلس الغرب، وكان يتظاهر أن سياسته تقوم على أمرين؛ أحدهما مقاومة الأطماع الإيطالية والثاني نشر التعليم، ولذلك عارض تأسيس فرع لبنك دي روما في طرابلس^{٣٥٠}، ولكن حقيقة الأمر أن سياسته كانت تقوم على معارضة السياسة الإيطالية شكلياً فقط، لكنه في الحقيقة كان يخدم هذه السياسة

³⁴⁷ راشد، مرجع سابق، ص: ٤٢.

³⁴⁸ كورو، مصدر سابق، ص: ١٣٤-١٣٥.

³⁴⁹ رجب باشا والي عثماني في طرابلس الغرب بين ١٩٠٦ إلى ١٩٠٨ الذي سمح لبنك دي روما بشراء عدد من الأراضي التي حولوها إلى بساتين يستثمرها المستعمر متى شاء و إنه أنشأ سوق أطلق عليه سوق المشير للمزيد: الصادق شكري ، ليبيا وطننا ، مقال منشور على الشبكة الدولية الانترنت، متوفرة تحت الرابط

الاستعمارية، ثم جاء بعده عدّد من الولاة الذين تظاهروا أنهم ضد السياسة الإيطالية لكنهم حقيقة الأمر كانوا يخدمون تلك السياسة ويؤيدوها وهذا دليل كبير على تواطؤ الدولة العثمانية، إضافة لذلك أصبح لهم أنصار من الموظفين في التلغراف والبريد، وشجعوا على تأسيس شركة فوسفات إيطالية، تفسح المجال للتدخل الإيطالي في شؤون البلاد، أصبحت البلاد تعم بالفوضى، بسبب سياسة هؤلاء الولاة الضعفاء، وإهمالهم في نواحي الحياة كافة³⁵¹، حتى جاء أدهم باشا عام ١٩٠٩، فوقف ضد السياسة الإيطالية وحاول القيام بإجراءات إصلاحية في نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة في ولاية طرابلس الغرب، وقام من الناحية العسكرية بعدّد من الإصلاحات منها فرض الجندية على الطرابلسيين، وتحصين الحدود الغربية، ووضع خرائط للمناطق الصالحة لتحشد الجند، وأكد وجوب إرسال كمية من السلاح إلى الولاية، مع تأسيس معمل للسلاح هناك، ولكن هذه الإصلاحات لم ترق لذوي المصالح ولاسيما الذين كان لهم دور في عزله من الولاية³⁵²، وكان من أهم أسباب سقوط طرابلس الغرب بيد الإيطاليين، قلة عدّد الجنود الذين يمتلكون القدرة على المقاومة؛ إذ أرسل العثمانيون أعدادًا منهم للقضاء على ثورة اليمن، ولم يبق من أحد ينوب عنهم، فضلًا عن إهمال تجنيد الطرابلسيون، إذ أرسلت لجنة لتجنيدهم ولكن لم يدخل في التجنيد إلا القليل، وكذلك فقد عملت السلطات العثمانية على إخلاء البلاد من السلاح، إذ إنها سحبت الأسلحة من أجل استبدالها بأخرى جديدة ولكنها لم تستبدلها أو تأت بغيرها، وعملت السلطات العثمانية على إخراج الضباط من ولاية طرابلس الغرب ولاسيما العرب منهم، الذين كانوا يعرفون البلاد واللغة العربية التي يتحدث بها سكانها، وفضلًا عن كل ذلك المجاعة والقحط التي عانى منها الشعب الليبي ولاسيما قبل الغزو الإيطالي لها³⁵³، وبعدّ عزل أدهم باشا لم يحل وإل محله لعدّة شهور، ووُضعت البلاد تحت إدارة ضعيفة، وكان ذلك سبب في سقوط طرابلس الغرب³⁵⁴، فضلًا عن وجود بعض اليهود في مجلس المبعوثان العثماني الذين كان عدّد منهم ينتمي إلى جمعية الاتحاد والترقي، فأدوا دورًا بارزًا في

³⁵¹ الزليتنى، ميلاد محمد. (د. ت). موقف السلطات الحاكمة في ليبيا من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين. ع ١. جامعة مصراته.

مجلة كلية الآداب. ص: ٦٧

³⁵² الزاوي، مرجع سابق. (١٩٧٠)، ص: ٣٧-٣٩.

³⁵³ عبد الرحمن، مرجع سابق. (١٩٨١)، ص: ٥٦.

³⁵⁴ حقي باشا دبلوماسي عثماني وعضو جمعية الاتحاد والترقي، عين بمنصب سفير الدولة العثمانية في روما وأصبح أكبر المدافعين عن أنشطة بنك دي روما في ليبيا، وإنه توسط لدى حكومتها من أجل السماح للبنك بشراء الأراضي المختلفة في ليبيا.

احتلال إيطاليا لليبيا، إذ إنهم ساعدوا على تحقيق أطماع إيطاليا في ليبيا؛ ولاسيما أنهم كانوا من المرابطين المشاركين في بنك دي روما وممن كان لهم دور بارز في التمهيد لغزو البلاد^{٣٥٥}، و كان أيضًا للطلاب اليهود الذين تخرجوا في المدارس الإيطالية دور كبير في التغلغل الإيطالي في ليبيا إذ إنهم عملوا وسطاء لتجارتها هناك حتى إنهم قاموا بنشر اللغة الإيطالية بين السكان الليبيين، وفي أثناء الغزو عمل اليهود كإدلاء للقوات الإيطالية وجواسيس لهم ضد المقاومة الوطنية^{٣٥٦}، وعندما علمت الدولة العثمانية أن طرابلس مهددة من الإيطاليين بالاحتلال، أرسلت باخرة محملة بالسلاح والعتاد الحربي، وقد وصلت إلى ميناء طرابلس في ٢٧ أيلول / سبتمبر ١٩١١، من دون رصدها من الأسطول الإيطالي المرابط على الشواطئ الليبية^{٣٥٧}، و مع كل ذلك اتخذت إيطاليا قرارها باحتلال ليبيا؛ وبعدما لقيت ضعف الرد العثماني فأعلنت الحرب عليها، وما إن اندلعت الحرب بين الطرفين حتى أعلنت الدول الأوروبية حيادها، فسارعت حكومة استانبول تطلب منها التدخل لإيقاف الحرب وحل النزاع^{٣٥٨}، لكن من دون جدوى، لأنهم فعلياً كانوا موافقين على منح طرابلس الغرب لإيطاليا من مؤتمر برلين عام ١٨٧٨^{٣٥٩}، الذي كان لهذا المؤتمر أثاره السيئة في معنويات المجاهدين الليبيين بسبب سحب القوات العثمانية منها وتخليها عنها، وهذا أدى بالدول الأوروبية للاعتراف بالاحتلال الإيطالي لليبيا^{٣٦٠}، ولكن المجاهدين العرب الليبيين استمروا في مقاومة الاحتلال الإيطالي لها، إلا أن الحكومة العثمانية لم تبد اعتراضاً مباشراً لا على الغزو ولا على عقد المؤتمر الأوروبي، ولكن كان لها بعض التحفظات على بعض النقاط الواردة في المؤتمر؛ وفي الاقتراح الفرنسي عن خوفها من أن تفرض صلحاً مجحفاً^{٣٦١}.

بعد تناول موضوع الموقف العثماني من الاحتلال الإيطالي لليبيا، يلحظ أن ضعف الدولة العثمانية، وانعدام نفوذها على القبائل في ليبيا، وتعاون بعض موظفيها المحليين مع إيطاليا، إضافة لقيامها بسحب الضباط الأكفيا من الولاية وكذلك الأسلحة من دون تعويضها، وضعف حاميتها كل هذا يندرج تحت مسمى التقاعس

³⁵⁵ اتلخان، جواد رفعت (٢٠١١). أسرار الماسونية. ترجمة نور الدين رضا- سليمان القابلي. الدوحة. ص: ٦٣ - ٦٤.

³⁵⁶ ١٢-١١ الشافعي، محمد علي. (١٩٣٣). طرابلس الغرب وبرقة في برائن الاستعمار. دار المستقبل. ص:.

³⁵⁷ داهش، محمد علي. (١٩٨٨). عمر المختار وحركة المقاومة المسلحة في ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي. العراق. ص: ١٦-١٧.

³⁵⁸ B.D, op, cit, p: 294 - Grey, op, cit, p: 260.

³⁵⁹ بك، محمد فريد. (١٨٩٦). تاريخ الدولة العليا العثمانية. ط٢. مصر. ص: ٣٩٥ - ٤٠٣.

³⁶⁰ عطا، شوقي. (١٩٧٧). المغرب العربي الكبير في العصر الحديث. القاهرة. ص: ٣٧٧ - ٣٧٨.

³⁶¹ Bombard, (1912), p: 63.

العثماني عن حماية ليبيا وهو ما أدى بدوره إلى الاحتلال الإيطالي لليبيا، إضافة لذلك معاناة السكان من التعسف العثماني واضطراب الأمن ولاسيما في البوادي وكذلك القحط والمجاعات، إضافة لذلك لا يجوز إغفال دور اليهود بمجلس المبعوثان الذين ساعدوا إيطاليا ودعموها ولاسيما المشاركين منهم في بنك دي روما، فكان دورهم سلبي للغاية حيث عملوا كإدلاء وجواسيس للإيطاليين .

3- المواقف العربية من احتلال إيطاليا لليبيا:

3-1- ردود فعل الشعب الليبي:

أدت تطورات الأحداث في ولايتي طرابلس وبرقة إلى اعتراف إيطاليا بالأمر الواقع، ففي طرابلس أعلنت الجمهورية في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨، وتشكلت حكومة من الشيخ سليمان الباروني ورمضان السويحي وأحمد المريض وعبد النبي بلخير، وتأسف مجلس للشورى من خمسة وعشرين عضوًا، فطلبت حكومة طرابلس من الدول الكبرى (الولايات المتحدة - فرنسا - بريطانيا - إيطاليا)، الاعتراف بها وعرضت على إيطاليا التفاوض حول مستقبل العلاقات الطرابلسية- الإيطالية، غير أن إيطاليا رفضت ذلك وأرسلت جيشًا لإعادة احتلال البلاد، فكانت ردة الفعل الطرابلسية مقاومة وطنية عنيفة أجبرت الحكومة الإيطالية على التفاوض في آذار ١٩١٩، وتوقيع صلح في الأول من حزيران ١٩١٩، وأسفر هذا الصلح عن إصدار القانون الأساسي الطرابلسي في اليوم نفسه، الذي تضمن إقامة حكومة وطنية طرابلسية في إطار السيادة الإيطالية وهو ما اصطلح عليه بالإدارة غير المباشرة للبلاد، و نص على احترام الحقوق المدنية والسياسة والحريات الفردية والعامّة للسكان، والمساواة بينهم في الضرائب، ونص على التدريس باللغة العربية والإيطالية في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية وبالإيطالية فيما بعد، وتشكل مجلس نيابي محلي منتخب يضم بعض الأعضاء المعنيين بحكم مناصبهم، وتتنحصر مهمته في إقرار الضرائب وتوزيعها^{٣٦٢}.

أما في برقة فقد ساد الهدوء نتيجة لإبرام اتفاقية عكرمة مع الزعيم السنوسي في نيسان ١٩١٧، وانسجامًا مع السياسة الإيطالية في طرابلس، منحت برقة دستورًا مماثلًا لدستور طرابلس في ٣١ تشرين الأول ١٩١٩، نص على تعيين والٍ إيطالي يدير الشؤون المدنية والعسكرية في البلاد، وتشكيل مجلس نيابي محلي يمثل القبائل البدوية والحضر، ويضم أيضًا عددًا من الأعضاء بحكم وظائفهم في الإدارة، وكفل هذا الدستور أيضًا حرية العبادة والملكية الفردية وحرية النشر وإنشاء المدارس واحترام اللغة العربية^{٣٦٣}.

³⁶² Majid Khadduri(1963).Modern Libya: A study of political development Baltimore, p: 21.

³⁶³ زيادة، نيقولا. (١٩٥٨). محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار إلى الاستقلال. القاهرة. معهد الدراسات. ص: ٩١-٩٢.

حاولت إيطاليا مع استمرار زعماء المقاومة بتحركاتهم الوطنية؛ التوصل إلى حل وسط معهم يسمح لهم في المناطق الغربية؛ بالبدء في برنامج (جمهورية طرابلس) وإنشاء ولاية ذاتية الحكم في المناطق الداخلية، على أن تترك المناطق الساحلية جميعها في أيدي الإيطاليين^{٣٦٤}، لكن الزعماء الوطنيين رفضوا تلك المقترحات التي تقضي بتسليم أراضيهم للقوات الإيطالية، وأصرروا على مواصلة الجهاد حتى إخراج القوات الأجنبية كافة من أنحاء ليبيا جميعها، وفي أواخر عام ١٩٢٢ بعدّ سفر محمد إدريس السنوسي^{٣٦٥} إلى مصر للعلاج؛ استلم عمر المختار حركة المقاومة الشعبية في برقة، وفي ذلك العام تولّى الحزب الفاشي السلطة في إيطاليا وقرر إخماد المقاومة الليبية بكل وسائل العنف و أنواع الإرهاب المختلفة^{٣٦٦}

مع الإمكانيات المتواضعة، ومع أن الشعب الليبي أخذ على حين غرة، ولم يتوفر لديهم السلاح والعتاد ووسائل النقل الكافية، إلا أنهم أظهروا مقاومة شعبية عنيفة كلفت الإيطاليين ١٤ مليار فرنك وربع مليون مقاتل في أثناء سنوات الجهاد، خاضوا في أثناءها معارك عدّة أهمها بومليانة وعين زاره وبيرطيراس^{٣٦٧}.

³⁶⁴ أكس، محمد عاشور. (١٩٨٥). لمحات تاريخية عن النضال الليبي ضد الأسيان وفرسان مالطا الأمريكان الطليان. ليبيا

المنشأة العامة للنشر والتوزيع. ص: ١٥٩.

³⁶⁵ أول ملك لليبيا بعدّ الاستقلال، ولد عام ١٨٩٠ في زاوية الجغبوب بمنطقة الجبل الأخضر ببرقة، أبوه القائم على أمر الحركة

السنوسية، بأول زيارة خارجية لمصر عام ١٩١٤؛ وبعدّ عودته تولّى إمارة الحركة السنوسية عام ١٩١٦

للمزيد: الصلابي، مرجع سابق، ص: ١٤-٧٥.

³⁶⁶ راشد، مرجع سابق، ص: ٤٨.

³⁶⁷ السنيطي، محمد. (١٩٥١). قضية ليبيا. القاهرة مكتبة النهضة المصرية. ص: ١٨.

3-2- الموقف المصري:

كانت إنجلترا تحتل منطقة قناة السويس في أكتوبر عام ١٩١٤، وقد أضفت الصبغة القانونية لهذا الاحتلال بدخول الدولة العثمانية الحرب ضد دول الائتلاف في ١١ نوفمبر ١٩١٤، وفي ١٨ ديسمبر ١٩١٤ أعلنت وزارة الخارجية الإنجليزية انفصال مصر عن الدولة العثمانية ودخولها تحت الحماية الإنجليزية، وأدى ذلك إلى تعميق استياء السكان من السلطات الحاكمة^{٣٦٨}.

وكانت هناك خطة ألمانية-عثمانية أيضاً تتضمن مهاجمة مصر من الشرق عبر قناة السويس، وكان المتوقع أن تبدأ الدولة العثمانية وإلى جانب ذلك عمليات قتالية على الجهة الغربية لإثارة نشاط السنوسيين ضد الإنجليز^{٣٦٩}.

انتهت المفاوضات القائمة بين الحكومتين الإيطالية والمصرية حول مسألة الحدود، بإبرام اتفاق القاهرة في ٦ كانون الأول ١٩٢٥؛ الذي نصّ على تنازل مصر عن واحة الجنوب، بوصفها قاعدة للحركة السنوسية مقابل منح مصر خليج السليم، ومنطقة الرملة التي كانت تابعة لولاية برقة وبذلك أمكن لإيطاليا ضرب الحركة السنوسية، التي تولّت قيادة حركة المقاومة الوطنية البروقية منذ الاحتلال الإيطالي للبلاد^{٣٧٠}.

كان لمصر أهمية كبرى تفوق أي قطر عربي أو إسلامي، في الصراع الإيطالي-العثماني بليبيا، وذلك لأسباب عدّة أهمها؛ أن مصر تحت السيادة الاسمية للإمبراطورية العثمانية، وأنها في الوقت نفسه تحت السيطرة البريطانية الفعلية، فضلاً عن أنها مجاورة للقطر الليبي، وهناك حدود بين مصر وليبيا لذلك لا بد من ظهور قضايا ومشكلات، ولهذا كان لها موقف معين تجاه الحرب الإيطالية-العثمانية، وكان الموقف هو الحياد وفق اتفاق إيطالي-بريطاني.

فتحت أبوابها للقادة الوطنيين، فلجأ إليها السنوسيون عندما ضيق عليهم الطليان الخناق في ليبيا، فباتت أراضي مصر الغربية مركزاً للمقاومة الليبية الوطنية؛ حيث يقيمون معسكرات تدريب لشبابهم استعداداً لتحرير

³⁶⁸ بروشين، نيكولاي. (١٩٨٨). تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين. ترجمة عماد حاتم. ليبيا

ص: ١٣٧.

³⁶⁹ المصدر نفسه، ص: ١٣٨.

³⁷⁰ وقع هذه الاتفاقية أحمد زيور، رئيس وزراء مصر، ووزير إيطاليا المفوض في القاهرة نجريتو كامبياس، البرقية ٧٢ في ٣٠ أيلول ١٩١١. Journal official du government Egyptian, (1925), p: 117

بلادهم، كما طالب القوميون المصريون وعلى رأسهم الشيخ علي خليفة بفتح الحدود المصرية لعبور الإمدادات اليومية الآتية من الشام^{٣٧١}، وهذا خير دليل على دعم الشعب المصري لإخوانهم الليبيين.

بالمقابل ذكر كيلاني^{٣٧٢} بمسألة مرور الجنود العثمانيين بالقطر المصري، بأن مصر لم تفتح أبوابها أمام الجنود العثمانيين، والحكومة المصرية لم ترد خبر بشأن هذا الموضوع، مع أن شركة روتر قد لمحت إلى رغبة الحكومة العثمانية في فتح هذا الباب.

وفي بعض الأحيان وقف المصريون ضد الحكومة المصرية الخديوية ولم يشاطروها رأيها، عندما أعلنت الحياد لإيطاليا، بل طالبوها بمشاركة فعلية لمصر، وذهبوا إلى حد مطالبتهم بتدخل الجيش المصري الذي يعدّ تابعاً لمقاطعة رئيسة من مقاطعات الدولة العثمانية^{٣٧٣}.

وبدت في مصر وسورية وأفغانستان وغيرها من الأقاليم الإسلامية، حركة واسعة لجمع الأموال لصالح سكان طرابلس وبرقة^{٣٧٤}.

حتى إن مجموعة من المتطوعين الذين كانوا يعملون بإمرة عزيز علي المصري بقوا في ليبيا، حتى توقيع الصلح بين الدولتين الإيطالية والعثمانية، فأصدرت حينها الدولة العثمانية أمراً استدعت فيه عزيز علي المصري وأمرته بالانسحاب ومن معه من الضباط والجنود والسلاح والذخيرة نحو الحدود المصرية، إذ تنقلهم باخرة عثمانية تنتظرهم في السلوم^{٣٧٥}.

³⁷¹ المرزوقي، محمود. (١٩٧٥). دماء على الحدود. ليبيا. الدار العربية للكتاب. ص: ٢٧.

³⁷² كيلاني، مرجع سابق، ص: ٩.

³⁷³ جريدة المؤيد المصرية، ٣٠ أيلول 1912.

³⁷⁴ برقية من تشاركوف إلى نيراتوف ٧ في ٢٠ / ١١ / ١٩١١، نقلاً عن ياخيموفيتش، مصدر سابق، ص: ٨٣.

³⁷⁵ الملاح، هاشم. (١٩٨١). جهاد عمر المختار بين تضحيات الجماهير وميوعة السادة السنوسيين. مجلة آفاق عربية. ع ٦-٧.

3-3- الموقف الجزائري

كانت ليبيا بالنسبة إلى الجزائريين منطقة أمن وعبور يقصدها الحجاج والمغامرون³⁷⁶، وكانت معبرًا طبيعيًا نحو البلاد العربية وباب المشرق، وازدادت أهمية ليبيا بالنسبة إليهم بعد الاحتلال الفرنسي لبلادهم ١٨٣٠، فأصبحوا عن طريق طرابلس وفزان وبرقة يحصلون على السلاح والعون الضروري، عدّ الجزائريون الغزو الإيطالي لليبيا بمنزلة فصم للصلات الحضارية وقطع روابط الثقافية مع بلاد المشرق³⁷⁷، فعُدّوه جزءًا لا يتجزأ من الهجمة الاستعمارية على الأمة العربية الإسلامية، وعدّوا أن الاحتلال الإيطالي لليبيا إعادة لمأساتهم القومية بل صورة طبق الأصل لما حل بهم على يد الاستعمار الفرنسي، فالشعب الليبي وجد نفسه وجها لوجه أمام قوات الاحتلال الإيطالي عشية الغزو الإيطالي لبلاده، ولاسيما بعد تخلي الدولة العثمانية عنه وتنازلها عن ليبيا للمستعمر الإيطالي، فحاول الجزائريون مساندة أخوانهم المجاهدين في ليبيا بشتى الطرق والوسائل ودعم الجهاد والمقاومة الليبية³⁷⁸، فتضامنوا مع القضية الليبية بشتى مظاهر المواصاة، سواء المادية منها أو العسكرية، فمنها ما كانت معونات وأموال قدمها الشعب الجزائري لإخوانهم الليبيين، ومنها ما كان إسهامات عسكرية اشترك فيها الآلاف من المتطوعين الجزائريين القادمين إلى ليبيا³⁷⁹، و كان للمهاجرين الجزائريين إسهامات كبيرة في الحياة العربية وشؤونها، منذ استقرارهم في البلاد العربية ولاسيما في مصر والحجاز والشام، ففي أثناء هذا التاريخ الطويل في المهجر والاستقرار والاندماج في المجتمعات العربية والغرف من الثقافات المحلية والتراث الإسلامي المشترك، ظهر أعلام جزائريون استطاع بعضهم أن يؤدي دورًا مهمًا في الحياة السياسية في بلاد المغرب العربي، كان أبرزهم علي بن الأمير عبد القادر³⁸⁰، الذي كانت له بصمة في تاريخ الحياة السياسية الليبية³⁸¹، الذي قاد مقاومة عنيفة ضد الاحتلال الإيطالي، وقد شاركه في هذه المقاومة ابنه الأمير عبد القادر الجزائري مع ما يقارب عشرين جزائري، وقد أشار الصحفي الفرنسي ريمون إلى مشاركة الأمير علي وابنه في المقاومة الليبية، وعن ذلك

³⁷⁶ سعد الله، أبو قاسم. (١٩٩٨). تاريخ الجزائر الثقافي. ط١. بيروت دار الغرب. ج٨. ج٥. ص: ٤٣٥.

³⁷⁷ ودوع، محمود. (٢٠٠٨). الدعم الليبي للثورة الجزائرية. وزارة الثقافة. ص: ٢٦.

³⁷⁸ سعيدوني، ناصر الدين. (١٩٨٨). دراسات وأحداث في تاريخ الجزائر. الجزائر. ج٢. ج٢. ص: ٢٦٧-٢٧١.

³⁷⁹ سعد الله، أبو القاسم. (١٩٩٣). هموم حضارية. الجزائر دار الأمة. ص: ١٢٣.

³⁸⁰ أحد أبناء الأمير عبد القادر العشرة، تولى حاو على القنيطرة عام ١٨٩٦، وعند اندلاع الحرب الليبية توجه من دمشق إلى ليبيا.

³⁸¹ سعد الله، أبو القاسم. (٢٠٠٣). بحوث في التاريخ العربي الإسلامي. ط١. بيروت دار المغرب الإسلامي. ص: ٢٨٥.

يقول ريمون: جلست إلى الأمير عبد القادر الجزائري الحفيد، إذ أخذ يطالعني على مذكراته الحربية في ليبيا، وكان من بينها أسلحة سُلبت من الإيطاليين، ورسائل وصور تذكارية.

والى جانب علي باشا وابنه الأمير عبد القادر لمعت أسماء كثيرة في مقاومة الاحتلال الإيطالي أدت دورًا كبيرًا في الجهاد الليبي، كمصطفى عوني التقراوي^{٣٨٢}، فضلاً عن دور أهل وادي سوف وأهل وادي ميزاب في مساعدة الليبيين، فقد كان الشعب الجزائري من السابقين لدعم كفاح الشعب الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، ولم يكتفِ الجزائريون بالمشاركة بالمقاومة بل قاموا بتأسيس جمعية تضامنية مع إيالة طرابلس الغرب، وكان عمل هذه الجمعية جمع الأموال والتبرعات للمجاهدين الليبيين من مصوغات ذهبية وفضية وزيت ودقيق وسكر وشاي عن طريق القطر الجزائري؛ منها ما يسلم إلى رئيس الهلال الأحمر العثماني، ومنها ما يسلم للمجاهدين الليبيين مباشرة^{٣٨٣}، فضلاً عن ذلك فقد قام الجزائريون بمساعدة قوافل اللاجئين الليبيين الفارين من بطش الاستعمار الإيطالي، إذ نجد البشير أبو غزالة^{٣٨٤} قد استقبل هو وعشيرته في أثناء ثورة عمر المختار المهاجرين الليبيين الفارين، وقاموا بواجبهم الوطني القومي في مد الثوار الليبيين، بما يحتاجون من المؤن والذخيرة الحربية ووسائل النقل من جمال وغيرها، فضلاً عن كل ما سبق فقد قام الشعب الجزائري بمظاهرات أمام القنصلية الإيطالية في الجزائر كحركة احتجاجية على الغزو الإيطالي لليبيا، وعلقوا منشورات تدعو الجزائريين لمقاطعة الإيطاليين ومنتجاتهم، وكذلك نشطوا بالكتابات الصحفية، التي أدت فيها الصحافة الجزائرية دورًا رائدًا في نصره القضايا القومية، وكانت قضايا المغرب العربي أكثر اهتماماً للصحافة الجزائرية من غيرها ولاسيما السياسية منها^{٣٨٥}، وعلى رأسها القضية الليبية التي تعدّ أبرز القضايا التي أولت لها الصحافة الجزائرية اهتمامًا بالغًا، ومن بين الصحف التي انشغلت أكثر بقضية ليبيا كانت صحيفة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين^{٣٨٦}، وكان لهذه

³⁸² من أقارب المجاهد عبد القادر، حفظ القرآن في السادسة عشر من عمره، بدأ جهاده ضد الفرنسيين، ثم اعتبر قاموس الجهاد الليبي عبر مختلف مراحل، نظراً إلى اشتراكه في الكثير من المعارك.

³⁸³ عويمر، مولود. (٢٠١٣). **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الليبية**. البصائر. ٦٤٧ع. ص: ١٦٠.

³⁸⁴ هو أحد أفراد قبيلة البوغازلية القادمة من المشرق العربي عبر القيروان إلى الوادي، للمزيد:

الزغدي، محمد حسن. (٢٠٠٣). **شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية**. ط١. الجزائر. ص: ١٢٢.

³⁸⁵ محمد، ناصر. (١٩٨٠). **الصحف العربية الجزائرية**. الجزائر. مطبعة أحمد زبانه. ص: ١٧٢.

³⁸⁶ تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ٥ أيار ١٩٣١، أي قبل وفاة عمر المختار بـ ٤ أشهر للمزيد: عويمر، مرجع

سابق، ص: ١٦.

الصحيفة دور كبير في التعريف بالقضية الليبية والتشهير بالاحتلال الإيطالي وسياسته التعسفية فيها، وفضح جرائمه ومخططاته الاستعمارية، وحث الشعوب العربية والإسلامية على الوقوف مع الشعب الليبي الأعزل.

لم يبخل الجزائريون على الليبيين بالدعم والمساندة سواء المادية منها أو المعنوية أو القتالية، كما عملوا على استقبال اللاجئين الفارين من البطش الإيطالي، كذلك لعبت الصحافة الجزائرية دور مميز في النضال والتوعية والدعوة إلى التحرر، كذلك الجمعية التضامنية التي أسسوها لدعم الشعب الليبي بالمؤن والمال والتبرعات.

هذا الموقف لم يكن جزائرياً فقط؛ فقد أجمعت عليه كثير من الدول العربية والإسلامية، فعند إعلان إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية في ليبيا؛ ثارت ثائرة العالمين العربي والإسلامي، وبدأ التأييد المعنوي والمادي للدولة العثمانية؛ فقد أبرق الأمام يحيى حميد الدين أمام اليمن إلى الخليفة، عن استعداده تقديم مئة ألف جندي تحت قيادته وقيام الصلح مع الدولة العثمانية حتى تتفرغ لقتال الغزاة، و أبرق عبد العزيز آل سعود أمير نجد بأنه وجميع القبائل تحت أمرته، و سارت مظاهرات في جزيرة مورشويس في المحيط الهندي، وكذلك قامت الاحتجاجات في الصين والهند، وتوالت الاحتجاجات وهذا أقلق بعض ساسة الدول الاستعمارية، ولاسيما بعد تحذير زعماء المسلمين في الهند عن إمكانية قيام ثورة مئات الملايين من المسلمين³⁸⁷

في أثناء مناقشة المواقف العربية، لابد من الإشارة إلى موقف كل من تونس والعراق، إذ شرع الشعب التونسي بإعالة المجاهدين قدر المستطاع، فتألفت لجان وجمعيات لجمع التبرعات والأسلحة لمد الأشقاء الطرابلسيين، وتقاطرت القوافل المحملة بالمؤن والذخائر، تشق طريقها إلى طرابلس الغرب مع الحراسة المشددة من الفرنسيين، لمساعدة إيطاليا بمنع الإعانات للمجاهدين هناك، فضلاً عن المنظمات القومية العربية التي تشكلت بوصفها حركة تونس الفتاة والجمعية القحطانية.

كذلك رفع العراقيون نداء للشعب عبر الصحافة، لمقاومة الاستعمار الإيطالي واستنهاض الهمم للتطوع والانضمام إلى صفوف المجاهدين المقاتلين على الأرض الليبية، فقد اندفع بعض الضباط للإسهام المباشر في

³⁸⁷ ستودار، لوثرروب. (١٩٧٢). حاضر العالم الإسلامي. ترجمة عجاج نويهض. بيروت. ج. ٥. ج. ١. ص: ٢١٤-٢٢٨.

تلك الحرب، وقد ذكرت صحيفة المفيد جعفر العسكري مثلاً "كان يأتي إلى السلك العسكري شديداً جداً، واشتد هذا الميل عندي أثناء حربي طرابلس والبلقان،... وذلك لما جنته أيدي الطليان من قتل وقتك وتدمير في طرابلس الغرب"^{٣٨٨}.

لم تتوقف الصحف العراقية بالتنديد بالغزو فحسب، بل نددت بتهاون الدولة العثمانية وتغافلها عن تهديد إيطاليا المسبق لاحتلالها سواحل درنة وبنغازي أيضاً، وعدت ذلك نتيجة لسوء إدارتها وسقم سياستها. نستنتج مما سبق أن التضامن العربي موجود منذ القدم والشعوب العربية مساندة لبعضها البعض على مر العصور، فلم تتخلى الجزائر ولا تونس والعراق واليمن والسعودية ومصر وسوريا وأفغانستان وغيرهم من الدول العربية الإسلامية عن الوقوف إلى جانب ليبيا، إضافة للصين والهند وغيرها من الدول التي قدمت أشكال مختلفة من الدعم والمساندة، فموقف الشعوب ثابت حتى وإن تغيرت مواقف الحكومات.

³⁸⁸ مشتاق، طالب. (١٩٦٨). أوراق أيامي ١٩٥٨-١٩٥٨. بيروت دار الطليعة. ص: ١٣٠.

4- انعكاسات الاحتلال الإيطالي على ليبيا

لعل خير ما يلخص الأهداف الإيطالية هو ما كتبه أغوستيني³⁸⁹ عام ١٩٢٦:

يجب أن تكون ليبيا مصدرًا رئيسًا للجنس الإيطالي في إفريقيا، فمن ناحية عنصرية يصبح سكان ليبيا إيطاليين ويستولون على الأراضي والمواد الصناعية والتجارية في البلاد؛ ومن ناحية سياسية تحقق ليبيا لهم المحافظة على التوازن في البحر المتوسط، ومن ناحية عسكرية تصبح ليبيا مستعمرة مسلحة قادرة على المحافظة على نفسها وبإمكانها تسليح سكانها، ومن الناحية الاقتصادية تنمي ليبيا مواردها الزراعية ومسايد الأسماك فيها، وإمكانيتها الصناعية والسياحية بأن تمد إيطاليا بالخام وتصبح سوقًا لمنتجاتها.

4-1- الانعكاسات السياسية

مارست إيطاليا سياسة أمنية اعتمدت فيها على نفي الليبيين إلى الجزر الإيطالية بأعداد كبيرة؛ كالنفي إلى جزيرة تراميتي (tramit)³⁹⁰، وأوستيكا (ustica)³⁹¹، وفينتوتيني (ventutine)³⁹² وغيرها.....، كان عددهم عشرات الآلاف، وتذرت إيطاليا حينها أنها تمارس هذه السياسة بحجة استتباب الأمن³⁹³، و شردت زعماء السنوسية وأغلقت الزوايا؛ وصادرت أملاكها وأقصت الزعماء عن بلادهم، وأجلت السكان عن أراضيهم وملكت هذه الأراضي الخصبة ولاسيما في الجبل الأسود؛ وكذلك البساتين ومزارع النخيل التابعة للسنوسية، كلها صادرتها السلطات الإيطالية، حتى إن البلاد أصبحت جزءًا من المملكة الإيطالية، فضلًا عن سن قوانين جائرة منها سن قانون للرعية أصبح بموجبه في برقة رعايا إيطاليين كاثوليك ورعايا إيطاليين مسلمين³⁹⁴، و عمدت إيطاليا إلى

³⁸⁹ كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي - لاتيني ولد في طاغاست، يعد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية.

³⁹⁰ جزيرة إيسولا تريميتي تقع في مقاطعة فوجا، بلغ عدد سكانها عام ١٨٦١. ٤٢٢ نسمة، للمزيد:

الهازل، علي عمر. المنفيون الليبيون بجزيرة بونزا. المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية. ليبيا. طرابلس. ص: ١١٤.

³⁹¹ هي أحد الجزر الإيطالية الصغيرة يبلغ عدد سكانها ١٢٨٧ نسمة، للمزيد: الجدل، المختار. قرأه في الهروب من جزيرة أوستيكا. والمستقبل. ص: ١٤٢.

³⁹² جزيرة إيطالية بلغ عدد سكانها عام ١٨٦١. ١٦٣ نسمة، ضمت ما يقارب ٧٠٠ سجين، للمزيد: المرجع السابق، ص: ٨٢.

³⁹³ وثيقة رقم ١، المنفيون الليبيون إلى سجون الجزر الإيطالية وثائق، أرقام، صور، (١٩٨٩) م. ج. سلسلة نصوص ووثائق ١٠، ص ٣٢.

³⁹⁴ زيادة، نيقولا. (١٩٥٨). محاضرات في تاريخ من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال. القاهرة. معهد الدراسات العربية. ص: ١١٣.

محو شخصية البلاد فعدتها إقليمًا رابعًا مكملًا للأراضي الإيطالية عبر المتوسط، وحولت ليبيا إلى مستعمرة استيطانية لآلاف المهاجرين الإيطاليين^{٣٩٥}.

لقد حملت الحرب الاستعمارية التي قامت بها إيطاليا الفاشية، كثيرًا من الفواجع لشعب ليبيا، وقد عدت الفاشية نفسها في ميدان النشاط الاستعماري أنها أشد صورة من صور السيطرة البرجوازية البربرية، وأن حرب الإيطاليين في ليبيا، قد جرت حتى نهايتها بهدف إبادة السكان المحليين^{٣٩٦}.

تمكنت الفاشية الإيطالية في السنوات العشرين من الحرب؛ أن تقضي على طرابلس الغرب وعلى إمارة السنوسيين فضلًا عن حملة اعتقالات قامت بها، ففي عام ١٩٢٣ أُطلق سراح سكان برقة الذين كانوا في معسكرات الاعتقال، وكان معظمهم من البدو المنغلقيين على أنفسهم، المذعورين وهذا شاهدوه في الاعتقال، و كانوا أيضًا في أحط درجات العوز، ولكنهم مع كل ذلك بقوا من الناحية الروحية منيعين على الاستسلام^{٣٩٧}.

يلحظ أن الهدف المباشر للاستعمار الإيطالي هو القضاء الوحشي على حركات التحرر الوطنية، وعلى كل مقاومة وطنية تقف في وجه استعمارهم.

اتبعت أيضًا سياسة التفرقة فعملت على إشعال نار الفتنة؛ ولاسيما عندما أخذت بإرسال الأسلحة إلى عبد النبي بلخير^{٣٩٨}، وهذا ما شحن الجو بالتوتر، ومن ثم أدى إلى قيام حرب أهلية ولاسيما في الجبل الأخضر، التي عدتها الحكومة الوطنية بعد الاستقلال أنها كانت حرب مخجلة ومخزية، و نجد أن أهم مؤرخي الجهاد الطرابلسي الشيخ الظاهر الزاوي رفض التعليق عليها؛ واكتفى بالحسرة والأسف على هذه الحرب التي أدت إلى هزيمة المقاومة واحتلال الجبل الأخضر عام ١٩٢٢^{٣٩٩}.

وهنا يمكن القول إنها قضت على أحلام الوطنين، مع كل التضحيات والبطولات التي قدموها، و استطاعت فصل ليبيا عن جوارها؛ في أثناء قطع العلاقات بين سكان المناطق الحدودية من ليبيا، مع تونس ومصر

³⁹⁵ العقاد، مرجع سابق، ص: ١٦٢.

³⁹⁶ ابروشين، مصدر سابق، ص: ١١٧.

³⁹⁷ المصدر نفسه، ص: ٢١٤.

³⁹⁸ شخص موسوم بالخيانة سبق وتعاون مع الطليان كمستشار في حملة احتلال فزان عام ١٩١٤.

³⁹⁹ حميدة، علي عبد اللطيف. (١٩٩٥). المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا. بيروت مركز دراسات الوحدة. ص: ١٧٩.

والجزائر وتشاد والنيجر، إذ لجأت إيطاليا لذلك بعدّ ازدياد المقاومة المسلحة ضد قواتها لعزل ليبيا وقطع سبل الإمداد عن المقاومين.

4-2- السياسة الاستعمارية الاقتصادية التي نهجتها إيطاليا ضد ليبيا:

أثرت السياسة الاقتصادية الإيطالية في النشاط الاقتصادي عمومًا، إذ فقد الموظفون الطرابلسيون وظائفهم، ومن ثمّ انقطعت عنهم المرتبات، وهذا أدى بالبلاد تأخر وكساد صناعي وتجاري، و بقيت العملة العثمانية منتشرة حتى أواخر عام ١٩١٢م^{٤٠٠}.

وفرضت إيطاليا سيطرتها على الأراضي الليبية الصالحة للاستخدام؛ فأصبحت بذلك وقفًا على الإيطاليين فلا يجوز للعرب أو المسلمين أن يملكوا أرضًا، وهذا ما أحدث تغيرات جذرية في هيكل الاقتصاد الليبي، فضلًا عن تأثيره في الموارد البشرية والطبيعية للبلاد وكذلك في الثروة الحيوانية، إذ كانت المواشي ولاسيما الأغنام والإبل مصدر دخل رئيس للسكان، ومصدر غذاء أيضًا في لحمها وحليبها ومشتقاتها، فعمل الاستعمار الإيطالي على تقليل عددها عن طريق قتلها أو مصادرتها أو نقلها من الأراضي الرعوية إلى الأراضي الجافة بالقرب من معسكرات الاعتقال؛ وهذا بدوره أدى إلى انخفاض عدد الأغنام من ٨٠٠٠٠٠ في عام ١٩٢٦ إلى ٦٨٠٠٠ عام ١٩٣٣، والماعز من ٧٠٠٠٠ إلى ٢٥٠٠٠، والإبل من ٧٥٠٠٠ إلى ٢٠٠٠، أما عدد رؤوس الخيل فقد هبط أيضًا من ١٤٠٠٠ على ١٠٠٠٠^{٤٠١}، وكانت تشكل لهم مصدر دخل أساسي فكانوا فضلًا عن فائدتها الذاتية، يقومون بمقايضتها للحصول على سلع أخرى كالسكر والشاي والأرز وغيرها.... فضلًا عن أن الإبل بالذات كانت وسيلة للنقل؛ فجاء الاحتلال ليحرمهم منها، ففي بعض معارك الجبل الأخضر مثلاً استولى الإيطاليون على ٥٢٠٠ رأسًا من الإبل وعشرة آلاف من الماشية^{٤٠٢}.

حتى هذه الماشية لم تكن بعيدة عن متناول يد الاستعمار، فضلًا عن حملات الإبادة والقتل البشري؛ قاموا بإعدام المواشي والأبقار والخيول والجمال، وتدمير آبار مياه الشرب لهم، وتقطيع الأشجار والزرع، وإحراق المنازل، فضلًا عن مصادرة أراضي الثوار ونزع ملكية الأراضي منهم بحجة الاحتياجات العامة، وكان الشراء القسري واحدًا من أهم أشكال نزع الملكية، فكان هذا الشراء يتم مقابل مبلغ زهيد أو يتم تخصيص مساحات من الأراضي غير القابلة للزراعة بديلًا لها، فضلًا عن مرسوم ١٥ أيار ١٩١٦ الذي أصدره الحاكم الإيطالي، الذي

⁴⁰⁰ هويدي، مصطفى علي. (٢٠٠٢). موافقة السياسة في الحركة الوطنية. مجلة البحوث التاريخية. طرابلس. ع ١. ص: ١٨٠.

⁴⁰¹ Wright, J. (1969). Libya. London. p: 138, 177, 264.

⁴⁰² التليسي، خليفة محمد. (١٩٨٠). معارك الجهاد في ليبيا. المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان. ص ٦٩.

يعطي فيه الحق لحكام المناطق العسكرية^{٤٠٣}، في حجز ممتلكات الثوار المشاركين في الجهاد وممتلكات القبائل الثائرة، فضلاً عن ممتلكات المهاجرين الذين سبق لهم أن قدموا أي شكل من أشكال الدعم للثوار ولحركة التحرر الوطنية، وعليه حصلت الحكومة الإيطالية من ليبيا على ٨٠٠ هكتاراً من الأراضي من بينها ٢٣١ ألف هكتار بيعت للإيطاليين أو أعطيت بموجب امتياز^{٤٠٤}، و قامت الحكومة الإيطالية بتأسيس جمعيات تعاونية ولاسيما لدعم الاستعمار الزراعي في ليبيا، مثل الاتحاد الوطني لشؤون المستعمرين (اينتي) وزراعة التبغ الإيطالي (آتي)^{٤٠٥}، وهنا يلحظ أن الزراعات الإيطالية اعتمدت على المحاصيل الزراعية المخصصة للتصدير إلى إيطاليا، أي التي تخدم الاستعمار ومخططاته، ولتحقيق ذلك استثمر الاستعمار الإيطالي موارد ضخمة في الزراعة الليبية، بهدف تحويل البلاد إلى قاعدة لتزويد إيطاليا بالحاصلات الزراعية والخامات، ففي ثلاثين عام وصلت استثمارات إيطاليا في ليبيا إلى ١٨٠٠ مليون ليرة أي ١٥٩ مليون دولار.

أما في ما يخص القطاع الصناعي؛ فقد أصبح في ليبيا في مدة الاستعمار الإيطالي، ما يسمى بالقطاع الإيطالي للصناعة؛ الذي طغى عليه الإنتاج المصنعي من خلال المصانع والمؤسسات التي أنشؤها، فقبيل انتهاء الاحتلال لم يكن بين المؤسسات الـ ٣ آلاف الإيطالية إلا ١٣٦ مؤسسة ليبية، وهي من النوع بالغ الصغر والإنتاج^{٤٠٦}.

⁴⁰³ بروشين، مصدر سابق، ص: ٢٤٧.

⁴⁰⁴ مجموعة من المؤلفين. (١٩٧٦). تاريخ الأقطار العربية المعاصر. ترجمة دار التقدم. موسكو. ص: ٢٣٥.

⁴⁰⁵ بروشين، مصدر سابق، ص: ٢٥.

⁴⁰⁶ بروشين، مصدر سابق، ص: ٢٧٠.

4-3- الانعكاسات الاجتماعية:

لعبت إيطاليا على الدور الاستيطاني؛ إذ حاولت توطين أكبر عدد ممكن من الإيطاليين، لكن استمّار حركة المقاومة التي تجاوزت توقعات الخبراء العسكريين الإيطاليين؛ عرقلت طموحات إيطاليا الإستيطانية^{٤٠٧}. وعملت على تهجير الليبيين الذين انتشروا في سورية وتونس ومصر ولبنان، فكانت الجالية الليبية في مصر أكبر هذه الجاليات، وشكلوا جالية لا يستهان بها في سورية؛ فقد تأسست في دمشق عام ١٩٢٨ (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بالشام) برئاسة بشير السعداوي، وهذه الجمعية هي التي وضعت الميثاق الوطني عام ١٩٢٩^{٤٠٨}.

وعمد موسوليني إلى كسب بعض الليبيين ممن فقدوا أراضيهم أو ضاعت حقوقهم، فمنح بعضهم جنسية إيطالية من الدرجة الثانية، وقام بأعمال دعائية تحت شعار الدفاع عن المسلمين والإسلام؛ فرمم بعض المساجد وشجع المدارس الإسلامية وأثار دعاية أنه حامي المسلمين وديارهم^{٤٠٩}، ليكسب بعض الود والرضا. كانت ليبيا تعدّ بلدًا قليل السكان؛ وزادت هذه المشكلة حدة بعد الاحتلال الإيطالي فقد نجم عن ذلك انخفاض عدد سكانها، من مليون ونصف قبل الغزو إلى ٧٠٠ ألف في بداية عام ١٩٣١، وذلك بسبب الهجرة والمجاعات والأمراض التي قضت على الكثيرين، وهذا بدوره أدى إلى أن يصبح عددهم أقل بكثير من السابق الذي يعاني ذات المشكلة^{٤١٠}.

فضلاً عن استشهاد الكثير منهم في أثناء مقاومة الاحتلال الإيطالي، تلك المقاومة التي استمرت مع عدم تكافؤها أكثر من عشرين عام، فضلاً عن سوء الظروف المعيشية، ونقص الرعاية الطبية وسوء التغذية، ولا شك أن انخفاض عدد السكان يؤثر على إمكانات النمو، في الاقتصاد وكفاءته إذ يؤثر^{٤١١} في قدرتهم على العمل، وذلك بسبب انخفاض مستوى التعليم والتدريب؛ وهذا حرّمهم من اكتساب الخبرات والمهارات اللازمة، فضلاً عن

⁴⁰⁷ القلال، أحمد محمد. (١٩٩٩). سنوات الحرب والإدارة البريطانية العسكرية في برقة ١٩٣٩-١٩٤٩. بنغازي. ص: ٣٠٢.

⁴⁰⁸ زيادة، مصدر سابق، ص: ١١٧.

⁴⁰⁹ أبو لقمة، مصطفى الهادي. (١٩٨٤). الاستعمار الإيطالي في ليبيا. ترجمة ادريس الحرير. ط ١. ص: ٨٥.

⁴¹⁰ Auter.M.H (1929). histoire diplomatique de l europe 1871-1914. Paries.les presse universitaires de France . p: 258.

⁴¹¹ الحرير، ادريس صالح. (د. ت). الاستعمار الإيطالي في ليبيا. منشورات جامعة الفاتح. ص: ١٤٦.

ذلك كانت المناصب الإدارية والعسكرية، متاحة فقط للمستعمرين وغير متاحة للوطنيين، ومنه نرى أن الاحتلال حرم البلاد من تنمية مواردها البشرية.

كان أغلب السكان يعيشون خارج المدن قبيل الاحتلال الإيطالي، ويمكن أن نصفهم بالرحل أو شبه الرحل؛ إذ يتبعون الماء والكلاء، وكانت كل قبيلة تعيش في منطقة معروفة بها، فجاء الإيطاليون بإرغامهم على الترحيل التعسفي، وحاولوا حرمانهم من لغتهم وثقافتهم العربية الإسلامية^{٤١٢}.

لقد استثمر الاستعمار الإيطالي موارد ضمة في الزراعة الليبية، بهدف تحويل البلاد إلى قاعدة لتزويد إيطالية بالحاصلات الزراعية والخام خلال ثلاثين عام وصلت استثمارات إيطالية في ليبيا إلى ١٨٠٠ مليون ليرة أي ١٥٩ مليون دولار.

نلاحظ أن نهج إيطاليا في ليبيا هو نهج استعماري على كافة الأصعدة يخدم مصالحها فقط، حتى الليبيين الذين فقدوا أراضيهم تظاهرت بمساعدتهم بمنحهم جنسية من الدرجة الثانية أي حقيقةً أبقتهم في تخلف لكن شكلياً أعطتهم الجنسية الإيطالية.

⁴¹² الحرير، المرجع نفسه، ص: ١٥١.

4-4- الانعكاسات الثقافية:

قامت إيطاليا بوضع نظام تعليمي مؤقت؛ إلا أنه لم ينجح بسبب مخاوف الليبيين من التعلم الاستعماري الذي يهدف إلى القضاء على دينهم ولغتهم، لأن الهدف الحقيقي لما سمته إيطاليا بالرسالة الحضارية التي زعمت أنها جاءت إلى ليبيا لأجلها ليس إلا؛ استقطاع ليبيا من محيطها الثقافي الحضاري العربي الإسلامي، وإدماجها في الحضارة والثقافة الإيطالية الغربية المسيحية.

عملت إيطاليا على عزل ليبيا عن العالمين العربي والإسلامي فأنشأت مدرسة دينية في طرابلس؛ لتمنع طلاب العلم من السفر إلى الأزهر أو جامع الزيتونة في تونس.

جهل الإيطاليون السكان لا في شؤون العلم فقط، ولكن في كل نواحي العمل الماهر، فكان الإيطاليون يفرقون بين جنسهم وبين العرب فالعربي لا يجوز أن يركب الدرجة الأولى من السيارات العامة أو يجلس في المقاهي.

كانت هذه الدراسات الأخطر والأعمق أثراً، وما تزال ندوبها بادية على جسد ليبيا حتى اليوم، ما بين محاولات مستميتة لإجهاض المستقبل في أثناء تجريف المجتمع ثقافياً، بسحق النخبة المتعلمة والقضاء على اللغة والثقافة فقد عمل الإيطاليون على طليئة الشعب الليبي بسياسة التعليم التي اتبعوها؛ التي كانت الغاية منها حرمان العرب من التعليم، وهذا ما رأيناه واضحاً من عدم وجود ما يزيد عن مئة مدرسة بقليل في عام ١٩٣٩، وكانت تشمل قلة التعليم النوعي والكمي، إذ اقتصر على التعليم الابتدائي، ومدته خمس سنوات؛ في الثلاثة الأولى يتعلم اللغة العربية إلى جانب اللغة الإيطالية، وفي السنتين الأخيرتين فكانت الإيطالية هي اللغة الرسمية وأصبحت اللغة العربية لغة ثانوية، ومجال التعليم لم يكن واسعاً أمام العرب بعكس الإيطاليين الذين أتيحت لهم الفرص اللازمة لتعليمهم وتنقيفهم^{٤١٣}.

كانت نسبة التعليم منخفضة جداً، فبلغ عدد السكان العرب ٧٤٠ ألف نسمة، كان عدد المتعلمين منهم في المدارس الابتدائية العربية عند نهاية الحرب العالمية الثانية ٦ آلاف طفل فقط، فكان ٩٠% من السكان أميين،

⁴¹³ زيادة، نيقولا. (٢٠٠٣). بركة الدولة العربية الثامنة- ليبيا ١٩٤٨. وثيقة رسمية. بيروت. ص: ٣١٠.

وأما ما يخص اقتناء الكتب فيعدّ أمرًا محرّمًا يستحقّ الناس عليه العقاب، فلم يسمح للعرب إلا استخدام الكتب القديمة والمكاتبات الصغيرة كالمكتبة العربية العامة في بني غازي، و منعت استخدام الكتب التي تبحث في السنوسية^{٤١٤}، اعتمد الإيطاليون على سياسة التفرقة والتميز بين العرب والإيطاليين، في نواحي الحياة كافة فكانت المناصب والوظائف والدرجة الأولى في كل شيء للإيطاليين؛ أما العرب فكانوا محرومين من أبسط حقوقهم كالجلوس في بعض المقاهي أو اقتناء بعض الكتب.

نلاحظ مما سبق أن السياسة الاستعمارية في المجال الثقافي والعلمي ركزت على طليئة الشعب الليبي لغةً وثقافة وحرمانهم من التعليم و التفرقة بينهم وبين الإيطاليين واقتصار تعليمهم على المرحلة الابتدائية وبالتالي حرّموا العرب من أبسط حقوقهم.

⁴¹⁴ المرجع السابق. ص: ١٥١.

خاتمة

عملت الدول الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين على غزو البلاد العربية عسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا وعلى تحطيم مظاهر استقلالهم ومصادرة حرياتهم، وركزَ على دول المغرب العربي نظرًا إلى أهميتها الجغرافية والاقتصادية وقربها، ولاسيما في سد حاجات عديدة لتلك الدول؛ من أراضي تأوي المهاجرين الذين ضاقت بهم بلادهم، وتأمين أسواق لتصريف منتجاتهم، فضلاً عن الأيدي العاملة الرخيصة، وكذلك الحصول على مواد أولية، ومن ثمَّ تشكيل مستعمرات لفرض سيطرتها، وهذا النهج الذي اتبعته إيطاليا في طرابلس الغرب حيث عملت على استنزاف خيراتها والسيطرة على مقدراتها وعطلت عجلة تقدمها، وعندما خرجت منها حملت معها قسمًا كبيرًا من تراثها ومقتنياتها الأثرية، مقدمة صورة عن هذه البلاد: من الأمثلة على ذلك معرض مكتبة ليموج الفرنسية "المغرب وأوروبا" الذي اعتمد على عدد كبير من الوثائق التاريخية والأعمال الفنية والقطع النقدية، إذ كان الهدف تقديم صورة للعلاقات بين دول المغرب العربي وأوروبا على مدار ستة قرون.

وعند الحديث عن العلاقات الإيطالية- العثمانية يمكن القول إنها بدأت وديةً فقد وقعت إيطاليا عندما كانت تحت مسمى مملكة سردينيا أي قبل عام ١٨٦١، إلى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم عام ١٨٥٣ التي استمرَّت حتى عام ١٨٥٦ ضد الإمبراطورية الروسية التي انتهت بتوقيع اتفاقية باريس وهزيمة الروس. استمرَّت الصفة الودية لتلك العلاقات حتى ظهرت رغبة إيطاليا باحتلال ليبيا فتحوّلت إلى عداء وحرب، أدت إلى الاحتلال الإيطالي لليبيا الذي حمل انعكاسات سلبية على الأصعدة كافة، و أدى ذلك إلى نفور عربي من الموقف العثماني.

بعد دراسة العلاقات الإيطالية- العثمانية وانعكاساتها على ليبيا، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات كان أبرزها الآتي :

1- النتائج

1-1- كان مؤتمر برلين من المؤتمرات الدولية المهمة ولاسيما لطرفي الصراع اللذين تناولهما البحث، إذ نصت المادة الرابعة والثلاثون على أن تلتزم كل دولة من دول الأطراف في هذا المؤتمر؛ في حال قيامها بفرض

سيطرتها على إقليم في إفريقيا، بإبلاغ ذلك إلى الدول الأخرى الموقعة عليه التي كانت تضم (بريطانيا- فرنسا- إيطاليا- ألمانيا- إسبانيا- بلجيكا- هولندا- بولندا) ، هذا يعني أن المؤتمر أعطى الشرعية للدول الأوروبية في اقتسام إفريقيا، وسمح لإيطاليا دخول المجال الاستعماري ولاسيما بعد وحدتها السياسية والمشاكل الاقتصادية التي واجهتها نتيجة ذلك.

1-2- يمكن ملاحظة أطماع الشعوب الأوروبية في الاستيلاء على مستعمرات شمال إفريقيا، وذلك يعود إلى ثلاثة أغراض رئيسة، أولها الطمع في خامات المستعمرات، ثانيها الاستحواذ على أسواقها لبيع ما تنتجه من مصنوعات، ثالثها استثمار رؤوس الأموال الفائضة، وهنا يمكننا القول أن العامل الاقتصادي هو الأبرز والأهم في الاحتلال.

1-3- لم تكن صدفة اتجاه أنظار إيطاليا إلى الشاطئ الشمالي لإفريقيا، فكان هذا الإقليم يمد إيطاليا بالقمح منذ القديم، وهذا دليل على غناه، فضلاً عن أنهم كانوا على علم بثروة طرابلس من المعادن، عن طريق المهاجرين الذين شكلوا مستوطنات هناك، ولاسيما في طرابلس الغرب وتونس.

1-4- تعود أسباب الاحتلال الإيطالي لليبيا إلى تزايد عدد سكانها وعجز الأراضي الصالحة للزراعة عن استيعابهم أظهر رغبتها في التوسع، كذلك حاجة الصناعة الإيطالية الناشئة إلى مواد الأولية وأسواق لتصريف منتجاتها، فضلاً عن تعويض النفقات الباهظة التي تم استهلكت لتحرير البلاد ووحدتها السياسية محاولة استعادة مجد روما.

1-5- حقيقة الأمر أن تفكير إيطاليا بالتوسع لم يكن فقط بسبب عدد السكان المتزايد و هو معروف، كان هدف إيطاليا من التوسع إيجاد مستعمرات لنفي السجناء إليها، إذ ورثت الدولة الجديدة بعد الوحدة عدد كبير من السجناء، الذين تضاعف عددهم عندما اتخذت الحكومة إجراءات قانونية ضد عصابات السلب فامتلات السجون بالآلاف منهم.

1-6- ترجع الجذور التاريخية للمصالح الاقتصادية الثقافية الإيطالية في ليبيا إلى أواخر القرن التاسع

عشر، عندما بدأ التفكير في إمكانية التدخل الإيطالي في ليبيا إلى بداية افتتاح قناة السويس ١٨٦٩، فبدأت البحث عن إيجاد موطئ قدم لها في البلدان المطلة على البحر المتوسط.

1-7- ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية في إيطاليا، وتحسّنت طرق المواصلات من ١٨٦٠ - ١٩١٠،

كنت البضائع الإيطالية متداولة ومفضلة في ليبيا، لدرجة أنها تغطي على تجارة غيرها من البلدان الأوروبية وذلك بسبب رخص أسعارها وسهولة إيصالها إلى السوق.

1-8- تأثرت حركة تجارة إيطاليا بعد افتتاح قناة السويس، وأصبحت تنافس دولاً قوية تمتلك أساطيل كبيرة

فإيطاليا لا تستطيع أن تدخل ميدان الاستعمار وتتبوأ المكان اللائق بوصفها خليفة لمجد روما ما لم تمتلك المستعمرات والأسواق الضخمة فلم تستطيع البقاء مكتوفة الأيدي.

1-9- مثل الاحتلال الإيطالي لليبيا حلقة من حلقات الاستعمار الأوروبي لبلدان المغرب العربي، وأحد

مظاهر الهجمة الاستعمارية الأوروبية للحصول على مناطق النفوذ بهدف التوسع الاستعماري، فكان اتفاقاً دولياً أبرم بين إيطاليا والدول الأوروبية.

1-10- تفاعلت الشعوب العربية مع القضية الليبية ضد المحتل الإيطالي، وعبرت عن استنكارها لهذا

المستعمر الظالم فتعاطفت مع المجاهدين وقامت بتقديم الدعم بشتى السبل والوسائل و تمت الإشارة إلى ذلك سابقاً.

1-11- فيما يخص توتر العلاقات الإيطالية- العثمانية، بدا على نحو خاص في نهاية ١٩١٠ وبداية

١٩١١، إذ أشار السفير الروسي دولكوركي في روما حول ذلك قائلاً "إن علاقات المملكة المتوترة مع الحكومة

العثمانية تتبع لا من حوادث صغيرة، بقدر ما هي نتيجة للعصبية التي يظهرها الإيطاليون بسبب خوفهم من

فقدان آخر فرصة لتثبيت أقدامهم على الساحل الإفريقي، في ذلك المكان الذي ما زال شاغراً وقد نجا من استيلاء

البريطانيين والفرنسيين بعد اتفاقية ١٨٩٩، إذ إن جميع مساعيها وجميع محاولاتها تهدف إلى الاستيلاء على طرابلس.

1-12- بدأ الشعور القومي في أوروبا يقوى وظهرت على مسرح السياسة الأوروبية دولتان جديدتان عام

١٨٧١، هما ألمانيا وإيطاليا بحاجة لتقوية مركزها السياسي بالوسائل الآتية:

١. حاجتها إلى زيادة دخلها للصرف على الجيش والأسلحة
٢. عقد معاهدات سياسية مع الدول
٣. تكوين جيوش نظامية كبيرة مجهزة بأسلحة حديثة
٤. إعادة بناء اقتصادها القومي على أسس ترمي إلى استقلالها الاقتصادي
٥. القيام بخدمات اجتماعية حتمتها ظروف الثورة الصناعية والتطور الاقتصادي
٦. نمو الروح القومية ولاسيما في أثناء الوحدة، إذ فرض على إيطاليا عدَم القدرة على رؤية الآلاف من أبنائها يهاجرون إلى أراضٍ أجنبية بحثاً عن مستقبلٍ لهم.

1-13- من الأسباب التي ساعدت على إضعاف موقف الدولة العثمانية تجاه الإيطاليين في ليبيا، تحالف

حاكم عسير محمد علي الإدريسي^{١٥} مع الإيطاليين في العسير، وإعلانه الثورة على العثمانيين عام ١٩٠٧، إذ قدمت له إيطاليا المساعدات المالية والأسلحة؛ من بنادق وصل عددها إلى عشرة آلاف ومدافع ثقيلة، كان هدف إيطاليا من وراء ذلك إشغال الدولة العثمانية في الجهات البعيدة ومنعها من إرسال قوات من اليمن إلى ليبيا.

1-14- يمكن ملاحظة عدَم وجود مواقف ثابتة للدول الغربية تجاه الدولة العثمانية، إذ وجدت نفسها في

عزلة سياسية تحت تواطؤ دولي واضح، فالدول التي كانت تؤكد لها صداقتها أعلنت حيادها عندما طلبت منها التوسط بينها وبين إيطاليا عشية الحرب.

1-15- إن طبيعة العلاقات التي جمعت إيطاليا بالدولة العثمانية لم تكن واضحة المعالم، فبعد أن كانت

علاقات ودية مدة من الزمن تغيرت وأصبحت علاقات عدائية توصلت إلى حرب بين الطرفين.

1-16- استغلال ضعف الحكم العثماني في ليبيا وإهمال الولاة لشؤون الرعية، كان السبب الرئيس وراء

تزايد أطماع إيطاليا في ليبيا؛ وتمكنها فيما بعد من فرض سيطرتها عليها.

⁴²⁴ هو محمد بن علي بن السنوسي، ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رض) للمزيد: الشيخ (١٩٨٣)، ص: ٢٣٠.

1-17- يمكن ملاحظة أن الدول العربية الخاضعة للدولة العثمانية؛ لم تكن في مأمن من الوضع الخارجي الدولي، ومن الوضع الداخلي بسبب سياسة الاتحاديين، وكذلك من الامتيازات الأجنبية التي أعطتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية.

1-18- ضعف موقف الدولة العثمانية وعدم إظهار مقاومتها الجدية تجاه الإيطاليين الذين حصلوا على موافقات الدول الأوروبية لاحتلال طرابلس التي لم تكن تمتلك الوسائل اللازمة للمقاومة.

1-19- كانت ردود الفعل الليبية عنيفة ومعبرة بوضوح، عن رفض الشعب الليبي للاحتلال الإيطالي، وكانت المقاومات المسلحة من أبرز مظاهر هذا الرفض، إذ شهدت البلاد الليبية مقاومات شرسة تزعمها قادة أكفيا قدموا أرواحهم فداءً لهذا الوطن، أظهر فيها الشعب الليبي شجاعة لا نظير لها في مواجهة العدو الإيطالي، في الوقت الذي تفاعلت الشعوب العربية والإسلامية.

1-20- يجب الإشارة إلى أن احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب كان محاولة لغسل العار الذي لحق بها إثر هزيمتها في معركة عدوة في الحبشة عام ١٨٩٦، وخسارة مستعمراتها فيها، فكانت تنظر إليها بوصفها تعويضاً عن شعورها بالنقص إزاء الدول الكبرى ذات المستعمرات.

2- التوصيات

1-2- إحياء المعاهدات في أذهان الشعب وإطلاعهم على تاريخ بلادهم ليعرفوا الصديق من العدو في السياسات الدولية.

2-2- على الشعوب العربية إدراك مدى خطورة الاستعمار بكل أشكاله، حتى ولو كان يتظاهر بتقديم المساعدة أو الدعم الاقتصادي كما فعل بنك دي روما في ليبيا، فالهدف الأساسي هو الاحتلال واستغلال ثروات الأمم.

2-3- التعاون بين الدول العربية في المجال الاقتصادي والعسكري وقطع الطريق أمام الدول التي تحاول التدخل عسكرياً واقتصادياً في بعض الدول العربية.

2-4- العمل على إنشاء مراكز أبحاث عربية هدفها دراسة الواقع العربي ومتطلبات هذا الواقع بهدف الوصول إلى بناء مؤسسات عربية مشتركة تواجه المؤسسات الغربية أو غير الغربية لتتحرر من التبعية السياسية أولاً ومن ثم الاقتصادية.

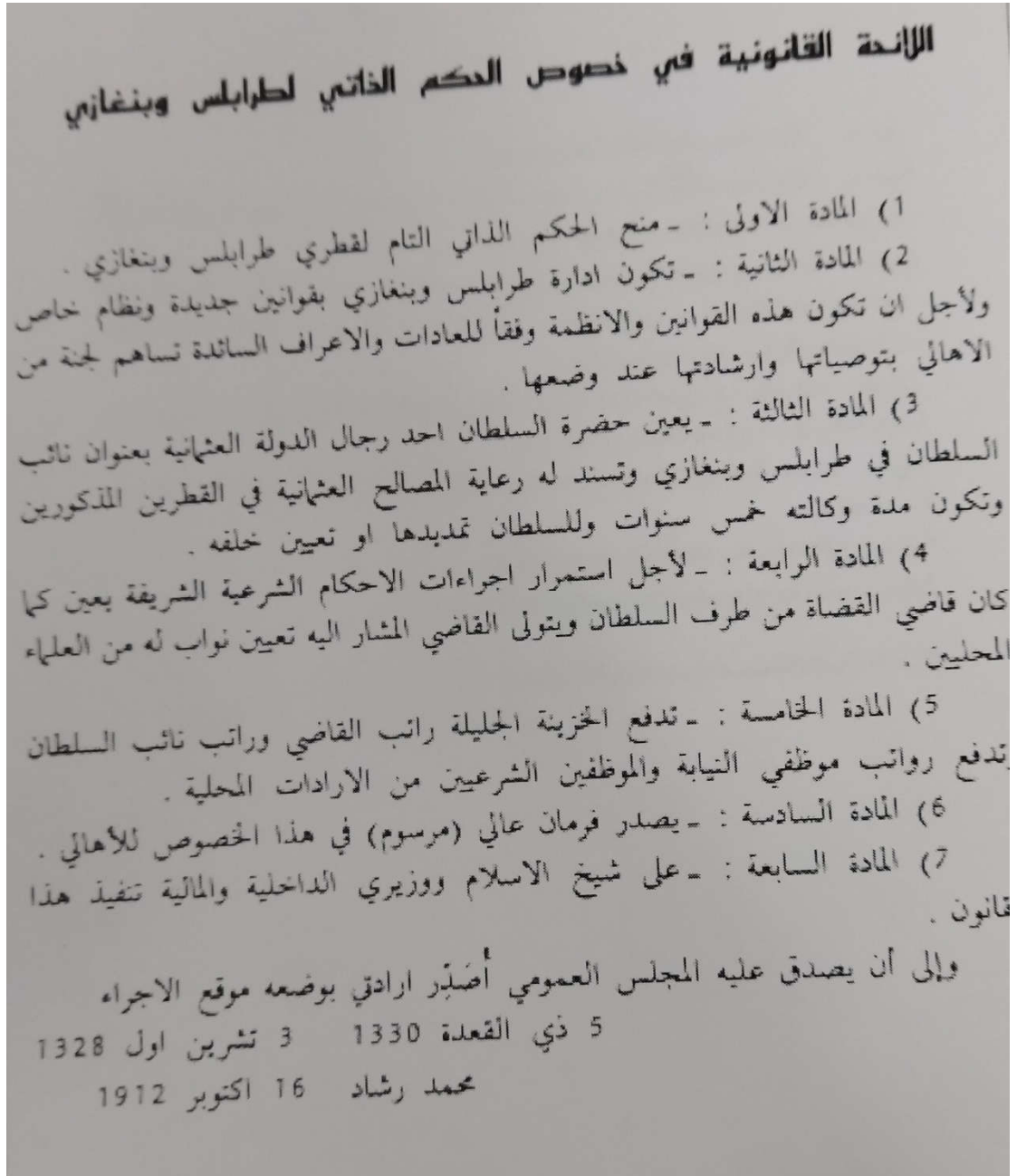
2-5- تعزيز دور الإعلام الوطني والعربي في مواجهة الأخطار الخارجية؛ لأن معظم الدول التي تتدخل في شؤون الدول الأخرى هدفها الأساسي الاستعمار وليس الاستقرار.

الحمد لله الذي ما تم جُهد ولا خُتم سعي إلا بفضله

الملاحق

وثيقة رقم (١)

مرسوم السلطان العثماني الصادر ١٦ - ١٠ - ١٩١٢ منح بموجبه الحكم الذاتي لليبيا



المصدر:

الوثيقة ٧١، الوثائق العثمانية، المجموعة الأولى، ترجمة محمد الأسطى، م. ج الليبي، طرابلس ١٩٩٠، ص ٢٨٤.

قائمة المصادر والمراجع:

الوثائق:

- 1- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني (١٩٢٢)، ترجمة محمد حرب، دمشق دار القلم.
- 2 وثيقة رقم ١، المنفيون الليبيون إلى سجون الجزر الإيطالية وثائق، أرقام، صور، منشورات م. ج طرابلس (١٩٨٩). سلسلة نصوص ووثائق ١٠، ص ٣٢
- المحفظة 3- وثائق وزارة الخارجية البريطانية، موجودة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، ملف رقم ١٣، ضمن رقم (٣).

المصادر العربية:

- 1- أتانورك، مصطفى كمال (٢٠١٠). الخطاب العظيم. ترجمة أحمد سليمان إبراهيم - محمد يوفاء. ص: ٥٠٠.
- 2- أتانورك، مصطفى كمال (٢٠١٣). الرجل الصنم. ترجمة عبد الله عبد الرحمن. ط ١. الأهلية. للنشر. ص: ٤٠٩.
- 3- اتلخان، جواد رفعت (٢٠١١). أسرار الماسونية. ترجمة: نور الدين رضا الواعظ المحامي - سليمان محمد أمين القابلي. الدوحة. ص: ٧١.
- 4- انطونيوس، جورج (١٩٨٠). يقظة العرب. ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس. بيروت دار العلم للملايين. ص: ٦٧٢.
- 5- اينالجيك، خليل (٢٠٠٢). تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار. ترجمة محمد الأرناؤوط. ط ١. دار المدار الإسلامي. ص: ٣٩٠.
- 6- بانزة، إفالد (١٩٩٨). طرابلس مطلع القرن العشرين. ترجمة عماد الدين غانم. مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية طرابلس. ص: ٢٤٣.
- 7- بروشين، نيكولاي (١٩٨٨). تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين. ترجمة عماد حاتم. الجمهورية العربية الليبية. ص: ٤١٢.

- 8- بك، أحمد النائب الأنصاري (١٨٩٩). المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي. طرابلس مكتبة الفرجاني. ٢ ج. ١ ج. ص: ٣٩٨.
- 9- بك، محمد فريد (١٨٩٦). تاريخ الدولة العليا العثمانية. (ط٢). مصر. ص: ٨٣٠.
- 10- وعبد الرزاق، علي والشهبندر عبد الرحمن (١٩٦٦). الدولة والخلافة في الخطاب العربي أبان الثورة الكمالية في تركيا. ط١. تقديم وجيه كوثراني. بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر. ص: ٢٥٢.
- 11- فاروقي، ثريا (٢٠٠٨). الدولة العثمانية والعالم المحيط بها. ترجمة حاتم الطحاوي. ط١. دار المدار الإسلامي. ص: ٤٩٥.
- 12- منسي، محمود حسن صالح (١٩٨٠). الحملة الإيطالية على ليبيا. دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية. دار الطباعة الحديثة. ص: ١٩٦.
- 13- ميور، رمزي (١٩٦٣). النتائج السياسية للحرب العظمى. ترجمة محمد بدران. سلسلة المعارف العامة. ص: ٣٩٧.

المراجع العربية:

- 1- أبو لقمة، مصطفى الهادي (١٩٨٤). الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا. ترجمة إدريس الحرير. ط١. منشورات جامعة الفاتح. ص: ١٨٥.
- 2- أحمد، إبراهيم خليل (١٩٨٧). تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر. الموصل. مطبعة جامعة الموصل. ص: ٢٨٦.
- 3- أحمد، كمال مظهر. (١٩٨٤). كتاب ميكافيلي والميكافيلية. بغداد. الموسوعة الصغيرة
- 4- أسكيو، وليم (١٩٨٨). أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا ١٩١١-١٩١٢. ترجمة ميلاد المقرحي. مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي. ص: ٢٨٥.
- 5- إكس، أحمد محمد عاشور (١٩٨٥). لمحات تاريخية عن النضال الليبي المسلح ضد الأسيان وفرنسا مالطا الأمريكان الطليان ١٥١٠-١٩٧٠. ليبيا: طرابلس. المنشأة العامة للنشر والتوزيع. ص: ٢١٢.

- 6- أمين، جلال أحمد (١٩٨٣). المشرق العربي والغرب. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: ١٨٧.
- 7- أوزتونا، يلماز (١٩٩٠). تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان سلمان. تركيا الهلال للطباعة. ج٢. ص: ٨٨٠.
- 8- باروت، محمد جمال (٢٠١٨). الصراع العثماني - الصفوي وآثاره في الشيعة في شمال بلاد الشام، ط١. بيروت المركز العربي للأبحاث. ص: ٣٥٢.
- 9- بازمة، محمد مصطفى (١٩٦٥). العدوان. طرابلس مكتبة الفرجاني. ج٢. ص: ١٦٧.
- 10- بأزمة، مصطفى (١٩٧٣). تاريخ ليبيا في عصر ما قبل التاريخ. بنغازي. دار صادر. ص: ٣١٧.
- 11- برو، توفيق (١٩٩٠). العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤. ط١. دمشق دار خلاص. ص: ٦٧٥.
- 12- برينا، كوستانزي (١٩٨٥). طرابلس بين ١٥١٥ - ١٨٥٠. تعريب خليفة التليسي. مصراته الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. ص: ٣٧٦.
- 13- بروكلمان، كارل (١٩٦٨). تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي. ط٥. بيروت دار العلم للملايين. ص: ٩٠٢.
- 14- البعلبكي، منير (١٩٦٨). تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه فارس. ط٥. بيروت دار العلم للملايين. ص: ٩٢٦.
- 15- الجيلافي والمرزوقي، محمد (١٩٧٤). معركة الزلاج. ط٢. تونس الشركة التونسية للتوزيع. ص: ١٧٩.
- 16- البوري، عبد المنصف حافظ (د. ت). الغزو الإيطالي لليبيا. شركة كاظمة للنشر. ص: ٤٤٥.
- 17- بيشون، جان. (١٩٩١). المسألة الليبية في تسوية السلام. ليبيا. طرابلس. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- 18- تايلور أ. ج. ب (١٩٨٠). الصراع على السيادة في أوروبا ١٨٤٨ - ١٩١٨. ترجمة كاظم هاشم

نعمة ويوسف عزيز. بغداد دار الكتب للطباعة والنشر. ص: ٨٠٥.

19- تشانجي، عبد الرحمن (١٩٩٣). الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى. ترجمة علي عزازي. مركز

جهاد الليبيين طرابلس. ص: ٣١٠.

20- التليسي، خليفة محمد (١٩٨٠). معارك الجهاد في ليبيا. المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان.

ص: ٥١١.

21- التليسي، خليفة محمد (١٩٨٥). حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب. ط٢. الدار

العربية للكتاب. تونس. ص: ٣٧٦.

22- الجبيري، دانتى. الكوميديا الإلهية. ترجمة حسن عثمان. دار المعارف. ص: ٤٧٥.

23- الجميلي، قاسم (٢٠٠٣). صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر. طرابلس. مركز الجهاد الليبي

للدراستات التاريخية. ص: ٢٢٧.

24- الحرير، ادريس صالح (د. ت). الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا. منشورات جامعة

الفتاح. ص: ١٨٨.

25- حسون، علي (د. ت) تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية. ط١. المكتب الإسلامي. ص:

٤١٢.

26- حسين، فاضل (١٩٥٨). مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية. القاهرة معهد الدراسات العليا

التابع لجامعة الدول العربية. ص: ٧٠.

- 27- حسين، فاضل (١٩٦٧). مشكلة الموصل. بغداد مطبعة الرابطة. ص: ٣٥٤.

28- حسين، فاضل ونعمة، كاظم هاشم (١٩٨٢). التاريخ الأوروبي الحديث. ط١. ص: ٤٤٥.

29- الحصري، ساطع (١٩٦٥). البلاد العربية والدولة العثمانية. بيروت. ص: ٢٧٨.

30- حميدة، علي عبد اللطيف (١٩٩٥). المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا. بيروت مركز

دراسات الوحدة العربية. ص: ٢٣٢.

31- خيري، عيسى محمود (د. ت). محاضرات في تاريخ أوروبا الاقتصادي. ص: ٣١٥.

- 32- الدسوقي، محمد كمال (د. ت). تاريخ أوروبا الحديث ١٨٠٠-١٩١٨. أسبوط مطبعة النهضة الجديدة. ص: ٢٩٦.
- 33- دوار، عبد العزيز سليمان وجمال الدين، محمود محمد (د. ت). التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي. ص: ٤٨٣.
- 34- ديروزيل، ج. ب (١٩٥٨). التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ١٩١٩-١٩٥٤. ترجمة خضر خضر. مكتبة الجامعة. ج. ٦، ص: ٥٥٢.
- 35- راشد، زينب عصمت (د. ت). تاريخ أوروبا الحديث. القاهرة دار الفكر العربية. ص: ٤١٢.
- 36- يونان لبيب وحامد، رؤوف عباس ورمضان، عبد العظيم (د. ت). أوروبا في عصر الإمبريالية. القاهرة دار الثقافة العربية. ص: ٣١٨.
- 37- رشوان، عبدالله (١٩٥٠). المركز الدولي لقناة السويس ونظائرها. القاهرة. ص: ٤٣١.
- 38- أتوري (١٩٧٤). ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١. ترجمة خليفة محمد التليسي. روسي، بيروت دار الثقافة. ط. ١. ص: ٥٧١.
- 39- رونوف، بيبير (١٩٤١). تاريخ القرن التاسع عشر. ترجمة محمد قاسم وحسين حسني. القاهرة. ص: ٥٧٦.
- 40- رونوف، بيبير (١٩٥٤). تاريخ القرن العشرين. ترجمة نور الدين حاطوم. (ط. ٢). مطبعة الجامعة السورية. ص: ٧٦٢.
- 41- رونوف، بيبير (١٩٧١). تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٨٤٧. ترجمة جلال يحيى. القاهرة. دار المعارف. ص: ٦٦٠.
- 42- رياض، زاهر (١٩٦٦). استعمار القارة الإفريقية واستقلالها. القاهرة دار المعرفة. ص: ٤٧٣.
- 43- ريمون، جورج (١٩٨٣). من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا. ترجمة محمد عبد الكريم الوافي. طرابلس المنشأة العامة للنشر والتوزيع. ص: ٣٧٣.

44- الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٨٤). جهاد الأبطال في طرابلس الغرب. (ط٣). دارف المحدودة المملكة المتحدة. ص: ٥٤٤.

45- ز. ب، ياخيموفتش (١٩٧٠). الحرب التركية-لايطالية ١٩١١-١٩١٢، ترجمة هاشم صالح التكريتي. ط١. ليبيا: بنغازي. منشورات الجامعة الليبية. ص: ٢٧١.

46- الزغدي، محمد حسن (٢٠٠٣). شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية. ط١. الجزائر. ص: ١٥٦.

47- زيادة، نقولا. (٢٠٠٣). برقة الدولة العربية الثامنة- ليبيا ١٩٤٨ (وثيقة رسمية) ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال. بيروت. ص: ٤٠١.

48- زيادة، نيقولا (١٩٥٨). محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال. القاهرة معهد الدراسات العربية العالية. ص: ٢٧٣.

49- سالم، سيد مصطفى (٢٠٠٧). تكوين اليمن الحديث. ط٤. مكتبة الإرشاد. ص: ٦١٤.

50- ستودارد، لوثر (١٩٧٢). حاضر العالم الإسلامي. ترجمة عجاج نويهض. بيروت دار الفكر ج٥. ج١. ص: ٢٠٧٥.

51- سعد الله، أبو القاسم (١٩٩٣). هموم حضارية. الجزائر دار الأمة. ص: ٢٢٥.

52- سعد الله، أبو القاسم (١٩٩٨). تاريخ الجزائر الثقافي. ط١. بيروت دار الغرب الإسلامي. ج٨ ج٥، ص: ٥٣٦.

53- سعد الله، أبو القاسم (٢٠٠٣). بحوث في التاريخ العربي الإسلامي. ط١. بيروت دار المغرب الإسلامي. ص: ٥٥٨.

54- سعيد، أمين محمد وثابت، كريم خليل (د. ت). سيرة مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول. ط١. القاهرة مجلة اللطائف. ص: ٦٦.

- 55- سعيدوني، ناصر الدين (١٩٨٨). دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر. الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب. ج ٢. ج ٢. ص: ٥٣٤.
- 56- سليمان، محمود حسن (١٩٦٢). ليبيا بين الماضي والحاضر. القاهرة مؤسسة سجل العرب. ص: ٤٣٧.
- 57- سنو، عبد الرؤوف (١٩٩٨). النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية. ط ١. لبنان بيسان للنشر. ص: ٢٤٨.
- 58- السنيطي، محمد (١٩٥١). قضية ليبيا. القاهرة مكتبة النهضة المصرية. ص: ٣٦٦.
- 59- الشافعي، محمد علي (١٩٣٣). طرابلس الغرب وبرقة في برائن الاستعمار. دار المستقبل. ص: ١٦٠.
- 60- شاكور، محمود (١٩٧٢). ليبيا. ط ١. الدار العلمية. ص: ١٢٨.
- 61- شاكور، محمود (د. ت). التاريخ الإسلامي العهد العثماني. دمشق المكتب الإسلامي. ص: ٩٧.
- 62- شعيب، علي عبد المنعم (٢٠٠٢). الصراع الإيطالي - الفرنسي على بلاد الشام ١٨١٠ - ١٩٤١. ط ١. بيروت دار الفارابي. ص: ٢٢٤.
- 63- الشناوي، عبد العزيز محمد (١٩٨٠). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية. ج ٤. ج ٢. ص: ٦٦٤.
- 64- صبيح، علي (٢٠٠٣). السياسات الدولية بين الحربين العالميتين. ط ١. بيروت دار المنهل اللبناني. مكتبة رأس النبع. ص: ١٥٧.
- 65- صفوت، محمد مصطفى (١٩٥٧). مؤتمر برلين وأثره في البلاد العربية. معهد الدراسات العربية العليا. مطبعة الرسالة. ص: ٩١.
- 66- صفوت، محمد مصطفى (د. ت). الاحتلال الإنكليزي لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه. دار الفكر العربي. ص: ٢٩٤.

- 67- الصلابي، علي محمد (٢٠٠١). الدولة العثمانية. ط١. دار التوزيع الإسلامي. ص: ٥٨٢
- 68- الصلابي، علي محمد (د. ت). سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي وعمر المختار. دارالمعرفة. ص: ٣٣٤.
- 69- الصويغي، عبد العزيز سعيد (١٩٨٤). فن صناعة الصحافة. ط١. ليبيا: طرابلس. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. ص: ٣٥٠.
- 70- طقوش، محمد سهيل (٢٠١٣). تاريخ العثمانيين. (ط٣). دار النفائس. ص: ٢٢٤.
- 71- عامر، محمود. الدولة العثمانية تاريخ ووثائق. دمشق دار الرحاب. ص: ١٩٦
- 72- عبد الرحمن، تهادي شوقي (٢٠١٠). الأصول التاريخية للمسلمين في البلقان. ط١. القاهرة دار العالم العربي. ص: ١١٢.
- 73- عبد الكريم، أحمد عزت وآخرون (١٩٦٤). تاريخ العالم العربي في العصر الحديث. دار الجمهورية للطباعة. ص: ٤٨٨.
- 74- عبد الله، إبراهيم (١٩٨٥). أنماط التجارة الداخلية في ولاية طرابلس الغرب. تونس مؤسسة التميمي. ص: ٣٧٤.
- 75- العرفاوي، محمود (١٩٩١). مخاض الإمبريالية والفاشية والإيطاليين. ترجمة عمر طاهر. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى. ج٢. ج٢. ص: ٤٣٨.
- 76- عطا، شوقي (١٩٧٧). المغرب العربي الكبير في العصر الحديث. القاهرة. ص: ٥٤٠.
- 77- العقاد، صلاح (١٩٦٦). العرب والحرب العالمية الثانية. ط١. مصر مطبعة الرسالة. ص: ٩٦.
- 78- علي، عمر بن إسماعيل (١٩٦٦). انهيار حكم الأسرة القرمنلية في ليبيا ١٧١١-١٨٣٥. طرابلس مكتبة الفر جاني. ص: ٥٥١.

79- عوض، عبد العزيز محمد (١٩٦٩). الإدارة العثمانية في ولاية سورية. القاهرة دار المعارف. ص: ٣٨٦.

80- غرابية، عبد الكريم (١٩٦١). سورية في القرن التاسع عشر. القاهرة معهد الدراسات العربية العليا. ص: ٢٦١.

81- الغزالي، محمد (٢٠٠٥). الاستعمار أحقاد وأطماع. ط٤. نهضة مصر للطباعة والنشر. ص: ٢٥٣.

82- فواز، عبد العزيز سليمان (١٩٧٣). تاريخ الشعوب الإسلامية. بيروت دار النهضة العربية. ص: ٦٤٠.

83- فيرو، شارل (١٩٩٤). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. ترجمة عبد الكريم الوافي. (ط٣). بنغازي جامعة قاريونس. ص: ٥٥٥.

84- قاسم، محمد وحسني، حسين (١٩٢٩). تاريخ القرن التاسع عشر. (ط٩). القاهرة دار الكتب المصرية. ص: ٢٩٦.

85- القروي، إسماعيل مولود (١٩٩٣). التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا ١٨٨٢ ١٩١١، ط١. المجلس القومي للثقافة العربية. ص: ٣٥١.

86- القلال، أحمد محمد (١٩٩٩). سنوات الحرب والإدارة البريطانية العسكرية في برقة ١٩٣٩— ١٩٤٩. بنغازي جامعة قاريونس. ص: ٤٨٧.

87- أبو جبل، كاميليل. (٢٠٠١). تاريخ الجزيرة العربية المعاصر. ط١. جامعة دمشق. ص: ٨٨.

88- كنج، بولتن (٢٠١٧). الوحدة الإيطالية. ترجمة طه هاشمي. شركة هنداي. ص: ٦١٥.

89- فرانشيسكو (١٩٨٤). ليبيا في أثناء العهد العثماني الثاني. تعريب خليفة محمد التليسي. كورو، (ط٢). المنشأة العامة للنشر طرابلس. ص: ١٦٣.

90- لنشوفسكي، جورج (١٩٦٤). الشرق الأوسط في الشؤون العالمية. ترجمة جعفر خياط. بغداد دار المتن. ص: ٦٣٩.

- 91-لندو، روم (١٩٦٣). تاريخ المغرب العربي في القرن العشرين. ترجمة نيقولا زيادة. دار الثقافة بيروت. ص: ٦٤٠.
- 92- مالتيزي، باولو (١٩٩٢). ليبيا أرض الميعاد. ترجمة عبد الرحمن سالم. طرابلس مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية. ص: ٥١٣.
- 93- مالجيري، فرانثيسكو (١٩٧٨). الحرب الليبية. ترجمة وهبي البوري. الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس. ص: ٥١٨.
- 94- مانتران، روبير (١٩٩٣). تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة بشير السباعي. ط١. القاهرة دار الفكر. ج٢. ج٢. ص: ٥٠٧.
- 95- مجموعة من المؤلفين (١٩٧٦). تاريخ الأقطار العربية المعاصر. ترجمة دار التقدم. موسكو. ص ٨٧٥
- 96- محافظة، علي (د. ت). موقف فرنسا وألمانيا وإيطالية من الوحدة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: ٥٤٠.
- 97- محمد مسعود، جمال - جمعة، وفاء محمد- لبن، علي أحمد (١٩٩٥). أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ الدولة العثمانية. دار الوفاء للطباعة والنشر. ص: ١٦٨.
- 98- محمد، ناصر (١٩٨٠). الصحف العربية الجزائرية. الجزائر مطبعة أحمد زبانة. ص: ٤٦٤.
- 99- محمود، حسن سليمان (١٩٦٢). ليبيا بين الماضي والحاضر. القاهرة مؤسسة سجل العرب. ص: ٤٣٧.
- 100- المرزوقي، محمد عبد النبي بالخير (١٩٨٧). داهية السياسية وفارس الصحراء. تونس الدار العربية للكتاب. ص: ٣٠٠.
- 101- المرزوقي، محمود (١٩٧٥). دماء على الحدود. ليبيا الدار العربية للكتاب ليبيا. ص: ٤٠٦.
- 102- مسعود، جمال عبد الهادي (٢٠٠١). الطريق إلى بيت المقدس. (ط٥). دار الوفاء. ص: ٢٤٧.

- 103-مشتاق، طالب (١٩٦٨). أوراق أيامي ١٩٠٠-١٩٥٨. بيروت دار الطليعة. ص: ٦٢٢.
- 104-المصراطي، علي مصطفى (١٩٦٥). رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة ١٨٩٥. ط١. بيروت دار لبنان للطباعة. ص: ٢٧٢.
- 105-طلّاس، مصطفى (١٩٩٩). ملف أوروبا والوطن العربي. دمشق مركز الدراسات العسكرية. سلسلة كتب في كتاب ٩. ص: ٤٠٩.
- 106-مصطفى، أحمد عبد الرحيم (١٩٨٢). في أصول التاريخ العثماني. بيروت دار الشروق. ص: ٣٣٦.
- 107-مناغ، محمد عبد الرزاق (١٩٧٢). جذور النضال العربي في ليبيا. ط٢. طرابلس مكتبة الفكر ص: ١٤٣.
- 108-المنتصر، خليفة عبد المجيد (١٩٦٣). ليبيا قبل المحنة وبعدها. طرابلس مصلحة المطابع. ص: ١٩٢.
- 109-ميكايي، رودلفو (١٩٦١). طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القره مانلية. ترجمة طه فوزي. القاهرة معهد الدراسات العربية. ص: ٣٨٦.
- 110-النجار، جميل موسى (١٩٩٠). الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا. القاهرة مطبعة مدبولي. ص: ٥٣٦.
- 111-نجيب، محمود. تاريخ طرابلس الغرب. ليبيا. مركز جهاد الليبيين. ص: ١١٨.
- 112-نصيف، حسين بن محمد (١٩٣١). ماضي الحجاز وحاضره. جدة. ص: ٢٤٢.
- 113-نوار، عبد العزيز ونعنع، عبد المجيد (١٩٨٦). التاريخ المعاصر أوروبا من الثورات الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية. بيروت. ص: ٦٣٤.
- 114-الهوش، أبو بكر محمود (١٩٨٨). تطور الضبط البيلوغرافي للمطبوعات الرسمية في ليبيا. منشورات م. ج الليبيين طرابلس. سلسلة دراسات معاصرة ٣. ص: ٤١١.

- 115- الوافي، محمد عبد الكريم (١٩٧٧). الطريق إلى لوزان. طرابلس دار الفر جاني. ص: ٢٢٣.
- 116- ودوع، محمود (٢٠٠٨). الدعم الليبي للثورة الجزائرية. وزارة الثقافة. ص: ٣٨٧.
- 117- الويبة، كامل علي مسعود (٢٠٠٥). الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب. مركز جهاد الليبين للدراسة. ص: ٢٨١.
- 118- ياغي، إسماعيل أحمد (١٩٩٦). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. ط ١، مكتبة العبيكان. ص: ٣٢٨.
- 119- يحيى، جلال (١٩٦٦). المغرب الكبير في العصور الحديثة. ط ١. القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر. ص: ٤٦٨.

الموسوعات:

- 1- البيطار، فراس (د. ت). الموسوعة السياسية والعسكرية. عمان دار أسامة للنشر والتوزيع. ج ٦. ص: ٢٥٥٠.
- 2- بالمر، آلان (١٩٩٢). موسوعة التاريخ الحديث. ترجمة سوسن فيصل سالم-يوسف محمد أمين. دار المأمون. ج ٢. ج ١. ص: ٩٤٠.

الصحف والمجلات

- 1- إبراهيم، مجاهدي، معاهدة أوشي لوزان ١٩١٢. مجلة العلوم الإنسانية والحضارة. مجلد ٤. عدد ١.
- 2- الطوير، محمد أحمد، وثيقة تاريخية تكشف عن استراتيجية التعليم أجزاء الدولة العثمانية ١٨٧٢، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الرابع ١٩٩٠، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي طرابلس ١٩٨٤.
- 3- الطوير، محمد أحمد، وثيقة تاريخية تكشف عن طبيعة التعليم في مدينة طرابلس قبل وبعد الاحتلال، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثالث ١٩٨٨، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص ١٦٩.
- 4- جارودي (٢٠٠٠). ملف إسرائيل، جريدة عرب تيمس، عدد ١٠٧، تاريخ ١١ كانون أول.
- 5- جريدة المصري اليوم (٢٠١٢). انتهاء حرب القرم بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية. تاريخ ٣١ يناير.
- 6- الجباري، محمد الطاهر (٢٠٠٣). المقاومة الثقافية الليبية. طرابلس: ليبيا. مجلة البحوث التاريخية. منشورات م. جالليين. العدد ٢ يوليو.
- 7- حسن، صلاح الدين (١٩٨٣). تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس الغرب. مجلة البحوث التاريخية. العدد ٢. يوليو.
- 8- داهش، محمد علي (١٩٨٨). عمر المختار وحركة المقاومة المسلحة في ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي، اتحاد المؤرخين العرب. العراق . مجلد ١٥. ع ٣٨.
- 9- رمضان، طه عبد الناصر (٢٠١٨). بتدخل نكي مهد الإيطاليون الطريق لوحدة بلادهم. تونس مجلة العربية. نشر في ٦ ديسمبر. س ٨. ٢٢ ص.
- 10- الزليتي، ميلاد محمد (د. ت). موقف السلطات الحاكمة في ليبيا من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين. ع ١. مجلة كلية الآداب. جامعة مصراته.
- 11- سعيد، أمين محمد، ثابت، كريم خليل، كمال، مصطفى باشا (١٩٢٢). تاريخ الحركة الوطنية في الأناضول، مصر القاهرة مجلة الطائف.

- 12- عبد الناصر، رمضان طه (٢٠١٨). يتدخل ذكي مهد الإيطاليون الطريق لوحدة بلادهم. مجلة العربية تونس ٦ ديسمبر.
- 13- عويمر، مولود (٢٠١٣). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الليبية. البصائر. ع٦٤٧. ١٥-٢١ أبريل.
- 14- كلايسي أرسين، أوغلو (١٩٩٩). السياسة الخارجية التركية إزاء الأمن الإقليمي والتعاون في الشرق الأوسط. جريدة المؤيد المصرية. العدد ٤٢. نيسان. ص: ٧٣.
- 15- كولا فوليان (١٩٨٠). حركة المقاومة في ليبيا. ترجمة محمد علي داهش، ومحمد عبد الله. مجلة آفاق عربية العدد الأول. السنة الخامسة.
- 16- محمد السروجي (١٩٦٨). الموقف الدولي والاحتلال الإيطالي لليبيا. مجلة آية الآداب. جامعة الإسكندرية. العدد ٢٢.
- 17- مصطفى كريم (١٩٧٦). مسألة غزو إيطاليا الاستعماري لليبيا. المجلة التاريخية المغربية. العدد ٦.
- 18- الحواس الغربي (١٩٤٥). مقدمات الاحتلال الإيطالي لليبيا ١٩١١. مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية. ٨ مايو.
- 19- الملاح، هاشم (١٩٨١). جهاد عمر المختار بينتضحيات الجماهير وميوعة السادة السنوسيين. مجلة آفاق عربية. العدد ٦-٧. السنة السادسة شباط- آذار.
- 20- هويدي، مصطفى علي (٢٠٠٢). موافقة السياسة في الحركة الوطنية. مجلة البحوث التاريخية. منشورات م. ج الليبيين. طرابلس. العدد ١. ٢٤ يناير.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Army (2001).**History Directorat**.p: 151
- 2- Atatürk Modern(2012).**Turkey Kurucusu**.Istanbul. P:184.
- 3- Auter .M .H (1929).**histoire diplomatique de l europe 1871-1914**. Paries.les presse universitaires de France.P:197.
- 4- Berkeley, G. F. H, (1902). **The campaign of Adowa and the rise of Manlike Westminster**, constable, p403
- 5- Bernard lewis (1966).**the Emergence of Modern Turkey**.London. p:198.
- 6- British Military (1984).**Administration in Africa**. London. H.M.Stationary office. P:258.
- 7- Charles Loch(1955).**BRITAIN between the war 1918-1940**. London, p: 259.
- 8- Davis,John (2000).**Italy in the nineteenth century 1796-1900**. Oxford University, p: 132
- 9-Denys,Hays(1963). **the Italian Renaissance in its historical background**.Cambridge university press. p:186.
- 19- Duggan,Christopher(1796).**theforceofDESTINY:AHistoryofItalysince-**
Gentile.Emilio.p: 118.
- ²⁰ Domains, Nicholas. (2005). **Italians as good colonizers, memory in the Dodecanese**, New York, p: 214.
- 21- Francesco, Tomas: **the memoirs of Francesco Crispi**, volume3, scholar select-
- 22-Unknown(2003).**the struggle for Modernity,Nationalism,Futurism and Fascism,Westport**. p: 370

- 23– H. Herder(1962). **A short history of Italy**.Cambridge university press. London .p: 187.
- 23– Turilop, Tarihi (1982).**Turkey**.Istanbul.P: 390.
- 24– Harry N. Haward(1966).**the partition of Torkien A Diplomatic History 1913–1923**. New York. P: 330.
- 25– Hughes,Robert (2001).**Roma:A cultural,Visual, and Personal History**p: 260.
- 26– James, Mcmillan (t. d).**Dryfus to Degualle. political and society in France**.Paris.P:590
- 27– Jean Louis Miege(1964).**limperialism colonial Italian de 1870 a nos jours**.Paris universités de France.P:760.
- 28– Condon a. fisher(1949).:**history of europe**.P:950
- 29– Lewis, Barnand (1968).**the Emergence of modern Turkey**. Second edition.London.p:254.
- 30– Lord Kimros (1988).**Ataturk the Rebirth of national London 1964** p:180
- 31– Majid Khadduri (1963).**Modern Libya: A study of political development** Baltimore Hopkins.P:210.
- 32– Miller,W.(1927).**the ottoman Empire and its succors 1801–1927**.London. P:542.
- 33– Pontil,lame.(1964).**diterrane et les puissance depuis**.Paris.P: 57.
- 34– Rechard, Robinso(1963).**the first Tarkish republic Harrard**. p: 780.

35– Dennis Mack(1997).**Modern Italy,A political History**. University of Michigan.

P: 132

36– Sonyel, Turkish (t. d).**diplomacy 1918–1923 Mustafa.Kemal and Turkish movement** London. P:149

37– Thayer,John(1964).**Italy and great war,Madison and Milwaukee**. University of Wisconsin. P: 600.

38– Keith, Hopkins, MARY Beard(2005).**The Coliseum**, Harvard University . p: 210.

39– Vaisse, Maurice (2000).**Dictionnaire cles relation**, international.Paris. p:235.

40– William Miller(1966).**the ottoman Empire and its successors 1808– 1926** .London. p:291.

41– Wright, J(1969).**Libya**. London. P: 264.

Newspapers and magazines

- 1– Great Britain (1920). parliamentary papers. treaty series August 10. p: 321.
- 2– Journal officiel du government Egyptian. (1925). 7 december Vol 52 p: 117.

Foreign encyclopedias

- 1– Treaty Series No (1923) Treaty of with Turkey, and Other Instruments
Signed London, at Lausanne on 24 July, 1923.
- 2– The new Encyclopedia Britannica, U.S.A. (1988), vol 15. p: 112.
- 3– U. S. Aide. memoire to Britain France and Italy. 30 october 1922.
- 4– Patriotism in our clero. Letter a del vescovo di Baresciani L' A venire Italia 10
October 1911.

Abstract

International relations are intertwined and their manifestations vary, between hostility at times and peace and cooperation at other times, and interests remain the final word in drawing the boundaries of relations between international actors, according to the political literature that indicates that there are no permanent friendships or permanent enmities, but there are permanent interests.

This applies to many relations, including the Italian- Ottoman relations, which prevailed during the nineteenth century and before, in addition to the consequences of this relationship, which started with friendly relations and ended with a war between the two parties which had clear repercussions on Libya.

The Italian- Ottoman relations represented a series of events, treaties and agreements, which had an effective role between the European countries and the countries of the Maghreb, where the internal conditions in those countries, whether political, economic or social, were ripe for any change. Italy was looking for a place under the sunlight Especially after the French occupation of Algeria, then Tunisia, and the British occupation of Egypt, it directed its eyes towards Libya, and this event had great repercussions on Libya politically, economically, culturally and socially. An agreement between Italy and European countries, in which those countries agreed to the Italian occupation of Libya, As for the Ottoman position, As for the position of the Italian street, part of it rejected the idea of the Italian occupation of Libya, which was expressed by the people as well as some parties as well. As for the official government position, it was supporting the idea of the occupation, as for the positions of the Arab countries in general, they were rejecting the occupation and resisting it according to the available capabilities.

Keyword: Treaties– Italia- Ottoman Empire– Libya– Reflections– the war- Attitudes- International- Agreements.

**Syrian Arab Republic
Ministry of Higher Education
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Master of Modern and History**



**The Italian- Ottoman relations and their
repercussions on Libya
1878- 1923**

**Thesis submitted for obtaining a (masters) degree
in (Modern and contemporary history)**

**by
(Dareen Suleiman Al-Hakim)**

**Supervisor
(A.D. Ahmed Al-Khidr)**

**University of Damascus
(2021– 2022)**

